

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ندوة قضايا المخطوطات (٢)
(٢٧ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٩٨)

فن فهرسة المخطوطات

مدخل وقضايا

تنسيق وتحرير
د. فيصل الحفيان

معهد المخطوطات العربية
القاهرة ١٩٩٩

فن فهرسة المخطوطات

مدخل وقضايا



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ندوة قضايا المخطوطات (٢)
(٢٧، ٢٨ سبتمبر ١٩٩٨)

فن فهرسة المخطوطات

مدخل وقضايا

تنسيق وتحرير
د. فيصل الحفيان

معهد المخطوطات العربية
القاهرة ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

فن فهرسة المخطوطات : مدخل وقضايا (بحوث ومناقشات ندوة قضايا المخطوطات «٢») ، تنسيق وتحرير د. فيصل الحفيان . القاهرة : معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، ١٤٢٠ / ١٩٩٩ / ٣٣٦ ص .

ط/١٩٩٩/٠٦/٠٠٦

الفهرس

* * *

هذه النــدوة

هذه الندوة هي الثانية ضمن سلسلة ندوة « قضايا المخطوطات في الوطن العربي » ، التي يعقدها المعهد ، وتأتي استكمالاً لأختها التي سبقتها في العام الماضي (١٩٩٧) .

ففي حين رصدت الأولى التي عقدت بالقاهرة على مدى ثلاثة أيام (٢١-٢٣ ديسمبر ١٩٩٧) التجارب العربية في فهرسة المخطوطات ، تتوقف هذه التي عقدت بالقاهرة أيضًا على مدى يومي ٢٧ و ٢٨ سبتمبر ١٩٩٨ ، تتوقف طويلاً عند قضايا الفهرسة ، وتفصيلاتها الدقيقة ، وهي قضايا وتفصيلات تعاني من الإهمال وعدم التقنين .

إن الذين يقومون بأعمال فهرسة المخطوطات يعرفون عدداً قد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من الكتب في هذا الفن ، ويعتمدون في جزء كبير من عملهم على الاجتهاد والخبرة التي تكتسب مع الأيام ، لكنها تظل خبرات غير مقننة ، وبعيدة عن الرؤية العلمية التي تستند إلى أسس وقواعد مستقرة .

ولقد أردنا من هذه الندوة أن نحقق تلك الرؤية المنهجية الضرورية ، وكان سبيلنا إلى ذلك عدداً من المحاور التي تساندت جميعاً لتكون خطوة عاقلة على الطريق إلى تلك الرؤية .

أحد تلك المحاور حاول أن يبحث في مصطلح الفهرسة عينه ، سعياً إلى تحديد مفهومه بدقة ، وكشف الحدود التي ينبغي على المفهرس أن يقف عندها ، ولا يتجاوزها ، حتى لا يخرج من دائرة « الفهرسة » إلى دائرة أخرى . وفي إطار هذا المحور كان بحث خاص بعلاقة الفهرسة بعلم المخطوطات : هل هي عنصر من عناصره أم أنها فن مستقل بذاته ؟

أما المحور الثاني فدخل في المسائل الفنية للفهرسة ، وعرض لثلاث من القضايا الدقيقة : الوصف المادي للمخطوطات ، ونظام التعقيبة ، والسماع والقراءة والمناولة .

ثم جاء المحور الثالث لينظر في بعض المسائل الببليوغرافية الخاصة بطرق توثيق عنوان المخطوطة ومؤلفها ، وما نثبته من أول المخطوطة وآخرها ، ثم تصنيف العلوم والمعارف التي تبحث فيها المخطوطات العربية .

وحَلَّق المحور الرابع في فضاء الثقافة التي لابد أن تتوفر لدى المفهرس ، وألقى نظرة طويلة ومتأنية على جهود المستشرقين في فهرسة المخطوطات ومناهجهم ، وذلك لوضع اليد على نقاط الالتقاء والافتراق بين مناهجهم ومناهجنا .

إن هذه الندوة ببحوثها الجديدة والمداخلات والتعقيبات التي أثرتها ستكون – بلا شك – مرجعاً رئيساً جديداً ، يسعد المعهد أن يضعه بين أيدي علماء المخطوطات بعامة والعاملين في مجال الفهرسة بخاصة .

والله – سبحانه – من وراء القصد دائماً .

المحرر

د. فيصل الحفيان

المشاركون

* التخطيط والتنظيم :

د. أحمد يوسف أحمد محمد (مدير معهد المخطوطات العربية بالإنابة) .

د. فيصل عبد السلام الحفيان (منسق برامج المعهد) .

* الافتتاح :

د. أحمد يوسف أحمد محمد .

د. أحمد شوقي بنبين (محافظ الخزانة الحسنية - المغرب) .

* رؤساء الجلسات :

د. عدنان درويش (مدير التراث القديم - وزارة الثقافة السورية) .

د. أحمد نظيف (المركز الإقليمي لتكنولوجيا المعلومات - مصر) .

د. أحمد مختار عمر (وكيل كلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .

أ. محمد إبراهيم الشيباني (رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت) .

* مقدمو البحوث :

د. عبد الستار الحلوجي (أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة) .

د. أيمن فؤاد سيد (خبير مخطوطات) .

د. أحمد شوقي بنبين .

د. يوسف زيدان (مستشار التراث والمخطوطات في مكتبة الإسكندرية) .

أ. عصام محمد الشنطي (مدير ثان بمعهد المخطوطات ، سابقاً) .

د. محمد فتحي عبد الهادي (أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة) .

د. محمود محمد الطناحي (رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة حلوان) .

د. عادل سليمان جمال (أستاذ بجامعة أريزونا - أمريكا) .

* المعقبون وأصحاب المداخلات :

د . سعد الهجرسي (أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة) .
د . كمال عرفات نبهان (مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن) .
د . الطاهر أحمد مكي (أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .
د . أيمن فؤاد سيد .
د . محمود علي مكي (أستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة) .
أ . عصام محمد الشنطي .
د . عبد الستار الحلوجي (عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة « بني سويف ») .
د . أحمد شوقي بنبين
د . أحمد فؤاد باشا (وكيل كلية العلوم - جامعة القاهرة) .
د . فيصل الحفيان .
د . محمد السيد الجليند (أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .
د . سعيد مغاوري (الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية - مصر) .
د . محمود محمد الطناحي .
د . يوسف زيدان .
د . محمد فتحي عبد الهادي .
د . عادل سليمان جمال .

* الختـــــام :

د . فيصل الحفيان .
د . عدنان درويش .
د . أحمد يوسف أحمد محمد .

* * *

الجلسة الافتتاحية

كلمة المعهد

د. أحمد يوسف أحمد محمد

بسم الله نفتتح هذه الندوة ، وهي الندوة الثانية التي يعقدها المعهد لمناقشة قضايا المخطوطات ، واسمحوا لي في هذه الجلسة الافتتاحية ، أن أرحب بحضراتكم ، خاصة أولئك الذين تجشّموا مشقة الحضور من خارج مصر ، فلهم منا أطيب الشكر على هذه الاستجابة الكريمة لدعوة المعهد ، على الرغم مما نعلمه من مشاغلهم العديدة . وأود أن أوجه الشكر لحضراتكم جميعًا ؛ رؤساء جلسات وباحثين ومعقبين ومشاركين في النقاش ، لأنه دون هذه الاستجابة الكريمة ما كان لهذه الندوة أن تحقق الغاية منها .

تعلمون أن هذه الندوة هي الندوة الثانية التي ينظمها المعهد تحت عنوان : « قضايا المخطوطات في الوطن العربي » ، وأن موضوعها جاء في الموضوع الذي صبَّ فيه موضوع الندوة الأولى ، وهذا الموضوع العام هو فهرسة المخطوطات . ولقد قصدنا أن تكون جهودنا جهودًا متكاملة يحدث فيها قدر من التراكم العلمي والمعرفي حول ذات القضية بما يؤدي في النهاية إلى حصيلة نأمل أن تضيف فائدة إلى المعرفة العلمية في هذا المجال .

ولقد شعرنا من خلال لقاءاتنا واجتماعاتنا المختلفة أن موضوع فهرسة المخطوطات يحتاج إلى جهد خاص ، ومن هنا كانت مبادرة المعهد بأن تكون الندوتان الأولى والثانية حول هذا الموضوع . ونثق أنه بمشاركة حضراتكم ، سوف يكون لهذه الندوة - كما كان لسابقتها - نتائج متميزة ورفيعة يمكن أن تضيف إلى الجهود العلمية السابقة ، وتكون أساسًا لجهود علمية أخرى تُبذل في هذا المجال ، وخاصة أن أعمال هذه الندوة سوف تُنشر بالكامل في كتاب ؛ نأمل أن يكون إضافة للمكتبة العربية .

والحقيقة أن تقليد عقد ندوة سنوية كبيرة ، نعتبره حلقة من سلسلة حلقات نأمل أن تمثل نقلة نوعية في نشاط المعهد .

ففي السنوات الأخيرة أمكن للمعهد ، بالإضافة إلى هذا العمل ، أن يرعى تكوين الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي والإسلامي ؛ والتي ستعقد اجتماعها الثاني في الشهر القادم ؛ والتي كان لاجتماعها الأول منذ نحو سنتين أثر شديد الإيجابية وبالغ العمق على عمل المعهد وعلى صلته بغيره من المؤسسات العاملة في مجال حفظ وحماية وصيانة التراث العربي . كما أنه وللمرة الأولى منذ سنوات عديدة ، يرسل المعهد بعثة لتصوير المخطوطات إلى دولة موريتانيا ، وأيضًا للمرة الأولى يزمع المعهد ، في غضون أيام قليلة ، أن يرسل بعثة لإنقاذ المخطوطات في الدولة ذاتها . هذا فضلاً عن جائزة المعهد لتحقيق التراث العربي ، وما إلى هذا من الخطوات التي نأمل أن تكون إضافة نوعية إلى عمل المعهد ، نعتز بها كثيراً ، لأننا نعمل في إطار موارد محدودة ؛ سواء كانت مالية ، أم كانت بشرية (بمعنى الهيكل التنظيمي الذي يدير المعهد) . ولذلك فإننا نستميحكم عذراً عن أي تقصير ؛ سواء في نشاط المعهد أو في مثل هذه الندوة ، لأنه ربما لا يعلم الكثيرون الظروف الصعبة التي يعمل فيها المعهد ؛ والتي تجعلنا نتقبل ، بكل صدر رحب ، أي نقد يُوجّه لعمله ، أو يلمس قصوره في فعل ما يتعيّن عليه فعله . والسبب في هذا – كما أشرت – هو محدودية الموارد ، ولكننا نحاول بهذه الكوكبة المتحمسة من العاملين بالمعهد ، ومن خلال التعاون الخلاق من قبلكم أن نفي ببعض ما يتعين علينا الوفاء به .

* * *

كلمة المشاركين

د. أحمد شوقي بنبين

مرة أخرى نجتمع في رحاب الجامعة العربية ، لنتحاور في موضوع « فهرسة المخطوطات » الذي لم يبت فيه حتى الآن بصفة نهائية ، على الرغم من اللقاءات والندوات التي أقيمت من أجله هنا وهناك في العالم العربي .

إن المناقشات الطويلة التي دارت حول هذا الموضوع بين العلماء والمكتبيين منذ عقود تكاد تعتبر من بعض الوجوه نوعاً من المناقشات البيزنطية ، لأنها لم تفض إلى خلاصات اطمأن إليها الأخصائيون في معظم الجهات .

إن الفهرسة ليست مشكلاً يخص التراث العربي وحده ، إنه مشكل يهم الدراسات الأجنبية كذلك ، فمنذ الأربعينيات من هذا القرن نرى علماء الغرب يدعون إلى توحيد فهرسة المخطوطات اليونانية واللاتينية وغيرها من مخطوطات اللغات الفرعية ، فهل نجحوا في مسعاهم ، وهل وضعوا فهارس موحدة تفي بالمواصفات الضرورية للتعريف بالمصطلح ؟

إن ما وضع حتى الآن وما اقترحه واضعوها من قواعد وأساليب لم تكن أبداً موضع إجماع العلماء ، وعلى الأخص منهم الفيلولوجيون الذين يعتبرون أول المهتمين بالمخطوطات ، دراسةً وتحليلاً ونقداً .

فإلى متى تستمر هذه اللقاءات التي يقتصر فيها الأمر على إبداء الرأي واقتراح النماذج ، ومتى سيفضي هذا الحوار المتواصل إلى نتائج علمية تقنية في آن واحد يجمع المختصون على قبولها والعمل بمقتضياتها في المعاهد والمكتبات .

ألم يحن وقت ظهور قسطنطين جديد ، خبير بعلم المخطوطات يخلصنا من الحوار اللانهائي حول موضوع الفهرسة ؟

إن قسطنطين الروم أنهى حوار أربعة قرون حول طبيعة المسيح ، وقسطنطيننا نحن المختصين في مجال المخطوطات لا يمكن أن يكون سوى هذه النخبة من العلماء الكبار ، ذوي التجربة والكفاءة النادرة التي لن تترك فرصة هذا اللقاء العلمي تمر دون التساؤل بجد عن مفهوم الفهرسة ، مع الأخذ بعين الاعتبار المسئولية العلمية التاريخية الملقاة على عاتقها تجاه الأجيال المقبلة .

إن طرح السؤال بطريقة علمية يعتبره العلماء أحد مفاتيح الجواب المطلوب الحصول عليه .

لقد أثار انتباهي قبل سنين تعقيب للزميل د. عبد الستار الحلوجي خلال لقاء بالقاهرة حول الفهرسة ، يقول فيه : لست مستعداً أن أضيع عمري في صنع الفهارس ، ويأتي من بعدي من يفهرس مرة أخرى لكي يصحح الخطأ . المفروض أن أضع بيانات صحيحة من أول مرة ، قد أحذف بعض البيانات أو قد أؤجلها ، إنما المعلومات التي أسجلها ينبغي أن تكون صحيحة من أول مرة .

إنه تساؤل علمي منطقي في آن واحد ، وخبرة د. عبد الستار - إذن - تتجلى في الطرق الكيفية التي تمارس بها عملية الفهرسة ، فهو يرى أن المناهج المتبعة حتى الآن على الرغم من اختلافها وتعددها هي قابلة للزيادة والنقصان ، فما الفائدة إذن في تطبيق أساليب معينة في الفهرسة تبدو اليوم متكاملة صحيحة مقنعة ، وقد تعتبر في ما بعد ناقصة لا تفي بالمطلوب الذي تقتضيه هذه العملية ؟

آمل أن نكون جميعاً على مستوى المسئولية التي ألقيت علينا من قبل معهد المخطوطات ، الذي لا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أنوه بعمله الدؤوب وجهده المتواصل في سبيل جمع وحفظ وصيانة وفهرسة المخطوط العربي .

* * *

الجلسة الأولى

مســـائل تنظيرية

فن الفهرسة : المصطلح والحدود

د. عبد الستار الحلوجي

د. عدنان درويش (رئيس الجلسة) :

يسعدني أن يُسند إليَّ أمر الاشتراك مع نخبة من العلماء الأجلاء في ما عناهم وعناني من أمر هذا المحصول الزخّار من موروثاتنا المكتوبة بالعربية التي تحمل إلينا من صوب العلوم والآداب والفنون ، ومن صوب عقول السلف وقرائحهم ، أفانين هي من الغنى بما لا يرقى إليه تراث أمة أخرى كثرة ، وتنوعًا في فروع المعارف الحضارية المختلفة .

وصل إلينا هذا التراث نصوصًا مكتوبة حفظتها أوعية رُصَّت على رفوف خزائن العلم في أنحاء المعمورة . فحيثما كانت حركة التأليف باللغة العربية كان المخطوط تحفظه المكتبات العامة أو الخزائن الخاصة ، نجده في أقاصي الهند والصين شرقًا ، كما نجده في أقاصي بلاد الأندلس غربًا ، تلك هي مستقرات المخطوطات العربية ومظانها بادئ ذي بدء ، ثم كُتب عليها أن ترحل في البلاد ، حيث نُقل المخطوط من مستقره في بلد ليودع في خزانة بلد آخر ، وتعددت دور الكتب التي تُحفظ فيها المخطوطات العربية في أنحاء العالم على وجه التقريب ، نجدها في مكتبة الكونجرس وجامعة برنستون في الولايات المتحدة غربًا ، كما نجدها في مكتبات الصين والهند شرقًا ، وأصبح العثور على المخطوط ، بسبب هذا التوزع والانتشار ، أمرًا غاية في العسر إن لم نَقُلْ مستحيلاً . لذلك فكر الإنسان بأن يتخذ من الوسائل والأسباب ما يزيل الاستحالة ويزيح العسر ، فابتكر لذلك الفهارس الوصفية ، وأنا أفضّل أن يُطلق على الببليوغرافيا هذا المصطلح «الفهرسة الوصفية» ؛ باعتبار أن « **البيبل** » معناها الكتاب ، و « **غرافية** » معناها الوصف أو الإبانة ، لذلك رأيت أن هذا المصطلح « الفهارس الوصفية » يفي بالغرض لهذا الفن من العلم . لقد أصبحت الوصفية وسيلة المكتبات لتعريف الناس بما تحتويه على رفوفها من كتب ومخطوطات . وقامت كل مكتبة بوضع فهرس وصفي (كاتالوج) ، متبعة أوضح القواعد العلمية وأدقها في وصف الكتاب المخطوط ، مما يمكن للباحث أن يضع يده على ما يحتاج إليه موضوعًا ووصفًا .

ونحن في ندوتنا اليوم نتحرّى أنجح الوسائل التي ينبغي أن يُتخذ منها صُوًى وأعلامًا نهتدي بها إلى صنع ما ييسر الانتفاع بهذا الذخر الثمين في مظانه ، وبين أيدينا أبحاث قيّمة وضعها مختصون لهذه الغاية ، فلنستمع إلى وجازات منها ، ثم نغنيها بالتعقيب والنقاش ، ولنبدأ بالأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي في بحثه القيّم حول « فن الفهرسة : المصطلح والحدود » .

* * *

عليها والنقل عنها منذ القرن الماضي ، بدأت الألفاظ الوافدة تطل برأسها من جديد، وبرزت بصورة أوضح مع التطورات التكنولوجية التي شهدها القرن العشرون ، والتي أفرزت منتجات وأجهزة لم يكن للبشرية بها عهد من قبل كالتليفون والتليفزيون والڤيديو والكمبيوتر وكثير غيرها .

وهناك فكرة سائدة بأن الترجمة في العلوم أسهل منها في الآداب ، والتعميم هنا غير صحيح . ففي الأدب - مثلاً - تسهل ترجمة النثر من قصص وروايات ومسرحيات ، وتظهر المشكلة في الشعر ، خاصة إذا أردنا أن ننقله في قالب شعري يراعي طبيعة اللغة المنقول إليها والضوابط التي تحكم النظم فيها من وزن وقافية .

وفي العلوم والرياضيات قد يتجنب الكاتب استعمال اللغة الطبيعية ويستخدم الرموز والأرقام عوضاً عنها ، حتى لا يترك مجالاً للاجتهاد أو الاختلاف في فهم دلالات الألفاظ .

ومع هذا يبقى لكل علم لغته ومصطلحاته التي يعرفها ويتعامل بها ذووه . وليس مطلوباً أن تكون دلالات هذه المصطلحات معروفة للقارئ العادي ، ولكنها يجب أن تكون واضحة ومحددة في ذهن القارئ المتخصص ، وإلا فقدت اللغة وظيفتها وسيلة للتفاهم والتواصل بين الناس . ولعل عبارة « اللغة المشتركة » توضح هذا المعنى ، لأن المقصود بها أن يكون الكلام واضحاً ومفهوماً عند من يشتركون مع المؤلف في تخصصه .

وتلك مقدمة أراها ضرورية بين يدي هذا الحديث الذي أريد أن أتناول فيه قضية « المصطلح » في علم من العلوم التي تعتبر حديثة في نظر أكثر الناس ، مع أن له جذوراً تضرب في التاريخ العربي لأكثر من ألف عام مضت ، وأعني به « علم المكتبات » الذي أصبح تخصصاً من التخصصات الأكاديمية بجامعاتنا منذ ما يقرب من خمسين عاماً ، اتسعت دائرته في الفترة الأخيرة لتشمل ما يطلق عليه

اللغة تواضع واصطلاح ، وليس من حق أحد أن يصكّ لفظاً للدلالة على معنى معين في ذهنه ما لم يكن لهذا اللفظ نفس المعنى عند المتلقين ، فالإنسان لا يكتب لنفسه وإنما يكتب للآخرين ، ومن ثم ينبغي على كل كاتب ألا يغفل قراءة الذين يتوجه إليهم بكتابته ، وأن يضعهم في ذهنه حين يكتب ، لأن هؤلاء القراء هم الذين يحددون مستوى الكتابة وإلى أي مدى يمكن للكاتب أن يستخدم ألفاظاً متخصصة أو عامة . فمقال في صحيفة سيارة تخاطب القاعدة العريضة من المجتمع وتتباين مستويات ثقافة قرائها ، ينبغي أن تختلف لغته ويختلف أسلوبه عن مقال في الموضوع نفسه ينشر في مجلة متخصصة لا يقرؤها عادة إلا المتخصصون في هذا المجال .

وقديماً قالوا : خطأ مشهور خير من فصيح مهجور . ومعنى هذا أن على الكاتب أن يسعى لمخاطبة قرائه باللغة التي يفهمونها حتى لو لم تكن هي اللغة المثلى . ولا يعني ذلك أن يتمرد الكاتب على اللغة وقوالبها ودلالات ألفاظها ، وإلا أصبح الخيار بين خطأ مشهور وخطأ مهجور ، لا بين خطأ مشهور وفصيح مهجور .

ومعروف أن العرب – منذ العصر الجاهلي – اقتبسوا ألفاظاً أجنبية ، ولم يتحرجوا من استخدامها ، بل إن بعض هذه الألفاظ قد ورد في القرآن الكريم نفسه وهو معجزة بلاغية في حد ذاته . وورود مثل هذه الألفاظ في القرآن يدل على أنها قد استقرت في لغة العرب بدلالات محددة لم يستنكرها أي عربي . وحينما بدأت حركة الترجمة في أوائل العصر العباسي ظهرت في لغة العرب مسميات أجنبية لعلوم أو فروع من علوم كالجغرافيا والفلسفة والغورثمي ، وهذه المسميات تقبّلها الناس واستعملوها وكانت دلالاتها واضحة في أذهانهم .

وفي العصر الحديث ، ونتيجة طبيعية للاتصال بالثقافات الأجنبية والانفتاح

حالياً « علم المعلومات » على أساس أن المكتبة اشتقت تسميتها من الكتاب الذي ظل الوعاء الأوحد والأساس للمعلومات لقرون طويلة . أما الآن فقد بدأ يتنازل عن عرشه ويتخلى عن مكانته تدريجيًا لأوعية أخرى حديثة لم تكن تخطر للبشرية على بال منذ عشرات السنين .

وقد ارتبطت كلمة « المكتبات » منذ دخولها الجامعات المصرية بكلمة أخرى هي « الوثائق » وتبادلت معها المواقع ، فمرة يقال: قسم المكتبات والوثائق ، ومرة أخرى يقال: قسم الوثائق والمكتبات . ومن حسن الحظ أن الواو في اللغة العربية لا تفيد الترتيب ، أو بعبارة أخرى لا تفيد التقديم أو التأخير ، ولا تعطي أولوية لما قبلها على ما بعدها ، وإلا لثار بين المكتبيين والوثائقيين جدل كثير .

وفي هذه المحاولة الاستطلاعية أو الكشفية التي تهدف بالدرجة الأولى إلى إلقاء بعض الضوء على مشكلة المصطلح في فرع من فروع هذا التخصص ، وإثارة أذهان المشتغلين به للتفكير والمشاركة بالرأي ، لابد من الإشارة إلى أن لدينا في هذا المجال تراثاً خصباً ينبغي أن ننشره ، وأن نؤصله ونستثمره ونستفيد منه . ولابد من الاعتراف بأن تراثنا في مجال المصطلح الوثائقي أغنى بكثير من الرصيد المتاح لنا في مجال المصطلح المكتبي(١) ، وأن علم الوثائق كان أسعد حظـًا من علم المكتبات في ما يتصل بالمصطلحات ، لأنه يتعلق بالتعاملات بين الناس ، ولذا نشأ علم الشروط وظهرت كتب المصطلح الوثائقي منذ القرن الثالث الهجري(٢) ، و « احتاط الشروطيون على قدر ما وسعهم الجهد عند انتقاء الألفاظ وتركيب الصيغ الفقهية ،

(١) انظر على سبيل المثال :
ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، والمنهاجي الأسيوطي : جواهر العقود ومعين القضاة والموثقين والشهود ، والونشريسي : المنهج الفائق والمنهل الرائق .

(٢) انظر : مصطفى أبو شعيشع : نشأة علم الوثائق عند المسلمين . عالم الكتب ، مج ١٠ ، ع ٢ (مايو ١٩٨٩) ، ص ١٦٢ - ١٨٢ .

بحيث تكون غاية في الدقة ، فإن أي اختلاف حول تفسير أي لفظ أو صيغة قد يؤدي إلى الدفع ببطلان الوثيقة »[1] .

وإذا كان علم الوثائق - أو علم الشروط كما كان يسميه القدماء - علماً له جذوره في تراثنا الحضاري ، فإن أكثر علوم المكتبات تدخل تحت مظلة العلوم الحديثة . ولأن أوائل الذين اشتغلوا بها وكتبوا فيها قد درسوا في الغرب ، فلم يكن غريباً أن نرى المصطلحات الأجنبية تستقر في أذهانهم وتدور بكثرة على ألسنتهم ، وإن حاول البعض أن يلتمس ألفاظاً ومصطلحات عربية يستعيض بها عن الألفاظ والمصطلحات الأجنبية المعربة ، وهي محاولة تستحق التشجيع بشرطين : **أولهما** أن يكون المصطلح المستخدم صحيحاً من الناحية اللغوية ، **وثانيهما** أن يكون دقيقاً في الدلالة على المعنى الذي يعبر عنه . ولتوضيح ذلك أقول : إن التليفزيون يطلق عليه في بعض البلاد العربية كلمة « تلفاز » . ومِفْعال كمنشار صيغة عربية من صيغ اسم الآلة ، ولكن هناك فعلاً عربيًا هو « نَشَر » ولا يوجد في الأفعال العربية « لفَزَ » ، ومن ثم فكلمة « تلفاز » كلمة غير عربية وإن تَخفَّت في زي عربي .

والمشكلة في قطاع المكتبات وعلوم المعلومات هي أن الخلاف في المصطلحات لا يقتصر على الفروع والجزئيات وإنما تتسع شُقته ليشمل الأصول والكليات ، وإلا فبماذا يمكن أن نسمي الخلاف بين المتخصصين في تسمية المجال نفسه وفي مسميات بعض علوم المكتبات ومؤسساتها وتجهيزاتها ؟ فكلمة Information تترجم في الغالب بكلمة « المعلومات » وإن لم يمنع هذا من ترجمتها بكلمة « الإعلام » التي تظهر في مسميات بعض المعاهد والبرامج الدراسية[2] .

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) كما هو الحال في مدرسة علوم الإعلام بالرباط .

ومن ينظر في أدلة المكتبات والمعاهد التي تدرّس بها علوم المكتبات ، وفي مسميات المواد الدراسية ، يدرك أن وحدة المصطلح توشك أن تكون مفقودة بين العاملين في المجال، وهو أمر تؤكده مقابلة مصطلحات المعاجم المتخصصة مع بعضها ، ومع المصطلحات التي تجمعها بعض المؤلّفات وتعرّف بها في ما يسمى Glossaries ، وتؤكده أيضاً الدراسة التي نشرها رشيد عبد الحق ، والتي ختمها باثنين وثمانين مصطلحاً من مصطلحات الفهرسة ، جمعها من أحد عشر مصدراً وقارن بين مقابلاتها في تلك المصادر[1] ، وذلك رغم جهود مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية ، ورغم ما يعقد من مؤتمرات وندوات لتوحيد منهجيات وضع المصطلحات، وكذلك الندوة التي عقدت بالرباط سنة ١٩٨١ . ولا شك أن من أسباب هذه الظاهرة عدم وجود جمعيات علمية متخصصة قوية تحظى باحترام المتخصصين ، ويكون من مهامها رعاية التخصص وتقنين مصطلحاته ونشرها بين أعضائها . ومن أسبابها أيضاً أن مطبوعات مجامع اللغة العربية التي تقرّ المصطلحات لا تصل إلى أيدي المتخصصين ، ومن ثم لا تؤتي ثمارها المرجوة منها .

الفهرسة والمخطوطات :

ولسوف نركز هنا على مجال واحد من مجالات علوم المكتبات هو الفهرسة ، وفهرسة المخطوطات بصفة خاصة .

وغني عن القول أن لكل لفظ من الألفاظ دلالة لغوية ، وأن بعض الألفاظ يحمّل بدلالات اصطلاحية عند أهل الاختصاص . فالحديث لغةً هو الكلام ، أما اصطلاحاً فهو كلام النبي (ﷺ) خاصة . والفقه في اللغة هو الفهم ، أما في الاصطلاح فهو فهم أحكام الدين بصفة خاصة .

---

(١) رشيد عبد الحق : المصطلحات العربية في علوم المكتبات : دراسة لغوية وتطبيق على ألفاظ الفهرسة والفهارس . تونس : المعهد الأعلى للتوثيق ، ١٩٨٣ ، ص ١٦٣ - ١٧٦ .

ومعروف أن اللفظ الواحد كثيراً ما يحمل عدة معان ، فالمكتبة - مثلاً - قد يقصد بها المبنى الذي تجمع فيه الكتب وتنظم بقصد الاستفادة منها (Library) ، وقد يطلق اللفظ على الحانوت الذي يبيع الكتب (Book shop) أو الأدوات الكتابية (Stationary) ، كما قد يطلق على سلسلة من الكتب ينتظمها مجال معرفي واحد فنقول مثلاً : المكتبة الجغرافية ، والمكتبة الفلسفية ، وهكذا .

ولفظ (الفهرسة) فارسي معرَّب ، ويعرف أصحاب المعاجم العربية (الفهرس) بأنه « الكتاب الذي تجمع فيه الكتب ، معرَّب فهرست »[1] . وفي استخداماتنا العادية نقول : فهرس المكتبة ، ، وفهرس الكتاب ، وفهرس الأعلام أو الأماكن أو القوافي . وابن النديم ألف كتاباً سماه « الفهرست » منذ أكثر من ألف عام . وكلمة (الفهرس) في كل واحد من هذه الاستخدامات الأربعة لها معنى يختلف تماماً عن المعاني الأخرى . ففهرس المكتبة هو أداة التعريف بمقتنياتها ، وهو يقدم البيانات التي تكفل تمييز كل وحدة من هذه المقتنيات عما سواها ، بحيث يتميز الكتاب عن غيره وإن اتفق معه في العنوان ، وتتميز طبعة من الكتاب عن طبعة أخرى من الكتاب نفسه للمؤلف نفسه . وفهرس الكتاب هو قائمة محتوياته Table of Contents ، وفهرس الأعلام أو الأماكن أو القوافي هو الكشاف Index الذي تسرد فيه أسماء الأشخاص أو الأماكن الواردة في الكتاب في ترتيب هجائي ييسر الوصول إليها ، و (فهرست) ابن النديم عمل ببليوجرافي بأدق معاني الكلمة ، لأنه يحصي الكتب التي ألفت باللغة العربية أو ترجمت إليها في مختلف فروع المعرفة حتى سنة ٣٧٧هـ ، كما نص على ذلك صراحة في مقدمته .

ولم يكن ابن النديم هو أول من استخدم لفظ (الفهرس) أو (الفهرست) للدلالة على ما يطلق عليه الآن (الببليوجرافيا) ، فقد استخدم اللفظ بهذا المعنى

(١) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، ط ٥ . القاهرة : المكتبة التجارية ، ١٩٥٤ ، جـ٢ ص ٢٣٨ .

قبله بقرنين من الزمان ، بدليل أنه ينقل عن فهرست كتب جابر بن حيان[١] وفهرست كتب الرازي[٢] ، وفهرست كتب عبدان[٣] ، وفهرست كتب جالينوس الذي أعده حنين بن إسحق[٤] ، وفهرست كتب أرسطو وترجماتها العربية الذي أعده يحيى بن عدي[٥] .

وكما أطلق لفظ (الفهرست) في تراثنا العربي على الأعمال الببليوجرافية التي تحصي المؤلفات ، كذلك استخدم منذ القدم بدلالته الحالية عند المكتبيين العرب والأجانب ، بدليل ما نجده في المصادر التاريخية من حديث عن فهارس بيت الحكمة أو خزانة الحكمة في بغداد ، وخزانة العزيز الفاطمي في القاهرة ، وخزانة الحكم المستنصر في قرطبة ، وفهارس مكتبة المدرسة النظامية ومكتبة الصاحب بن عباد وخزانة عضد الدولة البويهي بشيراز[٦] .

ومع أن الفهارس والببليوجرافيات تدخل تحت مظلة الأعمال الببليوجرافية ، إلا أن لكل منها وظيفته . فالفهرس يحصي المقتنيات الموجودة في مكتبة ما ، أما الببليوجرافيا فإنها تحصي المؤلفات في موضوع معين ، أو التي كتبها شخص معين ، بغضّ النظر عن وجودها في المكتبة أو عدم وجودها . ووظيفة الفهرس التعريف بمقتنيات مكتبة من المكتبات ، أما القوائم الببليوجرافية فمجالها أوسع ، ووظيفتها حصر الإنتاج الفكري والتعريف به بصرف النظر عن الأماكن التي توجد بها .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، بيروت ، مكتبة خياط (مصورة بالأوفست عن طبعة فلوجل) ، ص ٣٥٥ .

(٢) الفهرست ، ص ٢٩٩ - ٣٠٢ .

(٣) الفهرست ، ص ١٨٩ .

(٤) الفهرست ، ص ٢٩٠ - ٢٩٥ .

(٥) الفهرست ، ص ٢٥١ - ٢٥٣ .

(٦) انظر على سبيل المثال : المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دي خويه . ليدن : بريل ، ١٩٠٦ ، ص ٤٤٩ ، ومحمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام .

إن وظيفة الفهرس تقديم ما تقتنيه المكتبة من أوعية المعلومات إلى الباحثين وتيسير وصولهم إليها عن طريق ما يقدمه من مفاتيح يستخدمها المستفيد أو المتردد على المكتبة . وهناك ثلاثة مفاتيح تقليدية هي : المدخل الموضوعي ، والمدخل بأسماء المؤلفين ، والمدخل بعناوين الكتب . ومع استخدام الحاسبات الآلية أضيفت مفاتيح أخرى يمكن أن يستخدمها الباحث ، كأن يسأل عن المقتنيات المنشورة في سنة معينة أو في بلد معين أو على يد ناشر معين ، أو الكتب المطبوعة طبعتين أو ثلاثا أو أكثر ، أو التي تتعدد أجزاؤها ، أو تزيد صفحاتها عن عدد معين من الصفحات ، إلى غير ذلك من إمكانات الاسترجاع التي تتيحها الحاسبات الآن .

وما أظنني بحاجة إلى القول بأنه بدون الفهرس يتعذر استخدام أي مكتبة ، لأنها لو رتبت مجموعاتها ترتيباً موضوعيًا - كما هو الحال في معظم المكتبات - وأتاحت لجمهورها التعامل مع الرفوف مباشرة ، فلن يستطيع أحد أن يصل إلى الكتب التي تقتنيها لمؤلف معين ، ولا إلى كتاب بعنوان معين .

وطبيعة الاستخدام ونوعية المستفيدين واحتياجاتهم هي التي تحدد حجم البيانات التي تدوَّن في بطاقة الفهرس . فالبيانات التي يحتاجها الباحث و طالب الجامعة عن الكتاب تختلف كمًا ونوعاً عن البيانات التي يحتاجها طالب المدرسة المتوسطة (الإعدادية) أو جمهور المكتبة العامة . والبيانات التي تقدمها قائمة حصر كتب مكتبة من المكتبات تختلف اختلافاً كبيراً عن تلك التي يقدمها فهرس تحليلي للمجموعة نفسها . وبيانات فهرسة المخطوط تزيد كثيراً عن بيانات فهرسة المطبوع ، لأنه في حالة الكتاب المطبوع تتفق جميع نسخ الطبعة الواحدة في ملامحها المادية ، أما المخطوطات فكل نسخة لها ذاتيتها وخصائصها الفردية .

هذا هو الفهرس . أما الببليوجرافيا فهي ناتج جمع الفهرسة والتحليل الموضوعي أو التصنيف ، لأنها عبارة عن بطاقات فهرسة رتبت بطريقة معينة روعي فيها أن تحقق أكبر قدر من الفائدة لمن يستخدمها .

ولأن مصطلحي الفهرسة والببليوجرافيا لا يتداولهما - عادة - غير المكتبيين ، فقد أخذت الحدود بينهما تتضح يوماً بعد يوم ، وبدأ مفهوم كل منهما يستقر في الأذهان متميزاً عن الآخر . ولكننا - مكتبيين وغير مكتبيين - ما زلنا نستخدم لفظ (الفهرس) للدلالة على محتويات الكتاب أو المجلة ، وقد نستخدمه للدلالة على المفكرة التي نسجل فيها أرقام الهواتف . وفي كتب التراث المحققة ، وفي بعض الكتب الحديثة أيضاً ، نجد ما يسمى بفهرس الأعلام أو الأماكن أو القوافي أو غيرها . وإذا تأملنا هذه الاستخدامات الثلاثة للفظ (الفهرس) وجدنا بينها تفاوتاً شديداً ، ففهرس الكتاب يعرض محتوياته حسب تسلسل ورودها فيه ، أما فهرس (أو فهرست) التليفون (الهاتف) فيسجل أسماء أصحاب الهواتف في ترتيب هجائي ، وأما الفهارس التي تذيَّل بها بعض الكتب فليست فهارس Catalogues بالمعنى الاصطلاحي وإنما هي كشافات Indices تحلل محتويات تلك الكتب وتستخرج ما في بطونها من جزئيات تسردها مرتبة على حروف المعجم(١) .

وهكذا يتبين لنا أن كلمة (فهرس) كانت تطلق في تراثنا العربي على الفهارس والببليوجرافيات ، وكان السياق هو الذي يحدد أي الفئتين هي التي يقصدها الكاتب أو المؤلف . أما في العصر الحديث فقد استقل كل من المصطلحين بدلالة متميزة عن الآخر ، ولكن مصطلح الفهرسة وقع في لبس جديد مع الكشافات التي تذيَّل بها بعض المؤلفات لتيسير استخدامها والاستفادة من محتوياتها . والغريب أن يسهم « معجم المعلوماتية » الصادر عن مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٩٥ في تأصيل هذا اللبس ، حيث نجد كلمة Index يقابلها : فهرس - مشير ، وكلمة Indexation indexing يقابلها فهرسة ، و index address : عنوان مفهرس ، indexed organization تنظيم مفهرس . أما كلمة

---

(١) هذا اللبس لم يسلم منه رشيد عبد الحق في كتابه « المصطلحات العربية في علوم المعلومات : دراسة لغوية وتطبيق على ألفاظ الفهرسة والفهارس » الذي يختم بـ« فهرس الأعلام » و « فهرس الأماكن ».

Catalogue فيقابلها ثَبَت ، خلافاً لما تعارف عليه المكتبيون العرب والمشتغلون بعلم المعلومات .

وكلمة (ثبت) كلمة عربية وتؤدي المعنى ، ولكنها غير مستخدمة في الإنتاج الفكري للمكتبيين العرب ، وغير مألوفة عند جمهور المستفيدين من المكتبات . ومثلها كلمة (مجذّة) التي ذكرها رشيد عبد الحق في كتابه « المصطلحات العربية في علوم المعلومات » (١) للدلالة على الفهرس أو الوعاء الذي توضع فيه الجذاذات .

وأنا من المؤمنين بثراء اللغة العربية وقدرتها التعبيرية الفائقة ، ومن المتحمسين لاستخدام الألفاظ العربية بديلاً عن الألفاظ الأعجمية ، ولكنني على قناعة تامة بأن اللغة وسيلة اتصال بين الناس كما سبق أن ذكرت ، ولا قيمة لمصطلح صحيح لا يوصل المعنى المراد منه بدقة لمن يتلقاه . وكم من الألفاظ الصحيحة المسجلة في بطون المعاجم العربية مات لأنه لم يعد متداولاً على الألسنة . وكم من الألفاظ الصحيحة تقرّها اللغة العربية ولا نجد لها أثراً في الاستخدام أو حتى في المعاجم المتخصصة .

ودعونا نصارح أنفسنا بأن مجال المكتبات والمعلومات يعاني من فوضى لا حدود لها في استخدام المصطلحات . وهذه الفوضى تتكشف لنا بعض أبعادها في الملتقيات والمؤتمرات والندوات العلمية حتى ليخيّل إلى المرء في بعض الأحيان أن المشارقة – مثلاً – يتكلمون لغة عربية غير لغة المغاربة ، وحتى إنه ليتعذر على المتخصصين في دولة عربية فهم كثير من المصطلحات التي يستخدمها زملاؤهم في دولة عربية أخرى ، وربما يمنعهم الحياء والخجل من الاستفسار عن دلالات تلك المصطلحات .

وأتصور أننا بحاجة إلى دراسة مسحية للمصطلحات المستخدمة في مجال المكتبات والمعلومات بعامة ، وفي مجال الفهرسة وفروعها بصفة خاصة ، كخطوة

(١) ص ١٠٤ .

ضرورية على طريق التوحيد . فمن غير المقبول - ونحن على بوابة القرن الحادي والعشرين - أن ندرّس الفهرسة الوصفية تحت هذا المسمى تارة ، وتحت مسمى الوصف الببليوجرافي تارة أخرى . صحيح أن الوصف الببليوجرافي هو العنصر الغالب على بطاقة الفهرسة ، ولكن هناك عناصر أخرى أهمها المدخل الذي يكون غالباً بالمؤلف ؛ والذي يعتبر بمثابة مفتاح لاستخدام الفهرس ، كما أنه مثار كثير من الجدل والخلاف الذي لا يحسمه إلا وجود قوائم معيارية بأسماء الأفراد والهيئات تحقق صيغة واحدة للاسم الواحد ، وتعفي المكتبيين من الاجتهاد ، وتريحهم من البحث في كتب التراجم . ولكن ماذا يصنع المفهرس إلى أن توجد مثل تلك القوائم؟ وكيف يتخرج دارس المكتبات دون أن يسمع عن المداخل التي خصص لها قدر كبير من قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية ؟ وهل يمكن أن تدخل دراسة قوائم الاستناد تحت مسمى الوصف الببليوجرافي ؟ أليست المشكلة هنا مشكلة مصطلح وحدوده ؟

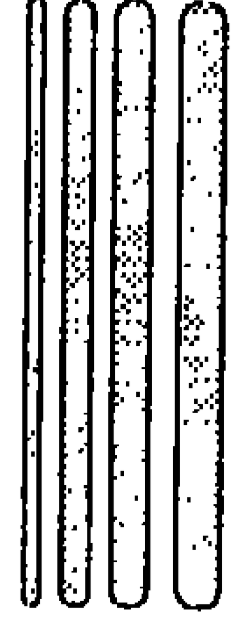
ومع كل هذا فإن وضع الفهرسة يكون أفضل حالاً وأكثر انضباطاً في حالة التعامل مع المطبوعات ، ربما لوجود تقنينات يمكن الرجوع إليها عند الاختلاف في ترجماتها ، وربما لوجود ممارسات وكتابات كثيرة في الموضوع . أما فهرسة المخطوطات فمشكلة المصطلح فيها أعقد بكثير . ولست أريد أن أفتح باب الجدل حول المخطوط نفسه وموقعه بين علوم المكتبات وعلوم الوثائق ، وإنما أكتفي بالإشارة إلى هذه المسألة لأنها قضية مصطلح بالدرجة الأولى .

وتشترك المخطوطات مع المطبوعات في مواجهة مشكلة المداخل وكيفية كتابة الأسماء العربية القديمة ، ولكنها تواجه بمفردها مشكلات أخرى أكثر تعقيداً لأن بيانات الوصف الببليوجرافي للمخطوط أشد تفصيلاً وتنوعاً ، فهي تغطي مجالات متعددة كالخطوط والأحبار والألوان وفنون الزخرفة والتذهيب والتجليد ، وهذه المجالات لها مصطلحات متخصصة دقيقة ، وهي تذكر بداية المخطوط وخاتمته وتعرّف بمختلف صور التوثيق التي يحملها ، كالتملكات والسماعات والإجازات

والمقابلات وغيرها من البيانات التي يلزم ذكرها للتفريق بين نسخة وأخرى ، والتي يلزم أن تكون لها مصطلحات محددة وموحدة بين المفهرسين . يضاف إلى ذلك أن مفهرس المخطوط يصطدم بالضرورة بمجموعة من المصطلحات والرموز المستخدمة في كتابة المخطوطات وتصويب الأخطاء والتواريخ لابد أن يكون على دراية تامة بها .

ومما يؤسف له حقًا أن عناصر بطاقة فهرسة المخطوط ما زالت موضع خلاف بين المفهرسين العرب ، وأن مسميات هذه العناصر وترتيبها أيضاً ليس محل إجماع . وهذا يترك الباب مفتوحاً للاجتهادات الفردية ، ولمزيد من الخلاف والتشتيت في المصطلحات المستخدمة ودلالاتها . فهل لي أن أقترح عقد ندوة تخصص لهذا الموضوع ، وتوضع أمامها كل المصطلحات التي أقرتها المجامع العربية ، إضافة إلى « مشروع معجم المعلوماتية» الذي أعده مكتب تنسيق التعريب بالرباط ؟ ولو لم تخرج هذه الندوة إلا بالتعريف بهذا المعجم ومناقشته وتقييمه وإثرائه بملاحظات المتخصصين من مختلف الدول العربية لكان ذلك كافياً .

* * *



علاقة الفهرسة بعلم المخطوطات

د. أحمد شوقي بنبين

على الرغم من المحاولات العديدة التي عملت على تقنين قواعد فهرسة المخطوطات ورسم مناهجها فإن الصورة النهائية لهذه العملية لم تتحدد حتى الآن في أذهان الممارسين لها في جميع الجهات . ولم تكن المشكلة وليدة اليوم بل قديمة قدم الفهرسة ذاتها .

وإذا استعرض الباحث في هذا المجال الفهارس التي عملت على توصيف المخطوطات بدءًا بما بقي من شذرات فهرس الشاعر اليوناني كاليماخوس Callimacus [(١)] لمخطوطات مكتبة الإسكندرية ، مروراً بما وضعه الغربيون من فهارس لمخطوطاتهم [(٢)] إلى الفهارس الحديثة التي وضعت للتراث العربي

(١) كاليماخوس شاعر يوناني في القرن الثالث قبل الميلاد عيَّنه البطالسة على رأس خزانة الإسكندرية . وقد وضع لها فهرساً مفصلاً بعنوان : « قوائم جميع المؤلفات الهامة في الثقافة اليونانية وأسماءمؤلفيها » . ويعتقد الأخصائيون أنه أول فهرس منهجي (Pinakes) وضع في التاريخ باعتببار الطريقة العلمية التي لجأ إليها كاليماخوس في تقسيمه تقسيماً علمياً ، وتصنيف الكتب حسب هذا التقسيم . واعتبره البعض نوعاً من الفهارس الموحدة وضعه كاليماخوس لجميع خزائن الإسكندرية . والحقيقة أن هذا الفهرس يمكن اعتباره تاريخاً للأدب اليوناني باعتبار التعاليق التي خصه بها أريستوفانيس البيزنطي أحد أمناء مكتبة الإسكندرية بعد كاليماخوس . وقد احتفظ بشذرات من هذا الفهرس بخزائن المتحف البريطاني بلندن .

(٢) قد تجدر الإشارة إلى أن أول من اهتم بفهرسة الأرصدة العربية المحفوظة في الخزانات الأوروبية هم العرب المشارقة . وكان بطرس دياب الحلبي وبارت السوري ويوسف العسكري أول من فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية الفرنسية بباريز . كما كانت أسرة السماعنة المارونية مثل يوسف شمعون السمعاني وشقيقه عواد أول من تصدى لفهرسة التراث العربي في مكتبات إيطاليا . وكذلك كان في إسبانيا فإن ميخائيل الغزيري اللبناني كان قد وضع أول فهرسة للمخطوطات العربية بخزانة الإسكوريال .

المخطوط ، فإنه يلاحظ خلوها من أية أسس موحدة ، وبالتالي فإنها تختلف اختلافاً بيناً في المنهج المتبع في أساليب وصف المخطوطات . لم يقتصر الأمر إذن على التراث العربي وحده بل يشمل المخطوطات في جميع اللغات وفي مختلف العصور والأزمان .

فهل يرجع السبب في ذلك إلي عدم تحديد الفهرسة تحديداً علمياً من شأنه أن يوحد هذه العملية في جميع الجهات وفي مختلف اللغات ؟ تكاد كل التحديات تتفق على أن الفهرسة تهدف إلى الضبط البيبليوغرافي للمخطوطات وتوثيق وجودها والتعريف بها للمهتمين من القراء والباحثين . ولكن ما هي حدود هذا التعريف وما هي مواصفاته ؟ وما هي البيانات المختلفة والضرورية التي يجب أن نقف عندها ولا نتجاوزها في توصيفنا للمخطوطة ، وما هي الطرق الكيفية التي يمكن للمفهرس أن يعالج بها مخطوطته في عملية الفهرسة ؟ أعتقد أن هذا لا يمكن أن يتم إلا إذا حاولنا أن نحدد الفهرسة تحديداً كوديكولوچيا أي أن نبرز الحدود التي تفصل بين خصائص الفهرسة ومهام علم المخطوطات .

اختلف علماء الغرب في تحديد الفهرسة بالنسبة لعلم المخطوطات أو الكوديكولوچيا . منهم من جعلها عنصراً من عنصر هذا العلم[١] ومنهم من اعتبرها فنًا قائماً بذاته يتداخل ويتكامل مع علم المخطوطات . والحقيقة أن كثيراً من العناصر اللازمة لتوصيف المخطوط قد يشترك في الاهتمام بها كل من الكوديكولوچي والمفهرس ، فكلاهما يعمل على التعريف بالمخطوط أو دراسته باعتباره قطعة مادية[٢] . ومن بين هذه العناصر قضية مصدر المخطوط التي يتكلف المفهرس

(١) Alphonse Dain : Les Manuscrits .

(٢) طريقة الكوديكولوچي تشبه طريقة العالم الأثري الذي يحاول إعادة بناء القطعة الأثرية المكتشفة ، لهذا اقترح بعض علماء الفيلولوچيا في فرنسا وفي بلچيكا عبارة أثرية المخطوط (L'Archéologie du manuscrit) للتعبير عن علم المخطوطات .

البحث فيها ، كأن يقول مثلاً جاء هذا الكتاب من خزانة كذا أو كان محفوظاً في مسجد أو زاوية معينة أو جاء به وجيه من مجموعة وجيه آخر علي غرار ما نجد في مختلف الفهارس[1] ، فهذه ليست مهمة المفهرس بقدر ما هي مهمة الكوديكولوچي الذي يلخل في اختصاصه البحث عن مصادر المخطوط ورحلاته بين الخزائن والمكتبات عبر العصور ، وذلك ليدرس مجالات أخري كتاريخ الخزانات وتاريخ المخطوطات ، وهي كما نعلم من أخص عناصر علم المخطوطات الحديث . وقد أوصى رمضان ششن التركي في أحد أبحاثه بإعطاء لمحة عن تاريخ المكتبات التي مر منها المخطوط أثناء فهرسته ، وهو كما نلاحظ تجاوز صريح لمجال الكوديكولوچي من طرف المفهرس[2] .

وقد يعمل الرجلان علي تاريخ المخطوط غير المؤرخ ، فالمفهرس يورخه بالتقريب اعتماداً على الحدس والتخمين والتجربة الشخصية في مجال الفهرسة ، ولا ينكر أحد الجهود التي بذلها علماؤنا الأجلاء في هذا المجال[3] غير أنه قد يصيب كما أنه قد يخطئ ولا مجال هنا للتعرض للأخطاء التي وقع فيها كثير من المفهرسين في هذا الميدان . أما عالم المخطوطات فإنه بالإضافة إلى كفاءته

---

(١) ينظر فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة الوطنية بباريز .

(٢) من الأمثلة على تتبع مصادر المخطوطات والبحث في رحلاتها وتاريخها تلكم الأعمال التي خص بها العالم المغربي محمد المنوني النسخة التي بقيت من مصاحف عثمان - رضي الله عنه - حيث تتبعها منذ أن دخلت المغرب في القرون الإسلامية الأولي وانتقلت في بيوت الملوك والسلاطين إلى أن ضاعت في البحر في القرن الثامن الهجري في العهد المريني . وهي حسب المختصين آخر نسخة من نسخ القرآن التي نسخها هذا الخليفة الراشدي .

(٣) التملكات والسماعات والإجازات لها أهمية بالغة بالنسبة لمن يؤرخون للمخطوط العربي غير المؤرخ . وهي من الوسائل التي يعتمدها معظم العاملين في مجال الفهرسة ، فإنها تساعد على تحديد تاريخ المخطوط في حالة عدم وجوده ، وتكشف عن قيمته ومدي اهتمام الناس به في فترات معينة من التاريخ .

وتجـربته الفردية يستعمل لتأريخ المخطوط غير المؤرخ مجموعة من الأدوات التقنية والعلمية استعيرت من النظريات الفيزيائية والكيماوية أتاحتها البحوث العلمية الحـديثة[1] .

أما إذا كان المخطوط مؤرخاً فالمفهرس يحتفظ بالتاريخ المذكور في الكولوفون (COLOPHON) أو حرد المتن، أما عالم المخطوطات فإنه ببحثه بحثاً كوديكولوچيا ليتأكد من صحته . فقد يدرس الورق ليتحقق من عمر المخطوط ، ولم يكن دائماً قدم الورق دليلاً علي قدم المخطوط في الزمن . وقصة ابن البواب الذي أكمل الجزء الثلاثين من قرآن ابن مقلة في ورق شبيه بورق ابن مقلة أكبر دليل على ذلك[2] . ويعلم المختصون كم هي كثيرة تلكم المخطوطات التي يحتفظ الناسخ في نسخته بتاريخ النسخة المنسوخ منها . وقد يقصد الناسخ إلى ذلك قصداً . وقد يكون منه سهواً . وللتأكد من تاريخ المخطوط أهميتان أساسيتان بالنسبة للفيلولوچيين ولعلماء المخطوطات :

---

(١) يعمل الكوديكولوچي في مخبر للاستفادة من النظريات الفيزيائية والكيماوية كالتحليل الكيميائي للمداد والأوعية والهولوغرافيا (Holographie) للمقارنة بين الخطوط والبتارديوغرافيا (Bétaradiographie) لمعرفة علامات الكاغد (Filigranes) خصوصاً إذا كان الكاغد أوروبياً لأن الكاغد العربي لا يحمل هذه العلامات والمعهد الوحيد في العالم الذي تطبق فيه هذه الأشياء هو معهد البحث وتاريخ النصوص (I.R.H.T) التابع للمركز الوطني للبحث العلمي في باريز . ويتكون هذا المعهد من شعب مختلفة وهي الشعبة الإغريقية ، والشعبة اللاتينية والشعبة العبرية والشعبة العربية . بالإضافة إلى هذه الأقسام هناك قسم الكوديكولوچيا . ينشر المعهد مجلة تاريخ النصوص ، وهي الدورية الدولية الوحيدة المتخصصة في تاريخ النصوص .

(٢) انظر الكتاب العربي : بدرسن Pedersen ص ١١٣ من الترجمة العربية . في الثلاثينيات عرض في مكتبة القاهرة الكبرى ما يفترض أنه مخطوطة أصلية لابن مقلة ، وقد تبين في ما بعد أنها كانت من أعمال خطاط حديث .

أولاهما تعطي المقومات الأساسية لتاريخ النصوص ، وهو الأساس لما نسميه نحن العرب بالتحقيق العلمي .

وثانيتهما تساعد على تقدم الدراسات المتعلقة بالباليوغرافيا أو علم الخطوط القديمة(١) .

ومن البيانات التي يشترك فيها المفهرس والكوديكولوچي وصف نوع الورق أو الجلد أو الطرس الذي كان المادة التي تم نسخ المخطوط عليها . بعض المفهرسين يقضي وقتاً طويلاً في وصف المادة التي هي وعاء المخطوط باحثاً عن نوعيتها ومصدرها كأن يقول إذا كان المخطوط مكتوباً على الورق : هو ورق عربي ، أو أوروبي إذا كان يحمل علامة (Filigranc)(٢) . وإذا كان مكتوباً على الرق يقول : هو رق غزال أو جلد أو غير ذلك . أما إذا كانت المادة المستعملة للكتابة طرساً(٣)

(١) لفظ باليوغرافيا (Paléographie) من وضع العالم والراهب البندكتي (Bénédictin) الفرنسي مونفكون (Montfaucon) ١٧٤١ م ، استعمله لأول مرة في اللغة الفرنسية بهذا الشكل في إحدى رسائله المؤرخة بتاريخ ١٤ دجنبر ١٧٠٨ . درس هذا الراهب اللغة الإغريقية واللغات الشرقية وله كتاب في المنهج بعنوان : علم الخطوط الإغريقية القديمة Paleographia graeca .
ويجب الإشارة إلى أن علم المخطوطات كان يعتبر إلى وقت قريب جزءاً من الباليوغرافيا أو علم الخطوط القديمة . وقد كان العلماء الألمان يقولون الباليوغرافيا التطبيقية أو التاريخية (Palaögraphie) للتعبير عن علم المخطوطات قبل أن يستعملوا لفظ هاندشر يفتنكونده (Handschriftenkunde) واحتفظوا بلفظ باليوغرافيا لعلم الخطوط القديمة .

(٢) يظهر هذا جلياً في بعض الفهارس التي وضعها المستشرقون للمخطوطات العربية المحفوظة في الخزانات الأوروبية فإنهم يصفون العلامة ويحددون معالمها كأن يقال مثلاً : علامة على شكل رأس ثور أو شكل هلال مثلاً : انظر فهرس باريز .

(٣) الطرس ج طروس، وهي رقاق. وقد جاء ذكرها هنا وهناك في النصوص الأدبية، أخبرنا ابن النديم في الفهرست بأن سلطات بغداد اضطرت إلي استخدام الرقاق المستعملة لسنوات كثيرة لأن المكاتب سرقت ونهبت . ولما أصبح الكاغد يصنع في بغداد على عهد الرشيد أمر البرمكي الكتاب ألا يكتبوا الرسائل الرسمية إلا على الورق لأن الجلود تمحى ويكتب فيها من جديد . انظر الكتاب العربي للمستشرق الدانمركي بدرسن Pedersen . ص ٨١ من الترجمة العربية . ويقال كذلك طلسن : ج أطلاس وهي الصحيفة المحوة ، كما يقال له : رق مبشور .

(Palimpsceste) وهو الجلد الذي يكتب عليه ثم يمحى ويكتب عليه من جديد – وهذه الظاهرة عرفتها النساخة العربية في فترات تاريخية مختلفة – فإن المفهرس يكتفي بكلمة رق أو جلد لنعت مادة الكتابة لأنه لا يملك من الإمكانيات العلمية ما يؤهله لتمييزه من الجلد الخام .

إن الإسهاب في وصف مادة الكتابة من ورق وجلد وطرس هو من مهام عالم المخطوطات الذي يبحث فيها لتحقيق غايات أخرى يهدف إليها من خلال دراسته للمخطوط دراسة كوديكولوچية .

فالبحث في نوع الورق(١) وفي مصدره وفي أماكن صنعه يهدف منه عالم المخطوطات إلى إبراز مظاهر التطور التي عرفته هذه المادة عبر التاريخ منذ أن كان مادة عربية تصدر إلى أوربا ، ثم مادة أوربية تصدر إلى البلاد العربية والإسلامية(٢)

---

(١) في بعض النصوص القديمة كلمة ورق لا تعني الكاغد (وهي كلمة صينية) بمعناه الحديث (Papier) بل يقصد بها أحياناً ورق البردي المصري (Papyrus) . لهذا وجب الاحتياط وإمعان النظر عند قراءة النصوص القديمة المتعلقة بالورق .

(٢) كان الكاغد العربي يصدر إلى أوروبا قبل أن تنشأ فيها مصانع لصنعه . وأكبر دليل على ذلك احتفاظ اللغات الأوروبية بكلمة رزمة العربية التي هي خمسة كفوف ، والكف يضم خمساً وعشرين صحيفة . يقال في اللغتين الإيطالية والإسبانية (Resma) و « رام » Rame في الفرنسية و « رايز » (في الأصل رز) في الألمانية ، و « ريز » في النماركية ، و « ريم » في الإنجليزية . (انظر الكتاب العربي ، ليوهنس بيدرسن J. Pedersen الترجمة العربية ص ٩٢ (د. صيدر غيبة) .

وأصبح الكاغد الأوروبي يستورد إلى الدول العربية بدءاً من القرن الثالث عشر الميلادي خاصة في مدينة النبدقية الإيطالية التي كانت مشهورة بمصانع الورق . وكان الورق المصنوع فيها يحمل علامة (Filigrane) غالباً ما تكون رمزاً من رموز المسيحية . ولكن الورق الذي يصدر للبلاد الإسلامية يحمل علامة ترمز إلى رمز من رموز الإسلام كالهلال وغيره . أما الطروس أو الطلوس فهي ظاهرة قد عرفت في الغرب الإسلامي . عندما فتح العرب الأندلس وصقلية محوا الكتب اللاتينية واليونانية بعد ترجمتها وكتبوا عليها ثانية . ولما خرج العرب من الأندلس محا الإفرنج كتب العرب وكتبوا عليها مع أنهم في غنى عن ذلك لوجود الكاغد =

ويهدف من البحث في نوع الجلد الذي يمكن أن يكون خاماً أو مدبوغاً أو مصنعاً أو ورقاً (Parchemin) أو طرساً Palimpcscst إلى التطور الذي عرفته كذلك هذه الأداة من جهة ، ثم إلى التنافس الذي عرفته المادتان معاً - الورق والجلد[1] - باعتبارهما أداتين أساسيتين للكتابة العربية من جهة أخرى .

وقد دأبت بعض فهارس المستشرقين علي الإسهاب في وصف مادة الكتابة وصفاً يكاد يخترق به مجال علم المخطوطات . وقد يلاحظ هذا بالخصوص في توصيف الجلد الذي كان أداة للتجليد أو التفسير .

إن بعض الفهارس وكذلك بعض البطاقات المقترحة من طرف مكتبيين وعلماء لفهرسة المخطوط العربي تلح على الإشارة إلى مكان نسخ المخطوط مع ذكر اسم الناسخ إن ذكرا في حرد المتن أو الكولوفون . ذكر الناسخ أساسي في التعريف بالمخطوط . وقد تحدد قيمة الكتاب بحسب ناسخه ، فالمخطوطة نسخة أصلية إذا كانت بخط مؤلفها ، وهي مهمة إذا كانت بخط أحد العلماء المشهورين أو الخطاطين المعروفين . وإذا كان من مهام المفهرس الاكتفاء بذكر اسم الناسخ فإن مهمة عالم المخطوطات استغلال وجود هذا الاسم لتحديد نوع النسخة - أصلية

= الذي نشره العرب في أوروبا . وفي القرن الماضي استخرج الأوروبيون بوسائل كيماوية النصوص الغربية القديمة من الطروس العربية وبقيت الطلوس الإفرنجية محتفظة بسر الكتب العربية المطلوسة .

(١) هناك نماذج من المخطوطات كتبت على الجلد والورق معاً . إن هذا التركيب المزدوج يمثل التزامن الذي عرفته المادتان معاً باعتبارهما وعاء للكتابة العربية ، كما يرمز إلى الانتقال التدريجي من الجلد إلى الورق . وكمثال على ذلك : المعج اللاتيني - العربي المحفوظ بخزانة جامعة ليدن بهولندة تحت رقم OR 231 . صفحات الوقاية من الرق وباقي صفحات المخطوط من الورق .

كانت أو عادية - ولإبراز رسم الخط الذي كتبت به في محاولة لدراسة وتطور نوع هذا الخط[1] .

كما يساعد البحث في هذا الموضوع على دراسة مسألة النساخة والنساخ بوجه عام في التراث العربي ، وهي قضية من قضايا علم المخطوطات التي لم تحظ بعناية الباحثين حتى اليوم . وكم هي كثيرة المشاكل التي شوهت تشويهاً كبيراً نصوص هذا التراث بسبب أيدي النساخ الذي يجب تخصيصهم بكشافات[2] وأدلة ومونوغرافيات تساعد على القيام بالبحث في حيواتهم وسلوكهم ، ثم إخضاعهم لعملية الجرح والتعديل التي خضع لها رواة الحديث ، وخضع لها حتى الرواة من علماء اللغة والأدب . وقد يسفر مثل هذا البحث عن نتائج إيجابية تستفيد منها نصوص التراث العربي الكثير .

أما مكان نسخ المخطوط الذي نجده في كثير من الفهارس فهو ليس مهماً للمفهرس بقدر ما هو أساسي للباحث في علم المخطوطات . إن الإشارة إلى مراكز النسخ في خواتم المخطوطات قد تؤدى خدمة كبرى للكوديكولوچي إذ تساعده على استجلاء الكثير من الغوامض والإجابة عن كثير من الأسئلة العلمية والتقنية المتعلقة بالمخطوط التي لا تزال حتى اليوم تحير الباحثين في هذا المجال . واقتصر هذا على قضية الكراس أو الكراسة في التراث

---

(١) يحاول بعض المفهرسين التمييز بين المداد والحبر الذي نسخ به المخطوط ، وهو كذلك تطاول على مهمة الكوديكولوچي الذي يحلل المداد أو الحبر في المختبر محاطاً بالآلات والتجهيزات اللازمة لهذا التحليل بهدف الوصول إلى المواد التي تتركب منها هذه المادة ، والأسباب التي دعت إلى انطماس المداد أو إلى بقائه .

(٢) هذا النوع من الكشافات قد يؤدي خدمة جليلة للمهتمين بالتوثيق والتحقيق العلمي . كما يجب علينا في عالمنا العربي أن نصنع مونغرافيات للنساخ المشهورين مثل ابن مقلة وابن البواب والمستعصمي وسواهم من ألوف النساخ الذين عرفتهم البلدان الإسلامية في مختلف العصور .

العربي المخطوط . يبدو حسب الكثير من المخطوطات أن الكراسة لا تعدو عشر ورقات ، وتكون الإشارة إليها بحرف الكاف وقد تكون الإشارة بالكلمة بكاملها[1] وقد أكد البحث في هذا المجال أن الكراسة[2] قد تكون إحدى عشرة ورقة وقد تكون ثمانياً[3] ، وقد تكون غير ذلك[4] .

فهل يعني هذا أن عدد أوراق الكراسة يختلف باختلاف مراكز التنسيخ ، أو أن هذا الاختلاف يرجع في أصله إلى أسباب أخرى مجهولة لن يكشف عنها إلا البحث الكوديكولوچي للمجموعات الخطية المحفوظة في مختلف الخزانات الدولية بدءاً بوضع قوائم خاصة بالمخطوطات التي حظيت بذكر مركز النسخ ، ثم ترتيبها زمانياً ومكانياً ؟

(١) وقد يكون الترقيم بالكراريس بالأرقام الهندية ، وقد يكون كتابة كأن يقول : سابع ، ثامن ، أو سابعة ، ثامنة مع الضمير الذي يعود على الكراسة .

(٢) لم يوجد حتى الآن تعريف نهائي متفق عليه لكلمة كراسة التي استعملت في العربية منذ بداية حركة التأليف ، وقد اعتبرها بعض القدماء كتاباً واعتبرها لبعض الآخر كتيباً . وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانات الؤروبية كخزانة برلين بألمانيا قد أدى ترميمها إلى قص الأوراق مما أدي في غالب الأحيان إلى تقزيم أو فقدان كاف الكراسة أو الكلمة نفسها ، لأنها لم تعد مهمة بعدما عوضت بنوع آخر من الترقيم .

(٣) سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي ، المحفوظ بمكتبة توبنجن Tubingen بألمانيا بخط مغربي نسخ عام ٥٨٢هـ كراسته ثماني ورقات مرقم ترقيماً هندياً .

(٤) في أبحاثي الكوديكولوچية التي أجريتها في ألمانيا على مجموعة من المخطوطات القديمة المرقمة حسب الكراريس لاحظت أن الكراسة لا تتجاوز ثماني ورقات ، كما لاحظت أن مخطوطات أخرى كانت الكراسة فيها إحدى عشرة ورقة . وقد زشار المستشرق الدانمركي بدرسن Pedersen في كتابه : الكتاب العربي (The Arabic Book) ص ٩٢ منالترجمة العربية إلى أن الكراسة ثماني صفائح مطوية . واعتبر أحد المحدثين وهو حسن حسني عبد الوهاب الكراسة عبارة عن كتيب حين قال في شأن تاب المختار من شعر شعراء الأندلس لابن الصيرفي ٥٤٢هـ : يظهر أن أصل هذا الكتاب يخرج في ستة كراريس أي نحو مائتي صحيفة . والصحيفة هي الورقة . انظر مقدمة الكتاب بقلم محققه هلال ناجي ص ١١ .

ومن البيـانات التي تدخل في حقل الوصف المادي للمخطوط بيان نوع الخط الذي كتبت به النسخة المفهرسة . يكتفي المفهرس بأن الخط شرقي أو مغربي من دون أن يحدد نوعيته الشرقية أو المغربية[1] . وقد توحي المخطوطة المفرسة بأنها كتبت بخطوط مختلفة فيشير المفهرس في بيانه إلى هذا الاختلاف من دون بذل أي محاولة لمعرفة سبب ذلك مكتفياً بقوله إنها نسخت بأقلام مختلفة . إن عالم المخطوطات يستطيع أن يثبت أنه ليس من الضرورة أن تكون المخطوطة قد نسخها نساخ مختلفون بل هي من خط ناسخ واحد نسخها في حالات نفسية مختلفة أو في فترات زمنية متباعدة تغير معها خطه . وقد يستخلص هذا من دراسة مخطوطية معمقة لكل أثر من آثار المؤلف . ولن يتأتي هذا البحث للمفهرس العاجل المحاط بآلاف النسخ التي تنتظر التعريف والفهرسة [2] .

---

(١) الخط الشرقي أنواع . والخط المغربي كذلك : منه الأندلسي والتونسي والفاسي والبدوي وما إلى ذلك .

(٢) أثبت علماء المخطوطات أن النساخ يملكون أكثر من خط واحد بدليل أنهم يكتبون الشروح والهوامش بخط مغاير لخط النص . وأنهم يميلون بعض الأحيان إلى تقليد خط النسخة التي ينقلون منها أو ليكون خطهم قريباً من خط النسخة الأم . وقد ثبت في التراث الأوروبي المخطوط أن كثيراً من النصوص الدينية المقدسة المنسوخة في القرن ١٢ و ١٣م تذكرنا من حيث الخط بمخطوطات القرن العاشر الميلادي . انظر كتاب المخطوطات الفونش دان Dain ص ٣١ بالفرنسية . ومما يبرز مهارة النساخ هو قدرتهم على تعويض ورقة أو جزء من أجزاء مخطوط ضاع مع الزمن بنفس خط الأوراق أو الأجزاء الأخري ، ولا أدل على ذلك من قصة ابن البواب الذي لما كلفه بهاء الدولة حينما كان على رأس خزانته بشيراز بكتابة الجزء الذي ضاع من القرآن الذي نسخه ابن مقلة في ثلاثين جزءاً ، فكتبه وقدمه للأمير مع باقي الأجزاء ففحصها بدقة دون أن يكتشف النسخة المكتوبة حديثاً ، فاحتفظ به جميعاً على أنها من أعمال ابن مقلة .

انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي . والكتاب العربي لبدرسن ص ١١٣ من الترجمة العربية .

وعلى الرغم من هذه الأكداس من المخطوطات فإن هذا المفهرس العابر قد يتوسع أحياناً في التفصيل ، فيحاول المقارنة أو المقابلة بين نسخ المخطوط المفهرس . يكتفي تارة بمقارنة الكتاب بما هو محفوظ من نسخ أخرى بالخزانة المفهرسة ، ويتجاوزها تارة أخرى إلى مقابلة نسخته بما تيسر له ووقف عليه من نسخ المخطوط المحفوظة في مكتبات أخرى[1] مستعيناً في عمله هذا بالأدوات الببليوغرافية من كتب تراجم وأثبات وقوائم وفهارس مثل كتب تاريخ الأدب العربي لبركلمان (brockelman) [2] . وقد تدعو البيانات التوثيقية المفهرس إلى ما يسى بالبيانات التلخيصية يعرف خلالها بموضوع الكتاب وأفكاره وأبوابه وفصوله ، فيتجاوز الملخص أحياناً مرحلة التحليل الموجز للكتاب إلى مرحلة النقد وإبداء الرأي ، فيصبح الفهرس ببليوغرافيا نقدية ، بل ربما تجاوز المفهرس كل هذه المراحل ليقوم بتاريخ للنص المفهرس مقتحماً بذلك وبدون شعور فضاء المختص في تاريخ النصوص أو مجال الكوديكولوچي الذي يعمل على البحث على مختلف نسخ المخطوط للمقارنة في ما بينها ولدراستها دراسة مخطوطية علمية يستفيد من نتائجها من نسميه بالمحقق .

لقد رأينا في ما سبق بعض العناصر التي تعتبر في رأي العلماء أساسية في عملية ما اصطلح عليه بالفهرسة ، وأبرزنا العلاقة التي تربط بين المفهرس

(١) بعضهم وهم كثر يشير إلى طبعات الكتاب إذا كان قد طبع معتبراً الطبعة نسخة أخري يستأنس بها في المقابلة أو المقارنة .

(٢) كثير من الفهارس تشير إلى وجود الكتاب أو عدم وجوده في كتاب بروكلمان (GAL) ولم تعد الإشارة إلى هذا الكتاب ضرورية ما دامت الكتب التي لا يحصيها لا تتجاوز ٢٠ ألف كتاب في حين يقدر تراثنا المخطوط بالملايين . من المستحب أن يستشار الكتاب لا من طرف المفهرس بل من طرف عالم النصوص التي يكون بحاجة إلى النسخ المتعددة للمخطوط الواحد . وقد زصبح الكتاب اليوم متجاوزاً ، ذلك أن آخر طبعاته ترجع إلى بداية الأربعينات وقد صدرت منذ ذلك الوقت مئات الفهارس فهرست فيها آلاف المخطوطات العربية المكتشفة .

والكوديولوجي في معالجة كل منهما لهذه العناصر ، فهل نكتفي في فهرسة المخطوط بهذا الوصف المادي السريع الذي لا يشفى غليل الباحث المدقق أم نرفع المخطوط للمختبر الذي كثيراً ما كانت نتائجه والفهرسة العادية على طرفي نقيض ؟

إذن هل هناك طريقة علمية وخطة عملية يهتدي بها المفهرس في إطار علاقة الفهرسة بفضاء علم المخطوطات إلى النزوع إلى المعالجة الكيفية لعناصر الفهرسة وتعميق البحث فيها ؟ إن علم المخطوطات لا يقبل البيانات السطحية اليسيرة المكدسة في فهارس المخطوطات موجزة كانت أو مفصلة ، إنه لا يستسيغ الأحكام المبنية على الحدس والتخمين في حين يمكن إثباتها بوسائل علمية حديثة . إن التداخل بين العلمين والتكامل الذي أصبح ضربة لازب بينهما يدعوان إلى القيام بعمل مشترك قمين بالكتاب المخطوط ، وذلك في معهد علمي على غرار معهد البحث وتاريخ النصوص الذي استحدث في باريز منذ الثلاثين من هذا القرن . هناك يمكن لعلم المخطوطات أن يتعامل مع الفهرسة التقليدية تعامل القاضي مع المحجور عليه حتي يتبين رشده[1] . ورشد الفهرسة هو أن يؤكدها علم المخطوطات في بياناتها التاريخية والانتساخية والمادية وما إلى ذلك من معلومات قمينة بتمييز مخطوطة عن أخرى .

وإذا ما تم هذا في إطار المعهد المقترح استحداثه وبآلات ووسائل علمية حديثة انعدم السؤال الخالد المتعلق بقضية الاختصار والتفصيل ولم تعد تطرح هذه المسألة في الفهرسة بقدر ما تطرح الطرق الكيفية التي يعالج بها كل من المفهرس والكوديكولوجي مخطوطة معينة .

* * *

(١) مدخل إلى الكوديكولوجيا : الترجمة العربية : المقدمة ص ٧٩ - مرقون بكيلة آداب الرباط.

تعقيبات ومداخلات

■ **د. سعد الهجرسي :**

أعجبني ما تحدث به د. بنبين ود. أيمن في شأن الفرق بين الفهرسة الموجزة وما يمكن أن يُنسب إلى علم المخطوطات . وما قالاه عن المخطوطات موجود حقاً بالنسبة لأوائل **المطبوعات** . وكل ما قيل عن المخطوط والورق والتمليكات له ما يقابله في أوائل المطبوعات ، فمثلاً أصحاب المطابع كانوا يزيّفون تاريخ طبعة ما ، ليعطوها قيمة ، فنشأ بين النقاد علم أطلق عليه تسميات مختلفة والمهم أن النقاد جمعوا خبرات كبيرة جداً في هذا المجال ، وامتلكوا أدوات تبيّن حقيقة المطبوع من الجانب المادي ، وصار وصف النسخة الواحدة يستغرق ١٠-٢٠ سطراً. من هذه الخبرات مثلاً أن النسخة من هذا النوع يُقاس فيها حرف « إس » : S ، لأن حرف « إس » المربع في المطبعة له تاريخ معروف ، وقبل ذلك كان له طول معين. ويذهب الناقد إلى عد السطور والتمعن في الورق والعلامات المائية، حتى يقول في النهاية : هذه النسخة مزيفة وتاريخ نشرها زُيِّف فيه ٧٠ أو ٨٠ سنة مثلاً .

هذه المعلومات ثروة ولا يجوز للدكتور أيمن فؤاد سيد أو د. بنبين أن يحفظها في رأسه ، بل ينبغي أن تتحول إلى قاعدة معلومات . لذلك فنحن لدينا الآن ما يسمى بالنظم الخبيرة بالنسبة لأوائل المطبوعات ، كالنظم الخبيرة في الزراعة ، فإذا صادفتنا نسخة لا نعرف حقيقتها فإننا نستخرج ظواهر هذه النسخة مثل عدم وجود حرف ز ، لأن دخول هذا الحرف في الإنجليزية له تاريخ معين ، فيسأل المحلل أو الناقد : هل يوجد في المخطوطة حرف ز مثلاً أو يسأل ما طول الحرف « دال » أو ما نوع الورق ؟ هذه المعلومات يجمعها المحلل ، وينتهي إلى أن حقيقة هذه النسخة بين سنة كذا وسنة كذا ، أو بعد سنة كذا . وعليه فنحن نريد نوعاً من النظم الخبيرة في المخطوطات أيضاً .

لقد لمس د. الحلوجي مشكلة كبيرة ، فهو يريد أن يكون معنى الكلمة الاصطلاحية واحداً في جميع الأقطار العربية ، وهذا لن يتم ، بل هو مستحيل ، ذلك أن الدلالة اللغوية للمفردات الاصطلاحية ترتبط تاريخيًا وجغرافيًا بالمكان . وأي قضية عمرها ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة ، مثل الببليوغرافية ، لكي نبحثها بحثًا سليمًا يجب أن نضع في الحسبان قضية المكان ، لأن الجغرافية شيء موجود في الواقع .

■ د. كمال عرفات نبهان :

بحث د. بنبين يسعى إلى إثارة قضايا كثيرة مهمة ، من أهمها عدم تقنين قواعد فهرسة المخطوطات حتى الآن ، على الرغم من التقدم الحاصل في تقنين الفهرسة على المستوى العالمي وتناوله كثيراً من أشكال الأوعية ، مثل الكتاب والمخطوط والشفافيات والمصورات . والفهرسة الآن تشمل كل أشكال أوعية المعلومات ، حتى اللوحات الفنية والتماثيل تُفَهْرَس .

والمشكلة في رصد المخطوطات هي أننا حتى الآن لم نسعَ إلى إيجاد معاهد أو متخصصين لتقنين هذه القواعد وتطويرها بالشكل الذي يستفيد من التقدم العلمي الحديث وتقنين الفهرسة ، ويستفيد من التراث العربي في مجال المخطوط واحتياجات المخطوط العربي والإسلامي تحديداً . والمعروف أن فهرسة المخطوط تحتاج إلى فهرسة أوعية أخرى مثل الأقراص المكثفة والمصغرات « كالميكروفيلم » و « الميكروفيش » ، لأن المخطوط يتحول إلى أشكال أخرى عندما نصوره . ثم إن القضية ليست فهرسة مخطوط فقط ، إنما قضية فهرسة الأشكال الأخرى التي يأخذها المخطوط .

إن ما أبرزه د. بنبين من العلاقة بين الفهرسة و « الكوديكولوچيا » هو تأكيد لمبدأ أساسي مهم جدًا في العلوم الحديثة ؛ وهو دراسة العلاقة بين المفهرس وعالم الكوديكولوچيا ، وإن كنت أرى أنهما يعملان في مجال واحد ، فهما يتفقان في

كثير من الأدوات والمشكلات ، ويختلفان في بعض الأدوات مثلما يتفرد الكوديكولوجي في معمله بالفيزياء والكيمياء مثلاً .

وبإيجاز فالمفهرس يجب أن يكون عمله في النهاية بعد الكوديكولوچي وبعد أن ينتهي عالم التراجم من ضبط الأسماء ، وبعد أن ننتهي من كثير من الدراسات . يبدأ المفهرس ليستفيد من كل هذه الأشياء ، تمامًا مثلما يحدث مع المؤرخ عندما يستفيد من علم الآثار والمسكوكات والبدايات . . إلخ ، إلا أن الدراسات ما زالت جزئية ومتفرقة ، وتحتاج إلى أن تتكامل في المستقبل عن طريق أشكال من البحث العلمي لدراسة المسافات البينية بين الدراسات لنصل في النهاية إلى وصف سليم جدًا للمخطوط ، على أننا لن نصل إلى ذلك الوصف السليم للمخطوط في يوم من الأيام، وكلما وصلنا إلى شكل متقدم احتجنا إلى تطويره .

يتعامل المفهرس مع المخطوط ، والمخطوط ظاهرة إنسانية وسياسية وأدبية وأخلاقية . . إلخ . فالمسألة متشعبة جدًا ، ولا تقتصر على وجود علاقة بين المفهرس وعالم الكوديكولوچيا فقط ، وإنما تمتد لتشمل التعامل مع علماء الببليوغرافيا وعلماء التراجم ، وكثير من العلماء في العلوم المساعدة كي نحصل على فهرسة سليمة .

لقد تطرق الأساتذة للجذور التاريخية لفهرسة المخطوطات ، وأشار د. بنبين إلى أن **البيناكس** أو **البينكس** قد وجد عند اليونان . وأنا أعتقد أن الفهرسة سبقت مكتبة الإسكندرية ، ولابد أن القدماء الذين كتبوا على الفخار أو الطين في بلاد ما بين النهرين ، قد صنعوا لأنفسهم شكلاً من أشكال الفهرسة . ولكن كلمة **بيناكس** لها تاريخ عندنا ، وذكرها إسحاق بن حنين عندما وضع رسالته الموجهة إلى علي بن المنجم لما ترجم من كتب جالينوس وما لم يترجم ، واستخدم كلمة **بيناكس** بالباء الثقيلة ، ثم أبدل الباء فاءً وقال : فيناكس كعادة العرب عندما

لا يستخدمون «پ» ، وظل حنين يستخدم كلمات ثبت وبيناكس وفهرست ، حتى ثبتت الكلمة عند النديم .

والفهرسة ليست قضية ورق وحبر وخط وتجليد ، وإنما تمثل قضايا أكثر من ذلك تشعبًا ، وأرى أن المفهرس حينما يصبح عالمًا في فهرسة المخطوطات فهو كوديكولوچي ، وهذا الأخير هو مفهرس . ولكن المهم أن المعالجات لها أدوات مختلفة ، وفي النهاية توصلنا إلى وصف دقيق للمخطوط لكي نصل إلى ما يفيد المحقق ، وهو الهدف النهائي لنا من إيجاد الفهرس الذي يُعد وسيلة اتصال علمي ووسيلة توثيق للمخطوط .

لقد ذكر د. سعد الهجرسي فكرة قواعد البيانات والأنظمة الذكية أو العملية التي نستخدم فيها الحاسب الآلي في اختزان كل ما نصل إليه من أنواع للخطوط والورق وأشكال متعددة للتملكات والسماعات . . . إلخ وأيضًا قواعد بيانات تساند، مثل أسماء المؤلفين وعناوين الكتب . وحينما تتحد كل الببليوغرافيات العربية في مركز ببليوغرافي واحد تندمج كلها معًا ، ولا يصبح النديم منفصلاً عن حاجي خليفة ، أو منفصلاً عن «بروكلمان» أو منفصلاً عن فهارس المخطوطات في العالم . يجب أن يتحد ذلك كله في مرصد ببليوغرافي واحد ، عندئذ يستطيع المفهرس أن يجد تحت يديه كنزًا هائلاً يساعده على وصف المخطوط .

أخيرًا إن بحث د. بنبين يتضمن تلخيصًا جيدًا ومتمكنًا لكثير من أبعاد الموضوع ،وقد نجح في إبراز مجالات الاهتمام المشترك بين المفهرس والكوديكولوچي ، وكذلك مجال التمايز في عملهما . وأشير إلى أهمية مطالبته بالعمل المشترك وإيجاد مؤسسة على غرار معهد البحث في تاريخ النصوص في باريس ، ولكني أتساءل : هل تنقصنا المؤسسات في عالمنا العربي التي تستطيع أن تقوم بذلك على غرار معهد البحث في تاريخ النصوص بباريس ؟ وهل ينقصنا

العلماء والأساتذة ؟ أعتقد أننا نملك عدداً من المؤسسات ، ولدينا عدد كبير من العلماء الذين يستطيعون تغطية كل جانب من جوانب دراسة المخطوط وفهرسته ، ولكن ينقصنا تنظيم الأدوار والتعاون في ما بيننا .

■ د. أحمد شوقي بنبين :

مما يؤسف له أنه ليس لدينا عمل على غرار الأعمال الأوروبية حول مصطلحات المخطوطات ، على أن هناك محاولات فردية حول مصطلحات المطبوعات في مصر وبلاد الشام ، ولكن بالنسبة للمخطوطات المشكلة مطروحة الآن . د. أيمن أشار إلى نسخة منقولة عن النسخة الأصل ، مثل هذه يمكن أن يكون لها مصطلح ، الأوربيون مثلاً يقولون : « أوبو غراف » . وهناك « أوتوغراف » أي النسخة التي نسخها صاحبها بنفسه .

كلمة الفهرسة التي أشار إليها د. الحلوجي لم تشر إلى مفهوم آخر ، هو مفهوم الثَّبت ، أي قائمة المشايخ ، فالفهرسة تعني المَشْيَخَة أيضًا ، والأستاذ عبد الحي الكتاني في كتابه فهرسة الفهارس أشار إلى ذلك . ثم أطلق على المشيخة كلمة المعجم . وثمة اختلاف في المصطلح ؛ ففي المشرق يقال الثبت ، وفي الأندلس البرنامج ، وهي كلمة فارسية ، وفي المغرب نقول الفهرسة .

صحيح أن ببليوغرافيا هي كلمة يونانية قديمة ، ولكن « الببليوغرافو » في اليونانية القديمة كلمة لا تعني ما تعنيه اليوم ، كانت تعني الناسخ ، واستمر المعنى حتى القرن ١٩ ، ثم انتقل معناها من نسخ الكتب إلى الكتابة عن الكتب .

■ د. أحمد فؤاد باشا :

أود التعليق على نقطتين : الأولى أشار إليها د. عدنان درويش ، فقد اقترح مصطلح الفهرسة الوصفية بدلاً من مصطلح الببليوغرافيا . والحقيقة إن الببليوغرافيا غير الفهرسة الوصفية . الببليوغرافيا كانت تعني في البداية النسخ ثم الكتابة عن

الكتب ، ثم إعداد قوائم بالكتب ؛ والمعنى الأخير هو المعنى الحديث الذي جدَّ بعد الكتابة عن الكتب . ومن ثم فالببليوغرافيا هي علم إعداد القوائم ، أو أحد وجوهها ؛ وهو علم خاص بكيفية حصر الكتب ونوعية المعلومات في وعاء معين . أما الفهرسة فهي جزء من الببليوغرافيا ، وهي تعني الوصف ؛ وصف المواد التي تُجمَّع في الببليوغرافيا . إذن ، الفهرسة الوصفية موضوع يختلف عن الببليوغرافيا .

أما النقطة الثانية فتتعلق ببحث د. بنبين ، فقد استمعت بإنصات شديد لكلامه عن طريقة العالم في الوصف الببليوغرافي للمخطوطات ، وأنا مقتنع بهذه الطريقة في الوصف ، ولكني أود الإشارة إلى أن فهرسة المخطوطات يمكن أن نميز فيها بين طريقتين : طريقة العالم وطريقة المفهرس ، إن جاز هذا الفصل بين العالم والمفهرس. إرشاد الباحث إلى مكان وجود هذا المخطوط أو ذاك ، سواء تحت عنوانه أو تحت موضوعه. هذه الوظيفة الإيجادية فقط تعني المفهرس . أما التعريف الدقيق المفصل للمخطوط فليس من وظيفة المفهرس ؛ بل هو وظيفة محقق النصوص .

■ د. أحمد شوقي بنبين :

في ما يتعلق بالتمييز بين الفهرسة والببليوغرافيا ، باختصار : الفهرسة تحدد مكان الكتاب ، والببليوغرافيا تخبر بوجود الكتاب فقط .

■ د. سعيد مغاوري :

ذكر د. أيمن فؤاد سيد في حديثه أن البرديات العربية ظلت مستخدمة حتى القرن الخامس الهجري ، والحق أن أحدث بردية عربية على الإطلاق مؤرخة بعام ٣٨٠هـ .

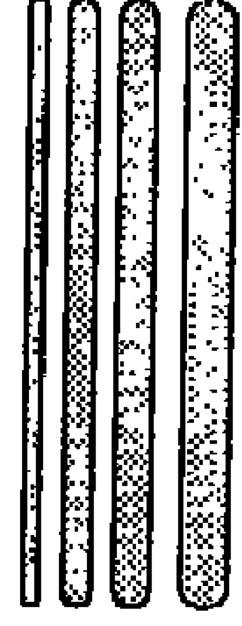
لكن لماذا لا نعطي وثائق البردي العربي حظها من العناية ؟ علمًا بأنها تجد هذه العناية في الخارج ، فقد علمت مؤخراً من شبكة الإنترنت أن جامعة **ديوك** الأمريكية أنجزت فهرسة وصفية عالمية لمجموعة البردي العربي في **الولايات المتحدة** .

وأعجب لماذا لا يعطي معهد المخطوطات العربية هذه الوثائق – أقصد البردي العربي – حظها من البحث . هناك ١٠٠ ألف وثيقة بردي محفوظة في النمسا ، في ڤيينا ، و ٢٠ ألف بردية محفوظة في برلين ، وعشرات الآلاف في بلدان أخرى . إنني أدعو هذا المعهد العريق ليعطي هذه الوثائق حظها ويجعل منها عنده صنواً للمخطوطات .

* * *

الجلسة الثانية

مســائل فنيــة



الوصف المادي للمخطوطات

د. أيمن فؤاد سيد

د. أحمد نظيف (رئيس الجلسة) :

نستمع في هذه الجلسة إلى بحثين للدكتور أيمن فؤاد سيد عن الوصف المادي للمخطوطات، والسماع والقراءة والمناولة وقيود المقابلة والمعارضة ، كما نستمع إلى بحث من د. أحمد شوقي بنبين عن « نظام التعقيبة » . ونبدأ أولاً بالدكتور أيمن فليتفضل مشكوراً .

* * *

اقتصرت الدراسات الخاصة بالمخطوطات العربية حتى الآن على بحث مُتون هذه المخطوطات والدراسة الفيلولوجية لما تُقَدِّمُه من مادة علمية . أما الجانب المادي للكتاب المخطوط باعتباره وثيقةً أثريةً حضاريةً فلم يَلْق بعد ما يناسبه من عناية واهتمام .

ونشأ علم الكوديكولوجيا Codicologic لدراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف ، أي أنه يُعْنَى بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط متمثِّلةً في : الورق - الحبر والمداد - التذهيب - التجليد ، وأيضاً حجم الكراسة ، والترقيم والتعقيبات ، وكل ما دُوِّن على صفحة الغلاف (الظَّهْريَّة) من سماعات وقراءات وإجازات ومناولات ومقابلات وبلاغات ومعارضات ومطالعات وتَمَلُّكات وتقييدات ووَقْفيات ، وما يُسَجَّل في آخر الكتاب في ما يعرف بالكولوفون Colophon (حَرْد المَتْن) من اسم الناسخ وتاريخ النَّسْخ ومكانه والنسخة المنقول عنها ، وكذلك معرفة المصدر الذي جاءت منه النسخة ، والجهة التي آلت إليها ، وما على النسخة من أختام ، وما شابه ذلك . وقد أطلق الأوربيون على كل ذلك اسم خوارج الكتاب Ex-libris .

وتبدو أهمية هذه الدراسة إذا عرفنا أن عصر الكتاب المخطوط في العالم العربي والإسلامي استمر حتى وقت قريب ، فلم تكتسب طباعة الكتب في العالم العربي والإسلامي أهميةً إلا مع بداية القرن التاسع عشر . كما أن أعمالاً مثل كتاب كارل بروكلمان «تاريخ الأدب العربي» وكتاب فؤاد سزجين «تاريخ التراث العربي» التي كتبت في الأصل باللغة الألمانية ، يتركز اهتمام مؤلّفيها على تصنيف الكتب وفقاً للموضوعات والتَّسَلْسُل الزمني ، ولا نجد فيها مقدمات أو فصولاً مستقلة تتناول الشكل المادي للمخطوطات المدروسة أو أدوات الكتابة والمواد المستخدمة فيها أو وصف الأساليب الخطية أو الأشكال الزخرفية .

كذلك فإن فهارس المخطوطات العربية ، سواء في أوربا أو في البلاد العربية ، نادراً ما تحتوي على إشارة إلى الشكل المادي للمخطوط ، كما أنها لا تَتَعَرَّض إطلاقاً لتواريخ المجموعات وتكَوُّنها وخواصها المميزة ، ونُبَذ عن حياة جامعي هذه المخطوطات .

وعلى ذلك فإنه ما زال أمامنا وقتٌ طويل قبل أن نمتلك مدونات corpus تُعَرِّفنا بـ :

- المخطوطات التي بخطوط مؤلِّفيها Autographes .
- المخطوطات المنقولة عن نسخة المؤلِّف Apographes .
- المخطوطات المُؤَرَّخَة .
- المخطوطات التي بخطوط العلماء .
- المخطوطات الوحيدة Uniques .
- المخطوطات المكتوبة على الرّق .

- المخطوطات المكتوبة على الكاغَد .
- المخطوطات الخزائنية .
- المخطوطات المصورة (المُزَيَّنة) .
- المخطوطات الموقوفة .
- أسماء النُّسَّاخ والمخطوطات التي نسخوها .
- أسماء مُلاك المخطوطات وأصحاب المجموعات .

وقد وَجَدَت مخطوطات بعض المكتبات حظًا كبيراً في دراستها دراسة كوديكولوجية ، وعلى الأخص مخطوطات مكتبات إستانبول والأناضول ومخطوطات مكتبة شيستر بيتي ومخطوطات المكتبة الوطنية في باريس ، بفضل جهود علماء من أمثال ريشر Reacher وريتر Ritter وآربري Arberry وفايدا Vajda على التوالي . وما زالت هناك العديد من المكتبات الشرقية التي تحوي رصيداً هامًا من المخطوطات القديمة ذات القيمة المادية الكبيرة لم تُدْرس بعد دراسة كوديكولوجية ، وعلى الأخص مخطوطات دار الكتب المصرية ، ومخطوطات المكتبة الأزهرية بالقاهرة ، ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ، ومخطوطات الخزانة العامة بالرباط ، ومخطوطات مكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

ولعل من أهم الأعمال التي تساعد على تقَدُّم هذا النوع من الدراسات هو إخراج «ألبومات Albums » تحتوي على نماذج مصورة طبق الأصل Facsimilé للصفحات الأولى لهذه المخطوطات (الظهرية) والصفحات الأخيرة لها (الغاشية) ، وهي عادة الصفحات التي تحتوي على خوارج الكتاب Ex-libris لتساعد الباحثين على دراسة هذه الظاهرة .

الأركان المادية للمخطوط

تتمثل الأركان الأساسية للمخطوط العربي كما حددها القدماء في : الكاغَد (الورق) والمداد (الحبر) والقَلَم (الخط) ، والتجليد (التَّسْفير) .

ومن الغريب أن كل المؤلفات التي وَصَلَت إلينا عن صناعة الكتاب العربي المخطوط كتبت كلها في بلاد المغرب والأندلس ، فرغم أن حرْفَة « الوراقة » وهي الحرْفَة المختصة بإنتاج وتوزيع الكتاب العربي قد لعبت دوراً هامًا في الحضارة الإسلامية منذ العصر العباسي ، فإنه لم يصل إلينا أدبٌ مشرقيٌّ يُعَرِّف بكيفية صناعة الكتاب المخطوط ، وربما تكشف لنا الأيام عن وجود مثل هذا الأدب في الخزائن غير المفهرسة .

ويُعَدّ كتاب « عُمْدَة الكُتَّاب وعُدَّة ذوي الألباب » الذي أُلِّف على الأرجح للأمير الصِّنْهاجي تميم بن المعز بن باديس - أشْمَل ما وُضِعَ في صناعة الكتاب المخطوط ، فقد تناول فيه مؤلفه المجهول بتوازن وإيجاز انتخاب الأقلام الجيِّدة وبريها على أجناس الخطوط ، وصفة الدواة واختيار آلاتها ، وعمل أجناس المداد والأحبار الملونة ، وعمل اللِّيَق، وتلوين الأصباغ وخلطها ، والكتابة بالذهب والفضة ، وعمل ما تُمْحَى به الكتابة ، وإلصاق الذهب والفضة وصفة مَصاقله وصَقْله ، وعمل الكاغَد وسَقْيه وتعتيقه ، والجلد والتجليد وجميع آلاته .

وبعد تصنيف هذا الكتاب بنحو قرن ونصف ، صَنَّف الملك اليمني المُظَفَّر يوسف بن عمر بن علي الرسولي (المتوفى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) كتاب «المُخْتَرَع في فنون من الصُّنْع» استوعب فيه الأبواب العشرة الأولى من كتاب « العُمْدَة » استيعاباً حرفيًا وبشيء من الانتقاء .

وإضافةً إلى هذين الكتابين فإن هناك أدباً محدوداً وَصَل إلينا يُعَرِّف بصناعة الأحبار والألوان وأساليب التزويق والتجليد لعل أهمها : كتاب « الأزهار في عمل الأحبار » لمؤلف مغربي يدعى محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري ، ألَّف

كتابه أثناء إقامته في بغداد في المدرسة المستنصرية سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م ، وكتاب « تُحَف الخَوَاص في طُرَف الخَوَاص » لأبي بكر محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القُضاعي ، المعروف بالقللوسي وهو أندلسي من أهل إسطابونة Estepona (٦٠٧ - ٧٠٧هـ/ ١٢١٠ - ١٣٠٧م) وعالم لغوي اشتهر بحفظ كتاب سيبويه ، وكان حُجَّة في العروض والقوافي . وقد نَوَّه لسان الدين بن الخطيب بهذا الكتاب ، وقال : إنه « رَفَع للوزير ابن الحكيم [أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن اللخمي الإشبيلي] كتاباً في الخواص وصنعة الأمدة وقلع طبع الثياب غريبًا في معناه » . كما تحتفظ دار الكتب المصرية بـ « رسالة في صناعة الأحبار » مجهولة المؤلف تحت رقم ١٤ صناعة تيمور .

وفي ما يخص التجليد أو التسفير فقد وَصَلَ إلينا بعض المؤلفات ذات القيمة على ندرتها ، أقْدَمُها كتاب «التيسير في صناعة التسفير» للفقيه بكر بن إبراهيم الإشبيلي ، المتوفى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م ، وأرجوزة « تدبير السفير في صناعة التسفير » لشخص يُدْعى ابن أبي حَميدَة ، أو ابن أبي حُمَيْدَة ، عاش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، ثم الرسالة التي كتبها أبو العباس أحمد بن محمد السُّفْياني سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٦م ، عن صناعة التسفير وحَلّ الذهب .

يضاف إلى ذلك الفصل الهام الذي أفرده القلقشندي (في أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) للحديث عن آلات الخط ومباريه ، والآلات التي تشتمل عليها الدواة والقلم وبَرْيه ، والمداد والحبر وصنعتهما ، ولِيَق الافتتاحات ، وما يكتب فيه من قراطيس وورق .

الركن الأول : الورق (البردي والرق والكاغد) :

ظَلَّت صناعةُ الورق (البَرْدي) في الدولة الإسلامية صناعة مصريةً خالصةً طوال القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة حتى أخذ الورق الصيني (الكاغَد) مكانه إلى جانبه . واستخدم الورق (الكاغَد) في مصر بطريقة متَقَطِّعَة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ولكنه لم يعتبر منافساً للبَرْدي ، حتى أواسط

القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عندما حَلَّ مَحلّ البَرْدي وبدأت مطابع الورق في الظهور ، وتَوَقَّف إنتاج البَرْدي .

ووصل إلينا على البَردي Papyrs جزء من كتاب « الجامع في الحديث النبوي » لعبد الله بن وهب (المتوفى سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م) كُشِفَ عنه عام ١٩٢٢ في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر ، وهو اليوم محفوظ في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٣ حديث ، بالإضافة إلى الآلاف من الأوراق واللفائف ذات الطابع الإداري والشخصي .

وإلى جانب البَردي Papyrus كان الرَّق Parchemin – وهو ما يُرَقَّق من الجلود ليُكْتَب فيه – يشغل حتى وقت ظهور الورق (الكاغَد) بشكل مطلق مكانًا متميزاً في صناعة الكتاب العربي المخطوط . ونظراً لنُدرة الرقوق وغلاء ثمنها كان يُجَدَّد استعمالها «بالطَّلْس» وإعادة الكتابة عليها أكثر من مرة ، ووصلت إلينا نماذج من ذلك . وتشتمل كتب صناعة الكتاب المخطوط على باب مخصص لعمل ما تمحى به الرقوق .

وجاء التحوُّل لاستخدام الورق في المغرب الإسلامي متأخراً حيث ظل الرَّق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادي ، بل إن المصاحف المغربية ظلت حتى وقت قريب تكتب على الرق طلباً لطول البقاء .

وبدأ الورق الأوربي ذو العلامة المائية papier filigrané في الظهور بعد عام ١٥٥٠ ، واستخدم في كتابة المخطوطات العربية بعد ذلك بوقت قريب .

الركن الثاني : الحِبْرُ والمداد :

والركن الثاني من الأركان المادية للكتاب العربي المخطوط هو الحِبْر والمداد . الذي استخدم العرب طرقاً كثيرة في تركيبه استخدموا في أغلبها : العَفْص Noix de galle والزّاج Vitriol والصَّمْغ Gomme Arabique والماء العذب .

وكان بعضهم يستغني عن الصَّمْغ اكتفاء بتألُّق السواد وثباته غير محتاج إلى ما يشدّه إلى الورق أو الرَّق .

الركن الثالث : صناعة التجليد (التسفير) :

تُعَدّ صناعة التجليد (التسفير) هي الصناعة المتممة للجُهْد والمحافظة على حصيلة الفكر والحافظة لأوراق الكتاب من التلف ، والتي تهتم كذلك بالعناية بمظهر الكتاب الخارجي ، ليتلاءم مع قيمته ومحتوياته . وتظهر آثارُ هذه الصناعة الفنية على الخصوص في ما وَصَلَ إلينا من مصاحف كريمة ورَبْعات شريفة .

وتعتمد هذه الصناعة على توظيف بعض المواد المفردة مثل : الجلد والحرير والورق المُلبَّد والخشب والخيط والغراء ، بالإضافة إلى حِرْفِيَّة الصانع في الحَبْك والقَصّ والوَشْم والرَّشْم وغير ذلك .

الركن الرابع : الخط :

لا يُعنى دارس المخطوطات بحركات إصلاح الكتابة وتطور الخط العربي والمُجَوَّد منه بصفة خاصة والذي استخدم على الأخص في كتابة المصاحف والرَّبعات والدواوين والرسائل الصغيرة (ابن مُقْلَة ، وابن البواب ، وياقوت المستعصمي ، وابن الوحيد ، وحمد الله بن الأماسي ، والحافظ عثمان) . وإنما يهتم بالخط المحقق الذي أطلق عليه الوراقون في بغداد « الخط الوراقي » والذي استخدموه في نسخ الكتب . فقد نشأت عملية تطوير خط كتابة الكتب مع نشأة حركة التأليف والترجمة ومع إنشاء خزائن الكتب الكبرى ، والتي كانت تُزَوَّد عن طريق وحيد هو النسخ ، فبدأت حرفة الوراقة لاستنساخ الكتب بالأجرة وهي حرفة تفرض على صاحبها أن يكون مليح الخط صحيح الضبط واسع العلم . وقد طَوَّر هؤلاء الوراقون الخط المعروف بالمحقق الوراقي في القرنين الثالث والرابع متأثرين بحركات إصلاح الكتابة التي تمت على أيدي كل من ابن مُقْلَة وابن البوّاب ، واكتملت على يد ياقوت المستعصمي .

* * *

وإذا كانت هذه هي الأركان المادية الأساسية للمخطوط العربي فإن علم المخطوطات يتطلب كذلك استكمالاً للوصف المادي للمخطوط الاهتمام بذكر حال المخطوط إذا كان مُسَوَّدة أو مُبَيَّضَة للكتاب . فرغم أننا نملك عدداً غير قليل من المؤلَّفات التي بخطوط مؤلِّفيها فإنه نادراً ما وَصَلَت إلينا مُسَوَّدات المؤلفين . وما وَصَل إلينا من هذه المُسَوَّدات يُوَضِّح لنا منهج علمائنا القدماء وطريقتهم في تصنيف مؤلّفاتهم ، فعادة ما يوجد في المُسَوّدات حَذْفٌ وكشْطٌ وشَطبٌ ومَحْوٌ كثيرٌ وإضافاتٌ عديدة ومُطَوّلة على هوامش الصفحات ، وفي طيارات متفاوتة الأحجام بين أوراق الكتاب ، وتعديل لبعض النصوص وإشارة بنقلها عند التبييض إلى مكان آخر أليق بها ، والتنبيه على استكمال نقل بعض الشواهد أو ضرورة الرجوع إلى مصادر أخرى تَعَرَّف عليها المؤلِّف بعد كتابته للمُسَوَّدة .

وكذلك دراسة ما على المخطوطات من تزاويق وتصاوير ومنمنمات . فالتصاوير المُنَمْنَمة في المخطوطات العربية تنقسم إلى نوعين أساسيين : النوع الأول يشمل التصاوير التي تُزَوِّق الكتب الأدبية (وأهمها كليلة ودمنة ، ومقامات الحريري ، والحيوان للجاحظ ، ودعوة الأطباء لابن بطلان ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني) وتدخل أغلب تصاوير هذه الكتب في أطر ما عرف باسم مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي ، ثم المدرسة المملوكية . والنوع الثاني يشمل التصاوير التي تُوَضِّح نصوص الكتب العلمية والجغرافية وكتب الفنون الحربية .

ونظراً لأن المخطوطات العربية المؤرخة تمثل قيمة مادية هامة إذ تعرفنا بالعصر الذي كتب فيه المخطوط مما يساعد على تفهم الوسط العلمي والاجتماعي والثقافي الذي دُوِّن فيه هذا المخطوط ، فإن عمل فهارس تاريخية للمخطوطات المؤرخة ترتب فيه حسب تاريخ كتابة النسخة يعد عملاً أساسياً يجب أن يضطلع به أمناء المكتبات لأهميته وفائدته الكبيرة للدراسات الكوديكولوجية للمخطوط العربي ، وكذلك نَشْر النصوص الكاملة لحرد المتن الـ colophon للمخطوطات العربية .

أما عملية وَقْف المخطوطات على المساجد والمدارس فلم تبدأ إلا مع نهاية القرن الثاني الهجري ، حيث أجازه الفقهاء بعد طول جدال ، استدلالاً بالحديث الشريف : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وكانت طُرُق إثبات الوَقْف على المصاحف والمخطوطات تتم بطرق ثلاث هي :

- كتابة نَصّ الوقفية على الكتاب نفسه ، وهو أكثرها شيوعاً .
- كتابة وثيقة وَقْف شاملة تُبَيِّن الحدود والأهداف العامة وتُسَجَّل أمام القاضي .
- خَتْم صفحة العنوان وصفحات غيرها أحياناً بخاتم يُدَلِّل على الوَقْف . وذاعت هذه الطريقة على الأخص في القرون الأخيرة .

وأخيراً فإن المخطوطات الخزائنية وقيود التملك التي كان يكتبها أصحاب هذه المخطوطات على أغلفتها أو غاشيتها ، تمثل شكلاً آخر من الأشكال المادية للكتاب . وتساعد هذه التملُّكات في كثير من الأحيان في تحديد تاريخ تقريبي للنسخ التي لا يُعْرف لها تاريخ نسخ ، وأيضاً في معرفة رحلة النسخة وانتقالها من يد إلى يد أو من بلد إلى بلد . وتفيدنا المخطوطات الخزائنية والتملُّكات أيضًا في معرفة أسماء كثير من أصحاب خزائن الكتب ومحبيها في تاريخ الإسلام ، مما يساعد في دراسة تواريخ المجموعات وتكونها وخواصها المميزة .

وتعدُّ إجازات السماع والقراءة نمطاً آخر من أنماط الشكل المادي للمخطوط تساعد في التعرف على طريقة استخدام المخطوطات وتداولها ، وهي أيضًا وسيلة لمعرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية وحركة تَنَقُّل الأفراد من بلدان مختلفة نحوها ، كما أننا نتعرف من خلالها على خطوط العلماء وتوقيعاتهم .

* * *

مراجع البحث

- إبراهيم شبوح : مصدران جديدان عن صناعة المخطوط : حول فنون تركيب المداد ، في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر ، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧ ، ١٥ - ٣٤ .

- أيمن فؤاد سيد : الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٧ .

- كوركيس عواد : « الورق والكاغد - صناعته في العصور الإسلامية » ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٣ (١٩٤٨) ، ٤٠٩ - ٤٣٨ .

* * *

نظام التعقيبة

د. أحمد شوقي بنبين

إن دراسة ظاهرة التعقيبة[1] وما يماثلها من موضوعات دقيقة تتعلق بصميم ما يسمى اليوم بالكوديكولوجيا أو علم المخطوطات - قد تمكن الفيلولوجيين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم من استجلاء كثير من القضايا العلمية والتقنية ، قد لا يساعد على استكشافها الدراسات المقتصرة على محتويات المخطوطات . وإذا كانت دراسات الغربيين للمخطوط باعتباره قطعة مادية قد قطعت أشواطًا في هذا المجال ، فإن دراسة وعاء المتن العربي وما يطرحه من تساؤلات جادة من حيث المادة والتركيب ومختلف تقنيات تكوينه ، لا تزال في مرحلة البداية على الرغم من تلكم المحاولات الفردية التي يقوم بها بعض الباحثين المختصين من العرب والمستشرقين .

إن دراسة هذه الوسيلة التقنية التي استعملها القدماء لتتبع نظام الملازم أو الأوراق أو الكراسات قد لا تتم إلا بوجود مجموعة من الوسائل والمعطيات التي يصعب توفرها لدى الباحث الأوروبي فضلاً عن الباحث العربي .

وأهم هذه المعطيات توفر العديد من المخطوطات المتقاربة من حيث الزمن والقريبة نساخةً من حيث المكان . وإذا حظيت بعض مجموعات التراث الغربي بفهارس للمخطوطات المؤرخة مصحوبة بعض الأحيان بكشافات بأماكن النسخ ،

(١) يقال لها الرقاص والوصلة والواصلة والرابطة في الجامعات المغربية العتيقة وفي مختلف الزوايا العلمية . ويطلق عليها السايس (وهي عامية) في الكتاتيب القرآنية . وقد استعملها يوسف ق. خوري في الفهرس الذي خص به المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت . وهي Réclame عند الفرنسيين و Frangzeil عند الألمان و Catchword عند الإنجليز . ويقولون : «Catchline» ، إذا كانت التعقيبة سطرًا كاملاً .

فإن التراث العربي ما زال يفتقر إلى مثل هذه الفهارس ومثل هذه الكشافات التي يتعذر بدونها أي بحث في هذا المجال .

وما يمكن القيام به اليوم في هذا الإطار هو محاولة دراسة هذه الظاهرة حسب مجموعة خزانة معينة أو حسب مجموعات بعض الخزائن في البلد الواحد .

وستبقى النتائج جزئية ناقصة غير كاملة ، على الرغم مما يمكن أن يتوفر لدى الباحث من المخطوطات التي مهما كانت متعددة فإنها جزء قليل مما يتميز به تراثنا العربي المخطوط من ضخامة .

إن المجموعات التي اعتمدتُها في دراسة التعقيبة والتي مكنتني من الوصول إلى بعض النتائج المرتبكة والمؤقتة حول هذه الظاهرة ، هي مجموعات مكتبات ثلاث ألمانية : برلين ، وتوبنجن Tübingen ، وميونخ ، ومجموعة المكتبة الوطنية الفرنسية .

ولست أدعي أنني تصفحت كل هذه المجموعات التي تعد بعشرات الآلاف ، لكني حاولت أن أستشير أقدمها زمنًا وأعرقها نساخة ، وعالجت الموضوع من زاويتين اثنتين تتعلق أولاهما بالجانب التاريخي ، وتدرس الثانية الجوانب التقنية في استعمال التعقيبة .

وقد أبرزت الأبحاث النادرة[1] المتعلقة بالموضوع أن هذا النوع من الترقيم قد عرفته اللغات السامية واللغات الشرقية عمومًا وبعض اللغات الهندوأوروبية في العصور القديمة . أما بالنسبة لمخطوطات اللغات الهندوأوروبية فإن التعقيبة كانت مستعملة في اللفافات البردية ، ولكنها تختفي في الكوديكس (Codex) الذي أصبح مادة الكتابة منذ العصور المسيحية الأولى إلى القرون الأخيرة من العصر الوسيط .

(١) فيزان Vézin : بعض الملاحظات حول ظاهرة التعقيبة (باللغة الفرنسية) .

وربما يلاحظ ظهورها من جديد في المخطوطات اليونانية(١) واللاتينية إبان النهضة الأوروبية الأولى في القرن الثاني عشر الميلادي التي أدت إلى نشأة الجامعة . وقد عرفت الفترات التي تلت هذا العصر تطوراً في الثقافة الغربية ، فكان حظ النساخة(٢) من هذا التطور أوفى الحظوظ ، إذ إننا لم نبلغ عصر النهضة الأوروبية حتى كادت التعقيبة تعم جميع اللغات الغربية الحديثة .

أما بالنسبة لمخطوطات اللغات السامية فإن اللوحات الطينية التي تم اكتشافها في مكتبة آشور بانبال في مدينة نينوى القديمة بالعراق ، والتي ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد وما قبله – قد أبرزت استعمال التعقيبة في اللغة الآشورية . وأكدت مكتشفات أوكاريت(٣) في رأس الشمرة بالجنوب الغربي لمدينة حلب بسوريا استعمال اللغة الأوكاريتية السامية نوعًا من التعقيبة قريبًا من تلكم التي استعملت في الآثار الآشورية والبابلية(٤) بعد ذلك . وقد استعمل الحيثيون هذه

---

(١) يلاحظ المختصون في علم المخطوط اليوناني أن المخطوطات اليونانية الوسيطية كانت مرقمة ، ولم تعد إلى نظام التعقيبة إلا في عصر النهضة ، باستثناء الحالات الشاذة التي ترجع إلى ماقبل هذا العصر بقليل . وربما كانت العودة إلى نظام التعقيبة نتيجة الاحتكاك الذي تم بين اليونانيين والثقافة اللاتينية .

(٢) دعت نشأة الجامعات في أوروبا إلى تعدد نساخة ما كان يسمى عندهم بالمخطوطات الجامعية (Manuscrits universitaires) والذي يعتقده دستري (Destrez) أن نظام التعقيبة بدأ رسميًا مع ظهور هذه المخطوطات التي كانت تحتوي على المواد المقررة آنذاك في الجامعات المستحدثة وعلى الأخص منها جامعة باريز وهي : الفنون الحرة ، القانون ، الطب : انظر : Destrez : La Pecia dans les manuscrits universitaires dans le XIII et XIV et siècle. Paris 1935.

(٣) كانت المكتشفات عبارة عن لوحات طينية مكتوبة بالكتابة المسمارية ، باستثناء بعض الوثائق القليلة ومعظم نصوصها مكتوب في لغة سامية يعتقد البعض أنها إحدى اللهجات الكنعانية القديمة ، في حين يعتبرها البعض الآخر لغة سامية غربية إلى جانب الكنعانية والآرامية .

(٤) استمر استعمال التعقيبة عند البابليين والفرس إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد ، ومع بداية العصر الوسيط يلاحظ استعمال العلامة وهي الترقيم بالحروف لترتيب الملازم .

الظاهرة قبل الأوكاريتيين والآشوريين ، إذ إن اكتشاف المكتبة الرسمية الحيثية بعاصمتهم حتوساس (Hattusas) بين أن الرقم أو اللوحات الحيثية تضم نوعًا من التعقيبة تختلف نسبيًا عما جاء في اللغات السالفة الذكر ؛ وهو أن اللوحة الجديدة يعاد في بدايتها كتابة آخر جملة في اللوحة السابقة(١) .

أما عن استعمال هذه التقنية في لغتنا العربية فيكاد يجمع الباحثون على أنها متأخرة ، ولم تظهر في المخطوط العربي إلا بعد القرن الرابع للهجرة . ولكن بعد البحث المتواصل والفحص الدقيق لأقدم المخطوطات التي تحمل التعقيبة المحفوظة في مختلف أرصدة التراث العربي المخطوط في مختلف الخزانات الأوروبية ، تأكد لدينا أن نظام التعقيبة في العربية أقدم مما كان يظن . إن الخزانة الوطنية الفرنسية تحتفظ بنسخة من كتاب «المدخل الكبير في علم أحكام النجوم» لأبي معشر جعفر البلخي (٢٧٢هـ) ، نسخه علي المطرز عام ٣٢٥هـ مستعملاً التعقيبة لترتيب أوراقه(٢) .

كما تحتفظ مجموعة تشستر بيتي (Chester Beatty) (دبلن ، أيرلندة) بمخطوط بخط ابن البواب يحمل تعقيبة ، وقد نسخه في نهاية القرن الرابع أي عام ٣٩١ هـ . وهناك نموذج ثالث تحتفظ به الخزانة الظاهرية وهي اليوم « مكتبة الأسد » بدمشق ، وهو عبارة عن نسخة من ديوان الفرزدق تحمل تعقيبة . وقد نسخت عام ٣٣١ هـ .

وبالإضافة إلى هذه النماذج التي ترجع كلها كما رأينا إلى القرن الرابع الهجري ، فإن في بعض ما بقي من مخطوطات القرن الثالث ما يدل على استعمال هذه التقنية . والنموذج الذي عثرتُ عليه ، وهو محفوظ في الرصيد العربي بباريس هو كتاب « تاريخ ملوك العرب » لعبد الملك الأصمعي الذي نسخه ابن السكّيت

(١) تاريخ الكتاب : تأليف د. ألكسندر ستيبتشفيتش A Sipcevic ترجمة محمد الأرناؤوط . القسم الأول ص٢٤ عالم المعرفة ١٦٩ عام ١٩٩٣ .

(٢) محفوظ بقسم المخطوطات بالخزانة الوطنية الفرنسية تحت رقم 5902 Fol IV .

بخط يمينه ، في العاشر من شهر شوال عام ٢٤٣هـ . وقد ثبت بعد فحص دقيق ودراسة متأنية لخط النسخة أن النص والتعقيبة قد وضعتهما يد واحدة ، مما يبعد كل اعتقاد بأن التعقيبة من إضافة أحد النساخ المتأخـرين .

إن هذه الأمثلة تدعو إلى الاعتقاد بأن نظام التعقيبة قد رافق التأليف والنساخة العربيين منذ البداية . ولو امتد العمر بكثير من نسخ القرون الأولى لتأكد هذا الزعم. وإذا خلت مجموعات أخرى نسخت في القرنين الثالث والرابع من هذه الظاهرة ، فربما لأنها لم تستعمل في جميع مراكز النسخ الشرقية ، أو لأن الترميمات السيئة المتتالية والتسفيرات العديدة المتعاقبة التي خضعت لها أقدم مخطوطاتنا على مر الأيام والأزمان قد حذفت هذه الكلمة التي تكون عادة بعيدة من آخر سطر من الورقة وقريبة من أسفلها . ولدينا الدليل على ذلك من دراستنا لمخطوطات القرنين الخامس والسادس ، حيث كان مقص المسفر لا يعرف إلى الرفق والرحمة من سبيل .

وقبل محاولة الجواب عن التساؤل المتعلق بالأصل الشرقي والعربي لنظام التعقيبة سنبحث في شكل هذه التقنية وفي توزيعها في أوراق المخطوط ، وذلك في إطار مجموعة من الأرصدة قد تأتلف وقد تختلف زمانًا ومكانًا من حيث الكتابة والنسخ .

إن التعقيبة الأكثر استعمالاً في المخطوطات العربية الوسيطية تلكم التي تكون مائلة منحرفة بعيدة عن آخر سطر من الكتاب . وقد تكتب أحيانًا نحو الأعلى وأحيانًا أخرى نحو الأسفل ، كما تكون أحيانًا أخرى أفقية قريبة من آخر سطر أو بعيدة منه . وقد تجيء كذلك عمودية كما هو الشأن في كتاب « شرح الألفات » لأبي بشار الأنباري ، وكتاب « شرح منازل السائرين » للكاشاني ، وكلاهما محفوظ بمكتبة برلين الوطنية بألمانيا . وقد تكون التعقيبة عبارة عن حرف أو كلمة أو كلمتين أو جملة أو عبارة . أما من حيث توزيعها في المخطوط فإنها تكون على العموم في يسار أسفل الورقة بعيدة عن النص ، وقد تميل إلى اليمين بل ربما كانت في وسط

الورقـة . وقـد يحـدث أن تـكون آخـر كلمـة من الورقـة الأولى مكررة في بداية الورقة التـالية . وهـذا شـيء نـادر . وقد تكتب التعقيبة بنفس المداد الذي كتبت به أول كلمة في الورقة التالية .

بعض المخطوطات تحمل التعقيبة في بعض الأوراق أو في جزء من أجزائها فقط ، وبعضها يخضع التعقيبة لنظام الكراريس ، فلا نرى التعقيبة إلا بعد إحصاء عشر ورقات ، وقد تظهر أحيانًا فقط في ثلاث أو أربع ورقات في المخطوط كله . وربما لا نجد لها أثرًا في بعض المخطوطات .

وقد يلاحظ في المخطوطات المتأخرة وجود التعقيبة مع وسائل أخرى لترقيم الملازم أو الأوراق كـالأرقـام العـربيـة أو الهندية . وليس كل مـا وقـفنا عليـه من مخطوطات مزدوج الترقيم ، فقد يكتفى بالتعقيبة في ترتيب مادة الكتابة وقد تضاف الأرقام لتعزيز التعقيبة إما بيد الناسخ نفسه أو من إضافة ناسخ آخر . ولا بد من دراسة إحصائية كوديكولوچية لاستخلاص النتائج النهائية المتعلقة بهذا المجال .

وقد حاولت إحدى الباحثات الفرنسيات السيدة كيدون (Guesdon) في بحث عن التعقيبة من خلال مجموعة من المخطوطات مؤرخة بين نهاية القرن السادس ونهاية القرن التاسع للهجرة أن تستخلص التطور التاريخي الذي عرفه استعمال التعقيبة في المخطوط العربي ولكنها لم تخلص في الحقيقة إلى نتائج قاطعة ونهائية ، وذلك لأسباب أهمها : اعتمادها على جزء من الرصيد المحفوظ بالخزانة الوطنية الفرنسية ، ثم اختلاف مراكز النسخ ، وتنوع مصادر المخطوطات المعتمدة في الدراسة . والذي يجعلنا لا نكترث لدراستها هو ما وصلت إليه من نتائج عن بداية التعقيبة في المخطوط العربي ، حيث جعلت بدايتها في المخطوط الشرقي المسيحي منه والإسلامي في القرن السابع الهجري وانتشارها إلا في القـرن الذي يليه ، كما حددت بدايتها في القرن الثامن الهجري بالنسبة للمخطوط المغربي . ومع ذلك فقد

اعترفت الباحثة الفرنسية في نهاية البحث بعجزها عن الوصول إلى النتائج المتوخاة من البحث في هذا المجال باعتبار الجزء الضئيل من التراث المخطوط المعتمد في الدراسة .

هذا عن شكل هذه التقنية وتوزيعها في ترتيب الأوراق . أما عن احتمال إثبات أصلها الشرقي وربما تأثيرها في المخطوط الغربي ، فإن ذلك يفرض مراجعة عامة .

ولم يختلف استعمال نظام التعقيبة عند الأوكاريتيين كثيراً عن استعماله عند الآشوريين مما يدل على أن هذه الظاهرة سامية قديمة ربما انتقلت إلى النساخة اليونانية كما انتقلت إليها الحروف الهجائية الفينيقية السامية .

وبالنسبة للعصر الوسيط فقد أكد المختصون في علم المخطوطات اليوناني أن التعقيبة التي عرفها المخطوط الإغريقي القديم اختفت مع مطلع العصر الوسيط ، لتعود إلى الظهور مع النهضات الأوروبية الأولى ، وذلك بفضل احتكاك اليونان بالثقافة اللاتينية ، وكان اللاتين كاليونانيين يستعملون لترقيم مخطوطاتهم وسائل أخرى كالأرقام والعلامات (signatures) . ولكن بدءاً من القرن العاشر أي منذ بدء اليقظة الأوروبية واحتكاك الغرب بمختلف الحضارات والثقافات كالثقافة العربية التي كانت سيدة العالم آنذاك ، بدأ النساخ يتخلون عن هذه الأنواع من الترقيم ليستعملوا التعقيبة كنظام للترتيب .

ولنتساءل : هل كان هذا الانتقال بمحض المصادفة أم كان نتيجة تأثير وتأثر ؟ يرى الباحثون أن اللغات اللاتينية – وعلى الأخص منها الإيطالية والإسبانية – كانت أسبق اللغات الغربية إلى استعمال التعقيبة في القرون الأخيرة من العصر الوسيط[1] .

---

(١) يلاحظ المختصون أن أقدم المخطوطات الفرنسية التي استعمل فيها نظام التعقيبة تلكم التي نسخت في الجنوب الغربي الذي عرف نشاطًا ثقافيًا واتصالاً علميًا مهمًا مع مملكات الإسبان المسيحية منذ القرن العاشر الميلادي . ومن المحتمل أن يكون قد تمخض هذا التلاحم بين الجانبين عن تأثر الفرنسيين بطرق النساخة الإسبانية التي تحمل من بين ما تحمل نظام التعقيبية .

إن بعض مخطوطات اللغتين الإيطالية والإسبانية عرفت التعقيبة منذ القرن العاشر الميلادي بعدما اختفت هذه الظاهرة من اللغة اللاتينية الأم طوال العصر الوسيط .

والتساؤل الوارد هو : ألا يحتمل أن تكون طرق نساخة المخطوط العربي بما في ذلك التعقيبة قد دخلت مجال النساخة في البلدين المذكورين من بوابة العلاقات الحضارية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي كانت تجمع بين إسبانيا وإيطاليا من جهة والدولة العربية التي حلّت بها منذ العصر الإسلامي الأول .

سؤال كبير تحتاج الإجابة عنه إلى إيجاد متخصصين في علم المخطوطات وإلى علماء أخصائيين في باليوغرافيا اللغات القديمة ، وعلى الأخص منها تلكم التي تفرعت عن اللاتينية كالإيطالية والإسبانية اللتين أثبت البحث الكوديكولي أنهما كانتا السباقتين إلى العودة إلى استعمال نظام التعقيبة في ترتيب المخطوطات .

* * *



السَّماع والقراءة والمناولة وقيود المقابلة والمعارضة

د. أيمن فؤاد سيد

لعلّ من أهم ما كان يُمَيِّز شكل المخطوطات العربية المُبكِّرة هو افتقارها إلى صفحة عنوان، ومع الوقت أخذ القدماء يستغلون وَجْه الورقة الأولى للكتاب Recta، التي اصْطُلح على تسميتها بـ « الظَّهْرِيَّة » أو « ظَهْر الكتاب »، في كتابة عنوان الكتاب واسم مؤلفه . وهكذا وجدت مساحات كبيرة خالية (بياض) في ظهر الكتاب وكذلك في الفراغ المحيط بحرد المتن الـ Colophon، المعروف بـ « الغاشية » . وأصبح هذا البياض غير المستعمل، وعلى الأخص الموجود على ظهر الكتاب، مكاناً مناسباً لإثبات جميع أنواع القيود والتعليقات، مثل : الرواية والسَّماع والقراءة والإجازة والمناولة والتوقيف والتَّمَلُّك والمقابلة والمعارضة والمطالعة والنظر [1] . وهي الموضوعات التي يهتم بدراستها « علم المخطوطات » La Codicologie ؛ ذلك العلم الذي يعنى بدراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه مؤلفه، أي أنه يركز كلية على دراسة الخصائص المادية للكتاب المخطوط .

وتمثل التملُّكات والتوقيفات القيود المتعلقة بشكل الكتاب المادي ورحلته من مكان إلى مكان، كما أن إجازات السَّماع والقراءة والمناولة التي كانت تُثْبَت على ظهور الكتب أو على غاشيتها[2] تمثل القيود ذات الصلة بنَصِّ الكتاب والتي تعد

(١) راجع، رمضان ششن : « أهمية صفحة العنوان (الظهرية) في توصيف المخطوطات » في كتاب : دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، لندن - مؤسسة الفرقان ١٩٩٧، ١٧٩ - ١٩٦ .

(٢) راجع حول هذا الموضوع، صلاح الدين المنجد : «إجازات السماع في المخطوطات القديمة»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥)، ٢٣٢ - ٢٥١ ؛ عبد الله فياض : الإجازات العلمية عند المسلمين، بغداد - مطبعة الإرشاد ١٩٦٧ ؛ يوسف الخاروفي : =

صورةً من الصور التي عرفها العلماء القدماء عن الشهادات العلمية . كذلك فإن قيود المقابلة والمعارضة والمطالعة تعد أحد مظاهر توثيق النسخة ورفع قيمتها .

وتمثل إجازات السماع والقراءة والمناولة عنصراً بارزاً في المخطوطات العربية ، كما أنها تُصَوِّر لنا الدور الذي كان يؤديه الكتاب في بيئته العلمية والتعليمية والثقافية ، وتمدنا كذلك بمعلومات وفيرة عن دور العنصر البشري في استخدام النصوص أو المخطوطات ونقل العلوم الإسلامية(١) .

وأكثر ما توجد هذه الإجازات في كتب الحديث ، يليها في ذلك كتب التاريخ والتراجم ، ثم كتب الفقه واللغة . وترتبط هذه الإجازات بما يُطْلَق عليه « طُرُق تَحَمُّل العلم» ، والتي قَسَّمَتها كتب مصطلح الحديث إلى ثمانية أنواع هي : السَّماع والقراءة والإجازة والمناولة والكتابة أو المكاتبة والوصية والوجادة(٢) ، واعتبرت الطريقتان الأوليان أفضل هذه الطرق . وتُقَدِّم لنا كتب علم الحديث ولا سيما كتب طبقات المُحَدِّثين أخباراً كثيرة عن الرحلات الشاقة التي قام بها علماء المسلمين « طلباً للعلم » ، وبهدف الحصول على حق رواية أكبر عدد ممكن من الكتب والأحاديث على أفضل وجه ممكن « سماعاً » أو «قراءةً»(٣) .

= « السماعات والإجازات في المخطوطات العربية » ، رسالة المكتبة ١ (١٩٧٥) ، ١٦ - ٢٢ ؛ قاسم أحمد السامرائي : «الإجازات تطورها التاريخي » ، عالم الكتب ٢ (١٩٨١) ، ٢٧٨ - ٢٨٥ ؛ جان جاست ويتكام : «العنصر البشري بين النص والقارئ : « الإجازة في المخطوطات العربية » في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر ، ١٦٣ - ١٧٧ .

(١) ويتكام : المرجع السابق ١٦٣ ، ١٦٩ .

(٢) راجع ، القاضي عياض : الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السمع ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة - دار التراث ١٩٧٠ ، ٦٨ - ١٢١ ؛ ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، القاهرة - مركز تحقيق التراث ١٩٧٤ ، ٢٤٥ - ٢٩٥ ؛ السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ : ١٤٤ - ١٧٠ .

(٣) فؤاد سزجين : « أهمية الإسناد في العلوم العربية والإسلامية » ، في كتاب محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ١٩٨٤ ، ١٣٩ .

وتفيدنا الإجازات الموجودة ، سواء على ظهور المخطوطات العربية أو على غاشيتها ، في تكوين فكرة واضحة عن وظيفة نَصٍّ ما بصورة عامة ، وكيفية استخدام المخطوط بصورة خاصة ، بحيث إن دراسة هذه الإجازات تجعلنا قادرين على إعطاء خصائص المخطوطات حقها من حيث علاقتها بعضها بالبعض الآخر[1].

وقد تكثر هذه الإجازات أحياناً فتبلغ العشرة والعشرين في المخطوط الواحد ، يكون بعضها مردفاً ببعض يفصل بين الواحدة ورديفتها خطٌّ فاصل ، وقد تقل أحياناً فلا تكون إلا إجازة واحدة[2] .

وانتشرت إجازات السماع والقراءة في المخطوطات العربية في القرن الخامس الهجري ، وهو القرن الذي بدأت فيه « المدارس » في الظهور والانتشار على يد السَّلاجقة ، والتي تُمَثِّل المدارس التي أنشأها الوزير نظام الملك ، سواء في بغداد أو غيرها من المدن ، خير نموذج لها[3] .

وتُوَضِّح لنا هذه الإجازات المثبتة على المخطوطات العربية كيفية تطبيق نظام إجازات التعليم في الحضارة الإسلامية ، ولم تكن هذه الإجازات مقصورة على علوم الدين فقط ، بل شملت التاريخ والأدب واللغة والطب والعلوم . ومن خلال الدراسة التي قام بها چورچ فايدا G. Vajda لإجازات السَّماع الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس والتي بَلَغَ عددها ٧٢ إجازة ، نجد أن دمشق والقاهرة هما مصدر معظم المخطوطات التي تحتوي على إجازات ، وتأتي بعدهما من حيث الغزارة في

---

(١) ويتكام : المرجع السابق ١٦٩ .
(٢) صلاح الدين المنجد : المرجع السابق ٢٣٢ .
(٣) راجع مقالي : « المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي » في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٩٢ .

إصدار الإجازات كل من بغداد ومكة وحلب ، وغالبية الأماكن الأخرى التي كانت تُصْدر الإجازات تقع في مشرق العالم الإسلامي(١) .

ومع ذلك فإن غالب إجازات السَّماع والقراءة مثبتة في كتب الحديث ، وكلما كانت مكتبة من المكتبات غنية بهذه الكتب وُجدَت فيها سماعات بكثرة . ولعل دار الكتب الظاهرية (مكتبة الأسد الآن) بدمشق هي أغنى مكتبات العالم بكتب الحديث وأغناها بالسماعات المختلفة(٢) .

كانت هذه الإجازات تظهر وتنتقل مع ظهور مراكز العلم وانتقالها من مكان إلى آخر . ففي القرن الخامس الهجري نجد السَّماعات كثيرة في بغداد في حين لا نجد منها شيئاً في دمشق ، فقد كانت بغداد ما تزال مركز الخلافة والعلم ، وفي القرن السادس تظهر السماعات في دمشق مع قدوم السَّلاجقة إليها وتأسيس المدارس ودور الحديث بها وخاصة « دار الحديث النورية » ، ثم تزدهر في القرن السابع أيّ ازدهار ، في حين تضعف في بغداد وتبدأ في الظهور والازدهار في القاهرة بفضل إنشاء المدارس بها أيضاً في عصر المماليك(٣) وانتقال مركز الثقل السياسي والثقافي إليها في أعقاب سقوط بغداد .

وقد تمكَّن رؤوف عبيد وچان يونج ، من خلال دراسة بعض الإجازات ، من التوصل إلى أن أصل الكلمة الأكاديمية الأوربية الشهيرة « بكالوريا Bccalaureate » مستمد من التعبير العربي « بحق الرواية »(٤) .

(١) *Vajda, G., Les certificats de lecture et de transmission dans les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris,* Paris 1957, pp. 65-66 ؛ ويتكام : المرجع السابق ١٦٩ - ١٧٠

(٢) صلاح الدين المنجد : مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ١٦١ .

(٣) صلاح الدين المنجد : إجازات السماع ٢٣٤ .

(٤) Ebied, R. Y. & Youn, H. L., "New Laight on the Origin of the Term "Baccalaureate", *The Islamic Quarterly* XVIII (1974), pp. 3-7 . ؛ ويتكام : المرجع السابق ١٦٩ .

وتكشف لنا هذه الإجازات الكثير عن طريقة استخدام المخطوطات وتداولها ، وهي كذلك أنموذجٌ من أنموذجات التَّثَبُّث العلمي الذي كان يتبعه العلماء ، وهي كذلك وثائق تدلُّ على ثقافات العلماء فيما مضى وما قرأوه أو سمعوه من كتب ، كما أنها مصدرٌ للتراجم الإسلامية لأنها تتضمَّن أسماء أعلام كثيرين قد لا نجد لهم ترجمةً أو ذكراً في كتب التراجم المعروفة ، وقد يرد اسم عَلَم واحد في سماعات أو قراءات عديدة فيمكن صنع ترجمة له بذكر ما سمع أو قرأ من كتب وما لقي من شيوخ وما عاصر من رفاق لطلب العلم وما زار من بلدان ، وهي أيضاً وسيلة لمعرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية وحركة تَنَقُّل الأفراد من بلدان مختلفة نحوها ، كما أننا نتعرف من خلالها على خطوط العلماء وتوقيعاتهم ، وأخيراً فإن هذه الإجازات المثبتة على كتاب ما ، دليلٌ على صحته وقدمه وتاريخه وضبطه[1] .

والفرق بين إجازات السماع وإجازات الإقراء هو أن الأخيرة يُنَص فيها على أن شيخاً قد أقرأ طالباً كتاباً ما ، أو أن طالباً قرأ على شيخ هذا الكتاب . أما إجازة السَّماع فلابد أن يوجد بها عددٌ من السامعين غير القارئ .

والسَّماع في المُصْطَلَح هو أن يسمع التلميذ أو السَّامع المرويات التي يلقيها الشيخ من حافظته أو يقرؤها من كتابه[2] ، وهي « أرْفَع أنواع الرواية عند الأكثرين »[3] ، ويُقَدَّم لها بعبارة مثل : « سمعت عن » أو « حدثني » أو « أمْلَى عليَّ فلان » أو « أملّ عليّ فلان »[4] .

أما السَّماعات في المخطوطات العربية فوصلت إلينا على ثلاثة أشكال : الأول : إقرار مُصَنِّف ما بخطه ؛ أن طالباً سمع عليه كتابه ؛ الثاني : إقرار طالب بسماع كتاب على مصنفه ؛ الثالث : إخبار بالسَّماع على شيخ غير المصنف .

(١) صلاح الدين المنجد : المرجع السابق ١٤٠ - ٢٤٢ .
(٢) فؤاد سزجين : المرجع السابق ١٣٦ .
(٣) القاضي عياض : الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ٦٩ .
(٤) السيوطي : المزهر ١ : ١٤٥ .

وأوْسَع هذه الأشكال الشكل الثالث ، وإجازة السَّماع في هذا الشكل أتم أشكال الإجازات . وعادةً ما يشتمل نَصّ إجازة السَّماع تسعة شروط حَدَّدَها الدكتور صلاح الدين المنجد في الآتي :

اسم المُسْمِع ، وأسماء السامعين ، والنَّص على ما سمعه الحاضرون أو ما فاتهم سماعه ، وذكر اسم القارئ ، وذكر النسخة التي قرئت فسمعها الحاضرون ، واسم مُثْبت السَّماع ، وورود لفظ « صح وثبت » بعد أسماء الحاضرين ، واسم المكان الذي سُمع الكتاب فيه ، وتاريخ السَّماع ومدته ، وإقرار المسمع بصحة ما تقدَّم ذكره بخطه . وفي ما يلي بيان ذلك :

اسم المُسْمِع ، إذا كان المُسْمِع هو مصنف الكتاب وكتب الإقرار بالسَّماع وردت العبارة كما يلي :

« سمع هذا الجزء عليّ . . . فلان وفلان »

ويُنْهي السَّماع بقوله :

« وكتب مصنفه فلان »

وإذا كان المُسْمِع مصنف الكتاب ولم يكتب السَّماع بخطه وردت العبارة كما يلي :

« سمع جميع كتاب (اسم الكتاب) على مؤلفه »

ويُذَيِّل السَّماع عادةً **بخط المؤلف** فيقول :

« هذا صحيح وكتب فلان »

أما إذا كان المسمع غير مصنف الكتاب وكتب السَّماع بخطه فترد العبارة كما يلي :

« سمع كتاب (اسم الكتاب) فقرأ علي (اسم القارئ) بحق روايتي إياه

(سند المقرئ) فسمعه بقراءته (أسماء السامعين) »

ويُنْهي السَّماع بقوله :

« وكتب فلان »

وإذا كان المُسْمع غير مصنف الكتاب ، ولم يكتب السَّماع بخطه ، تكون عبارة الابتداء كالفقرة السابقة ، وينهي السماع بخط المُسْمع بقوله :

« هذا صحيح » أو « هذا صحيح على ما شرح ووصف » أو « السَّماع والإجازة صحيحان » أو « سماع صحيح » .

أسماء السَّامعين : تسرد أسماء الذين سمعوا الكتاب فرداً فرداً مع أسماء آبائهم وجدهم الأول والأعلى أحياناً ، ويرافق الاسم صفة السامع فيقال : « الشيخ الصوفي الحكيم» ، أو « الخطيب » ، أو « القاضي » ، أو « الفقيه الفاضل » . وإذا كان أحد السامعين يعرف باسم نُصَّ عليه فيقال : « فلان . . . المشهور بكذا ، أو عُرِفَ بابن كذا » ، ويُقْرَن الاسم بنسبته فيقال : « الإربلي » أو « الموصلي » ، وقد تُذْكَر صنعته فيقال : «الذهبي » أو « الصيرفي » أو « بواب المدرسة الفلانية » . وتُذْكَر أسماء الرجال والنساء معاً وأسماء الأطفال الصغار إذا حضروا وينصون على أسمائهم وسنيهم ، وكذلك أسماء الفتيان الذي كانوا يحضرون مع سادتهم مجالس العلم .

وكان عدد السَّامعين يختلف في السماعات ، فقد يكون سامعان ، وقد يبلغون الثمانين . وقد يُغْفل كاتب السَّماع أسماء بعضهم فيقول :

« وجماعةٌ كثيرون لا أعرف أسماءهم »

النَّصّ على ما سمعه الحاضرون من الكتاب : وكانت أمانة العلم تدفعهم إلى النَّصّ على ما سمعه كل من الحاضرين ، فقد يتأخَّر أحدهم عن السَّماع فيفوته بعض الكتاب فيقولون :

« سمعه مع فوت » ، أو « فاته شيء من آخره » ، أو « سمع بعض هذه المجلدة » أو « سمع . . إلا قدراً يسيراً »

وقد يُحَدِّدون مبدأ السَّماع فيقولون :

« وسمع من قوله كذا . . . إلى آخر الكتاب »

وكثيراً ما نجد في هامش نسخة ما :

« من هنا بدأ فلان »

أي بدأ سماعه ، وفي السَّماع يقولون :

« سمع من موضع اسمه إلى آخر الكتاب »

فإذا أعاد السامع سماع ما فاته أثبت في آخر السماع :

« أعاد فلان ما فاته ، وكمل له وصح وثبت »

اسم القارئ : ولابد من النَّصّ على اسم القارئ ويُختار عادة ممن عُرِفَ بحسن قراءته فيقولون :

« بقراءة فلان . . . »

وقد يرد اسم القارئ في أوّل السَّماع قبل أسماء السامعين ، وقد يرد بعد أسمائهم .

النسخة المقروءة : في بعض السَّماعات نجد ذكراً للنسخة التي قرئت وسمعها الحاضرون ، ففي سماع على الكندي لكتاب سيبويه جاء في السامعين :

« . . . الشيخ الإمام أبي جعفر بن علي بن أبي بكر عتيق بن إسماعيل القرطبي صاحب هذه النسخة »

وقد تكون النسخة المقروءة هي نسخة المصنف نفسه أحياناً ، وإذا ألف المؤلف كتابه أكثر من مرة نُصّ على كون النسخة هي الجديدة .

كاتب السَّماع : في آخر السَّماع يُذكر اسم الكاتب ، يرد اسمه في من سمع ويردف به :

« وهذا خطه »

وقد يسمى أحياناً

« مُثبت السَّماع »

ورود لَفْظ صَحّ وثبت : لابد من ذكر لفظ « صَحّ » بعد ذكر أسماء السامعين وقبل ذكر التاريخ . ومعنى ذلك أن الكاتب تَوَثَّق من صحة الأسماء وما قرأه كل من السامعين .

مكان السَّماع : وينصون على المكان الذي سُمع الكتاب فيه . وقد لا نجد اسم المكان في سماعات القرن الخامس وما قبله – إن وجدت – ولكن قَلَّ أن تخلو منها السَّماعات في القرنين السادس والسابع . والنَّص على المكان يفيد في معرفة أسماء الأماكن وضبطها وتحديدها .

تاريخ السَّماع ومدته : ويُنْهى السَّماع قبل التحميد أو الصلاة على النبي بذكر التاريخ ، ويذكرون في التاريخ اليوم والشهر والسنة ، ويذكرون مدة السَّماع فيقولون : « في مدة آخرها كذا » ، أو عدد المجالس : «في مجلسين أو تسعة مجالس» وقد يستعملون لفظ نَوْبَة : « في نوبتين »(١) .

الجهود العلمية لنشر السماعات :

رغم أهمية إجازات السَّماع والقراءة في المخطوطات العربية ، والتي تشير إلى الاستعمال الشخصي لنسخة ما ، فإنه لم يتنبه إلى قيمتها المشتغلون بالمخطوطات ومن ثم لم تقم دراسات لهذه السَّماعات والقراءات في ما عدا ما قام به مُحَدِّث

(١) صلاح الدين المنجد : المرجع السابق ٢٣٤ – ٢٤٠ ؛ Sellheim, R., EI.[2] art. Samâ VIII, pp. 1054-1055.

العصر الشيخ أحمد محمد شاكر ، رحمه الله ، الذي نَشَرَ السماعات الواردة على نسخة كتاب « الرِّسالة » للإمام الشافعي وهي في ثلاثة أجزاء محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٤١ أصول فقه م[١] ، وهذه النسخة أقدم مخطوط وَصَلَ إلينا على الورق (الكاغَد) كتبها في حياة الشافعي نفسه من إملائه تلميذه الربيع بن سليمان ، أي قبل عام ٢٠٤هـ (تاريخ وفاة الشافعي) ، وكان الربيع ما يزال في الثلاثين من عمره . واحتفظ الربيع بهذا الأصل لنفسه وكان ضنيناً به لم يأذن لأحد في نسخه حتى إذا ما بَلَغَ التسعين سنة ٢٦٥هـ ، أذن بذلك ، وكتب بيده إجازةً في آخر النسخة هي دون شك نفس اليد التي كتبت النسخة والفرق بين الخطين هو فرق السن وعلوها ، يقول فيها :

« أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة ، وهي ثلاثة أجزاء ، في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين **وكتب الربيع بخطه** » .

وما يؤكد أن هذه النسخة جميعها بخط الربيع بن سليمان ما كتبه بخطه الحافظ هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني ، المتوفى في ٦ محرم سنة ٥٢٤هـ / ديسمبر ١١٢٩م عن ثمانين عاماً ، فوق عنوان الجزء الأول والجزء الثالث منها ونصه :

« الجزء الأول من الرسالة لعبد الله الشافعي بخط الربيع صاحبه »[٢] .

وهذه النسخة في غاية النفاسة احتفل بها كبار العلماء والأئمة الحُفَّاظ من سنة ٣٩٤هـ إلى سنة ٦٥٦هـ ، وأثبتوا عليها خطوطهم وسماعاتهم ، بل أثبتوا أنهم صححوا نسخهم وقابلوها عليها ، وحرصوا على إثبات سماعهم فيها طلاباً صغاراً ثم إسماعهم إيّاها لغيرهم شيوخاً كباراً ، وتسابقت الأسر الكبيرة إلى سماعها وسَجَّلوا أسماءهم عليها ، فقد تداول هذه النسخة بالقراءة والاطلاع علماء كبار

---

(١) أحمد محمد شاكر : مقدمة كتاب الرسالة للمطلبي ، القاهرة ١٩٤٠ ، ٣٠ - ٨٤ .
(٢) أحمد محمد شاكر : المرجع السابق ٢٠ .

سَجّلوا عليها خطوطهم بالسّمَاع والقراءة والتملُّك من أمثال الحافظ الحُمَيْدي والحافظ ابن ماكولا والحافظ أبي الفتيان الدمستاني والحافظ الكبير ابن عساكر والحافظ عبد القادر الرهاوي والحافظ تاج الدين القرطبي والحافظ زكي الدين البرزالي(١) .

وسمع من أسرة الحافظ ابن عساكر في هذه النسخة أحد عشر رجلاً ، ومن أسرة الخَشْوَعي سبعة نفر ، ولم يكتف الحافظ ابن عساكر بتسجيل اسمه في السّماعات بل كتب بخطه أربع مرات على النسخة :

« سمع جميعه وعارض بنسخته عليّ بن الحسن بن هبة الله »(٢) .

وعدد أوراق هذه النسخة ٧٨ ورقة منها ٦٢ ورقة هي أصل الكتاب الذي بخط الربيع ، والباقي ، وهو ١٦ ورقة ، زيدت في أولها وآخرها ووسطها ، كتب به السّماعات وغيرها(٣) .

كما قام الدكتور صلاح الدين المنجد وهو ينشر الجزء الأول من « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر بنَشْر كل ما وجد من سماعات قديمة على أصول الكتاب(٤) .

ونشر كذلك چورج فايدا G. Vajda السماعات المثبتة على نسخة باريس من كتاب «الخراج » ليحيى بن آدم(٥) .

---

(١) نفسه ٢٠ .
(٢) أحمد محمد شاكر ، المرجع السابق ٢١ .
(٣) نفسه ٣٤ .
(٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الأولى بتحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق – المجمع العلمي العربي ١٩٥١ ، ٦٢١ - ٧٢٢ .
(٥) Vajda G., "Quelques certificats de lecture dns les manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris", *Arabica* I (1954), pp. 337-342.

كما نَشَرَ صمويل شتيرن S. Sterm سماعات وجدت على نُسَخ لـ «سَقط الزَّنْد» و«لزوم ما لا يلزم» لأبي العلاء المَعَرّي[1] .

ثم قَدَّم چورچ فايدا دراسة عن إجازات السَّماع والقراءة المثبتة على المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس ، وقد صادفها في ٧٢ مخطوطة أثناء إعداده للفهرس العام للمخطوطات العربية الموجودة في المكتبة[٢] .

كما قَدَّم هلموت ريتر H. Ritter إسهاماً كبيراً في هذا المجال بما نشره من سماعات وقراءات وجدها في مخطوطات إستانبول في مقال نشره سنة ١٩٥٣[٣] .

كذلك فقد نشر آربري A. J. Arbery بطريقة الفاكسميلي إجازات السَّماع والقراءة والمناولة الموجودة على مخطوطات مكتبة شيستربتي بدبلن[٤] .

ونَشَرَ جيرار لوكونت G. Lecomte السَّماعات الواردة على نسخة كتاب «غريب الحديث» لابن قُتَيْبَة الدينوري في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٣٤ – ٣٥ لغة ، ونسخة كتاب « إصلاح الغلط في غريب الحديث » لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام ، المحفوظة في مكتبة آيا صوفيا بإستانبول برقم ٥٤٧[٥] .

---

(١) Stern, S. M., "Some Noteworthy Manuscripts of the Poems of Abul- "Alâ' al-Ma'arri", *Oriens* VII (1954), pp. 322-347.

(٢) Vajda, G., *Les certificats de lecture et de transmission dans les mauscrits arabes de la Bibliothèque Nationale de Paris*, Paris 1957.

(٣) Ritter, H., "Autographs in Turkish Libraris", *Orienes* VI (1953), pp. 63-90.

(٤) Arberry, A. J., *The Chester Beatty Library : A Handlist of the Arabic Manuscripts*, I-VII, Dublin 1955-1967.

(٥) Lecomte, G., "A propos de la résurgence des ouvrages d'Ibn Qutayba sur le Hadit aux VI^e/XII^e et VII^e/XIII^e siècles-Les certificats de lecture du K. Garib al-Hadit et du K. Islâh al-Galat fi Garib al-Hadit li Abi 'Ubayd al-Qasim b.Sallam", *BEO* XXI (1968), pp. 347-409).

كما نَشَرَ ماكيه P. A. Mackay إجازات السّماع والقراءة الواردة على نسخة «مقامات الحريري» المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم١٠٥ أدب م، وهي نسخة الحريري الخاصة التي سُمِع عليها أول مرة في بغداد سنة ٥٠٤هـ/ ١١١١م ، ثم تبع ذلك قراءات لاحقة في بغداد أيضاً ، وبعد مضي ستين سنة أونحوها على القراءة الأولى أصبحت النسخة مثقلة بإجازات السّماع ثم انقطعت أخبارها لمدة أربعين عاماً ، وبعد ذلك انتقلت ملكيتها إلى المؤرخ الحلبي الشهير كمال الدين بن العديم ، المتوفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م . وتختفي بعد ذلك هذه النسخة عن الأنظار حتى تحصل عليها دار الكتب المصرية بعد ستة قرون ، وبالتحديد عام ١٨٧٥ ضمن مكتبة مصطفى فاضل ، حيث حفظت بها تحت رقم ١٠٥ أدب م[١] .

وفي عام ١٩٧٦ نَشَر رئيف جورج خوري إجازات السّماع الموجودة على نسختي كتاب « الزُّهْد » لأسد بن موسى ، المتوفى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م ، المحفوظتين في برلين ودمشق[٢] .

ثم جَمَعَت الباحثة الفرنسية نيقول كوتار Nicol Cottart مقالات وبحوث جورج فايدا حول طرق نقل المعرفة في الإسلام بين القرنين السابع والثامن عشر للميلاد ، والتي تضمنت بعض من دراساته الخاصة بتحليل إجازات السّماع والقراءة[٣] .

---

(١) MacKay, P. A., "Certificates of Transmission on a Manuscript of the Maqâmat al-Hariri, Ms. Cairo Arab 105", *Transactions of the American Philosophical Society*, N. S. LXI/4 (Philadelphia 1971).

(٢) Khoury, R.G., Kitab al-Zuhd par Asad b. Músá (132-212/ 750-827), Wiesbaden- Otto Harrasovitch 1976, pp. 91-108.

(٣) Vajda, G., La transmission du savoir en Islam *(VII^{e}-XVIII^{e} siècle), éditè par Nicol* Cottart, London-Variorom Reprints 1983.

وفي ما يلي نماذج للسماعات كما وردت على المخطوطات العربية :

« قرئ هذا الجزء وهو الجزء الأول من الكتاب الموسوم بجامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، على مؤلفه المولى الصاحب الكبير مجد الدين فخر الإسلام أبي السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم ؛ فسمعه القاضي الأجل الإمام العالم فخر الدين شرف الإسلام عبد اللطيف بن أحمد الشَّهْرَزُرِي ، والشيخ الإمام العالم عز الدين أبوالحسن علي بن محمد بن عبد الكريم **أخو المؤلف**، والأمير فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أبي المعالي بن عمار ، وأخوه شمس الدين إسحاق ، والأمير الأجل شرف الدين أبو محمد يعقوب بن محمد بن أبي الحسن ، وصدر الدين أبو عبد الله محمد ابن علي الفقيه البغدادي ، والشيخ مجد الدين أبو حفص عمر ابن أحمد بن أبي بكر السفني ، والشيخ تاج الدين أبو الحسن علي ابن أبي المكارم بن مسعود الفقيه البغدادي ، والشيخ إسماعيل ابن بزكات بن باد المقرئ ، والشيخ الإمام عفيف الدين أبو الغارات غازي بن أحمد بن يونس المقرئ ، والشيخ تقي الدين أبو الحسن علي ابن منصور الجصّاص ، والأجل مُهَذَّب الدين الفشن بن عبد الله الصفوي، وأبو عبد الله محمد ، وأبو القاسم عمر ابنا سعد ابن الحسين ابن قمرطاش ، وعبد الكريم بن أبي المظفر بن محمد ابن عبد الكريم، ولد أخي المصنف ، ومُثْبِت الأسماء أبومنصور المظفر بن محمد بن عبد الكريم أخو المصنف ، غفر الله له ورحمه ، وذلك في شهر رجب من سنة تسع وثمانين وخمس مائة والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبينا محمد وآله » .

وبعد ذلك بخط المؤلف :

« هـذا المذكور من سـماع المُسَمَّيْن صحيح ، كتبه المبارك بن محمد ابن عبد الكريم حامداً لله تعالى ومصلياً على سيدنا محمد المصطفى ومسلما » .

[نسخة « جامع الأصول في أحاديث الرسول » لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير بخطه ، المحفوظة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ٢٩٩] .

« سمع جميع هذا الكتاب وهو مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفية على مصنفه الشيخ الإمام العالم الأوحد رئيس الأصحاب الصدر الكبير المحترم قدوة الأمة وعمدة الأئمة الملتجئ إلى حرم الله تعالى رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني رضي الله عنه ، بقراءة الفقيه الإمام الحافظ المتقن جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد البكري الشريشي - السادة الفقهاء برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن أبي حفالا المكناسي وسعد الدين سعد بن أحمد بن أحمد بن عبد الخالق الجذامي البيّاني ومحيي الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن برّي النميري الغرناطي ورضي الدين سليمان بن يوسف بن محمد بن محمد أبي عبان الملياني وشهاب الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن بزو السبتي المالكي وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن ميمون بن علي الكومي وعبد الله ابن محمد بن أبي بكر الغساني الأندلسي المالكي ، عفا الله عنهم في مجالس آخرها يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، فصح ذلك وثبت في منزل الشيخ المصنف من باب الأزج ، وكتب عبد الله بن محمد بن أبي بكر الغساني والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه .

صح ذلك وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى
الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني أحله الله أعلى
محال أولي الفضل والحجة وجعله علما في الفضائل
كالنجم في الدجى حامداً ومصلياً »

[نسخة كتاب « مشارق الأنوار » للصغاني المحفوظة في مكتبة شيستر بتي برقم ٣٤١٥]

« سمع هذا الجزء عليّ بقراءة الإمام جمال الدين أبي محمد رافع بن أبي محمد بن محمد بن شافع السّلامي ابنه محمد وعلاء الدين طيبرس بن عبد الله الفاروخي وأولادي محمد وزينب وابن أخيهما عمر بن عبد الرحمن وأخته خديجة وأمهما فاطمة بنت محمد بن عبد الخالق البياني وبنت خالهم آسية بنت محمد بن إبراهيم بن صديق السُّلمي وأخوها أحمد حاضراً في الثالثة . وصح ذلك في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة أربع عشرة وسبعمائة وكتب مصنفه يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي » .

« سمع جميع هذا الجزء وهو الجزء التاسع والعشرين بعد المائتين والجزء الذي بعده وهو الجزء الثلاثون بعد المائتين وهما من كتاب تهذيب الكمال على مصنفه الشيخ الإمام العالم الحافظ البارع الأوحد الحجة العمدة بقية السلف شيخ المحدثين عمدة الحفاظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي نفع الله به ، بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي **وهذا خطه** - الجماعة السادة الفضلاء شمس الدين أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسن ابن نباتة المصري وعز الدين أبو علي بن عبد الله بن علي بن المعامل ابن إسماعيل الموصلي وناصر الدين أبو الفتح محمد بن خلف بن علي ابن عبد الله الصيرفي وشرف الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد

سمع جميع هذا الكتاب وهو مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار
المصطفية على مصنفه الشيخ الإمام العالم الأوحد رئيس الأصحاب الصدر
الكبير المحدث قدوة الأمة وعمدة الأئمة الملتجي إلى حرم الله تعالى رضي الدين
أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني رضي الله عنه بقراءة الفقيه
الإمام الحافظ المتقن جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد البكري الشريشي
السادة الفقهاء برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي وسعد الدين
سعد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله الحداني البياني ومحيي الدين أبي الحسن علي بن يحيى بن علي
الشبرمي الغرناطي ورضي الدين سليمان بن يوسف بن محمد بن أبي عثمان المليان وشهاب
الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن بركة السبتي المالكي وشمس الدين أبي عبد الله محمد بن ميمون
بن علي التجوري وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الغساني الأندلسي المالكي عفا الله عنه
في مجالس آخرها يوم الثلاثاء الرابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع
وثلاثين وستمائة فصح ذلك وثبت في منزل الشيخ المصنف من باب الأزج
وكتب عبد الله بن محمد بن أبي بكر الغساني والحمد لله وحده وصلواته
على محمد وآله وسلامه

صحيح ذلك وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى
الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني أجله الله أعلى
محلا أولي الفضل والحجى وجعله علما في الأفاضل
كالنجم في الدجى حامدا ومصليا

نص السماع الموجود بآخر نسخة « مشارق الأنوار النبوية للصنعاني بخط عبد الله بن محمد ابن أبي بكر الغساني (شيستر بيتي رقم ٣٤١٥)

ابن الشيخ زين الدين أبي بكر بن يوسف بن أبي بكر المزني وزين الدين أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن الشيخ العلامة زين الدين أبي محمد عبد الله بن مروان الفارقي . وصح ذلك يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان المبارك سنة إحدى وعشرين وسبع مائة بدار الحديث الأشرفية داخل دمشق المحروسة والحمد لله رب العالمين » .

[نسخة كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي ، المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥ مصطلح حديث]

وقد كان النُّساخ والنَّساخ العلماء بوجه خاص ينقلون ما وجدوه على النُّسْخَة التي نقلوا عنها من إجازات السماع والقراءة ، بغرض منح نسخهم أصالة وقيمة ، مثال ذلك :

« شاهدت على غاشية الجزء الخامس من الأصل المنقول منه بخط عبد الخالق بن يوسف ما صورته :

« سمع جميعه وما قبله من أول الكتاب على الشيخ الحافظ أبي الغنائم محمد بن علي بن محمود الزيني من كتابه بقراءة عبد الخالق ابن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ، ابنه أبو الحسين عبد الحق ووالدة عبد الحق فاطمة بنت المبارك بن علي بن نصر وأبو سعيد هبة الله بن علي بن عبد الباقي الخياط سبط يوسف ومثقال وشفيع الحبشيان الخصيان فتيا ابن يوسف في جمادى الآخرة من سنة ثلاث وخمس مائة .

ونقل السماع إلى هذه في شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وخمس مائة نقلته من خطه أنا على الوجه حرفاً حرفاً . وشاهدت أيضاً سماع أبي الحسين بن يوسف في جميع الأجزاء التي قبله وبعده

إلى آخر العاشر ، وكانت النسخة المنقولة منها بخط الحافظ أبي الفتح محمد بن أبي الفوارس من وقف الشيخ أبي الفضل بن ناصر رحمه الله . . . » .

[نسخة « التاريخ الكبير » للبخاري المحفوظة في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٠٥٣]

* * *

أما القراءة فهي أن يقرأ التلميذ على الشيخ من كتاب ، والشيخ منصت يقارن ما يُلْقى بما في نسخته أو بما وَعَتْه حافظتُه ، ويقدم لها بعبارة : «قرأت على فلان»[1] . فقد كان مجرد قراءة كتاب ما لا تعتبر كافية لاستيعاب محتوياته ، لهذا كان الكتاب يُقْرأ بمعاونة مُعَلِّم يُسْتَحْسَن أن يكون هو مؤلف الكتاب نفسه ، فإن لم يكن فعلى يد عالم يحظى باحترام ويُعَدّ حُجَّة في موضوعه[2] .

وتفوق إجازات القراءة الموجودة على المخطوطات العربية في عددها إجازات السَّماع ، وهي تشمل جميع فنون العربية .

وعادة ما كان الشيخ الذي يُقْرأ عليه الكتاب يُسَجِّل في إجازة القراءة كيفية تلقي الطالب لها فكان ينص على أنها : « قراءة مقابلة بأصله » أو « قراءة حفظ وإتقان » أو «قراءة استفسار ومراجعة واستشراح » أو « قراءة مرضية » أو « قراءة تَفَهُّم » أو « قراءة تصحيح وتهذيب . . . إلخ » .

وفي ما يلي نماذج لإجازات القراءة :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

---

(١) فؤاد سزجين : المرجع السابق ١٣٧ ؛ السيوطي : المزهر ١ : ١٥٨ .
(٢) ويتكام : المرجع السابق ١٦٥ .

وصحبه وبعد ، فقد قرأ علي « **كاتب هذه النسخة** الفقير إلى الله تعالى الشيخ الصالح أبو الفضل محب الدين محمد بن الشيخ الصالح بهاء الدين محمد بن الشيخ الصالح حسن البدري الوفائي الخليلي وفقه الله تعالى لمرضاته جميع هذا الكتاب تأليفي وهو شرح جمع الجوامع مع **قراءة مقابلة بأصلي** وأجـزت له أن يرويه عني ومـا يحق لي روايتـه بشرطه المعتبر عند أهله وذلك **بالمدرسة المؤيدية من القاهرة المعزية في** مجالس آخرها في سلخ شهر رجب الفرد سنة تسع وثلاثين وثماني مائة **وكتب مؤلفه** محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي عفا الله تعالى عنه وعن والديه ومشائخه وغيرهم من المسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

[نسخة كتاب « شرح جمع الجوامع » للمحلي المحفوظة في مكتبة شيستر بتي برقم ٤٧٩٧] .

« قرأ عليّ هذا الكتاب من أوله إلى آخره الشيخ الفاضل الأديب أبو جعفر محمد بن أبي بكر بن النقيب الشهرستاني أحسن الله توفيقه **قراءة تَفَهُّم** وروايتـه لـه بالإسناد المذكـور في أوله وذلك في سنة أربع عشرة وخمس مائة وكتب موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله محمّداً ومسلّماً » .

« قرأ علي مولانا السلطان الملك العالم العادل شرف الدنيا والدين أبو المظفر عيسى بن مولانا السلطان الأعظم الملك العادل أبي بكر بن أيوب نصرهم الله ونصر الإسلام بهما **قراءة تهذيب وتصحيح** وروايته له بالإسناد المذكور فوق البسملة بخطه وذلك في شهر ربيع آخر في سنة ست وست مئة وكتب زيد بن الحسن بن زيد الكندي أبو اليمن بخطه نقلاً من نسخة القراءة »

[نسخة « كتاب تفسير غريب القرآن على حروف المعجم » لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المحفوظة في مكتبة شيستر بتي برقم ٣٠٠٩]

« قرأ عليّ كتاب الفصيح أجمع الشيخ الزاهد [بهاء] الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الملك بن عادي الدمشقي نفعه الله بالعلم قراءة حفظ واتقان ورويته له عن الشيخ سعد الخير الأنصاري عن أبي سعد المضطرّد الأصبهاني عن أبي نعيم الحافظ عن أبي كيسان عن ثعلب . ورويته له أيضاً عن الشيخ أبي على الحسين بن مهره الحدادي المقرئ بالإجازة عن أبي نعيم الحافظ بالإسناد المذكور وذلك في سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة وكتب الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله ومسلماً » .

[نسخة كتاب « الفصيح » لثعلب المحفوظة في مكتبة شيستربتي برقم ٥١٩٧]

وتقوم كتب التراجم وطبقات العلماء بصفة خاصة بإحصاء الأجيال المتتالية للعلماء العاملين في حقل بعينه وتسجل لنا أسباب التواصل في تاريخ العلوم سواء داخل جيل بعينه أو عبر سلسلة من الأجيال . وكذلك فقد نما سواء في مشرق العالم الإسلامي أو في بلاد المغرب والأندلس نوع من السيرة الذاتية يُعَدِّد فيها العالم الشيوخ الذين تتلمذ عليهم والأعمال التي سمعه أو قرأها عليهم (ثبت المرويات والمشيخات في المشرق وكتب البرامج والفهرسة في المغرب والأندلس) وفيها يُعَدِّد المؤلف أسماء العلماء الذي قابلهم وما تعلمه منهم والإجازات التي حصل عليها أثناء رحلته في طلب العلم .

ومن أوضح أمثلة ذلك كتاب « المعجم المفهرس » لابن حجر العسقلاني الذي توجد منه نسخة بخط ابن حجر في مكتبة مراد ملا بإستانبول برقم ٦٠٣ ، يقول في مقدمة المعجم :

قرأ علي كتاب الفصيح أجمع الشيخ الزاهد ... أبو محمد عبد الغني بن
عبد الملك بن عادي الدمشقي نفعه الله بالعلم قراءة حفظ واتقان
وذكرته له عن الشيخ سعد الخير الانصاري عن أبي سعد المطرز بن
الاصبهاني عن أبي نعيم الحافظ عن ابن بيسان عن ثعلب
وروايته له أيضا عن الشيخ أبي علي الحسن بن مهرة الحدادي المقرئ
بالاجازة عن أبي نعيم الحافظ بالاسناد المذكور وذلك سنة
ثلاث وسبعين وخمسمائة وكتب الفقير إلى الله تعالى
عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري حامدا لله تعالى ومصليا على
نبيه محمد وآله وسلم

نص القراءة الواردة بآخر كتاب « الفصيح » لثَعْلَب ، بخط عبد الرحمن محمد بن الأنبارى من نسخة كتبها محمد بن عبد الغفار الهمدانى فى ٧ صفر سنة ٥٧٣هـ شيستربتى رقم ٥١٩٧

« أما بعد فإن جماعة من العلماء جرت عادتهم بجمع أسماء مشايخهم ليكون تذكرة لهم ولمن بعدهم ، واختلفت مقاصدهم في ذلك فمنهم من فَرّق بين أهل السماع والإجازة ، ومنهم من جمع ، ومنهم من اقتصر على التخريج في كل ترجمة بحديث من مروي ذلك الشيخ ليقع اتصال السلسلة بين من يأخذ عنه وبينه ، ومنهم من استوعب المشايخ ، ومنهم من اقتصر على من له منهم إسناد عال .

وقد بدا لي أن أجمع في هذه الأوراق **أسماء جميع من سمعت منه أو أجاز لي مشافهة أو مكاتبة ، سواء سمعت عليه حديثاً أو كتاباً أو رسالة** لأتذكر بذلك عهدهم وأجدد لهم الرحمة بعدهم .. وأسوق في ترجمة كل منهم جميع ما سمعته عنهم » .

* * *

ومن الإجازات التي نصادفها على المخطوطات العربية كذلك ، إجازات المناولة ، وهي أن يُعْطي الشيخ لتلميذه أصل كتابه أو الكتاب الذي يرويه أو يعطيه نسخة مقابلة منه ، ويقول له : « هذا كتابي ، أو هذه روايتي ، وقد أجزتك روايته » ويعطيه هذه النسخة لتكون ملكاً له ، أو يشترط على التلميذ أن يَنْسَخها ثم يعيدها إليه [1] مثال ذلك :

« ناولت الشيخ أبا الحسين عبد الوهاب بن علي بن أحمد السيرافي وابنه أبا عبد الله أحمد أدام الله عزهما ، والحسين بن علي بن هاشم ، ونمر مولى الأهوازي هذا الكتاب وأخبرتهم به فقلت : أخبرنا أبو الحسن محمد بن العباس بن الفرات وأبو الحسين محمد بن عبد الله ابن أخي ميمي وأبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى ، وأبو القاسم

(١) فؤاد سزجين : المرجع السابق ١٣٧ .

ابن المنذر القاضي وأبو حازم عبد الوهاب بن مكرم القاضي ، وأبو عبد الله الضيفني الحنفي ، وأبو العباس أحمد بن عبد الواحد الإربلي النحوي ، وأبو . . . . محمد بن أبي الفوارس . . . [وكتب] الحسين بن محمد بن الفراء البغدادي بمصر في شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وأربع مائة حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله » .

[نسخة كتاب « حذف من نسب قريش » عن مؤرج بن عمرو السدوسي المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط] .

وأورد القدماء أيضاً على الصفحات الأولى للمخطوطات **سند روايتهم للكتاب** ، ولكننا قليلاً ما نصادف على المخطوطات **إجازات عامة** برواية جميع مسموعات المجيز ، ومن بين هذه الإجازات ، الإجازة التي أوردها ياقوت الحموي والتي كتبها ابن جنّي للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر سنة ٣٨٤هـ يجيزه فيها بأن يروي عنه مصنفاته وكتبه .

« بسم الله الرحمن الرحيم قد أجَزْتُ للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر – أدام الله عزَّه – أن يروي عنّي مصنفاتي وكُتُبي مما صحَّحه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري – أيَّد الله عزه – : عنده منها كتابي الموسوم بـ « الخصائص » وحجمه ألف ورقة ، وكتابي « التمام في تفسير أشعار هُذَيْل » مما أغْفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّريُّ – رحمه الله – وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك ، وكتاب في « سرّ الصناعة» وهو ستمائة ورقة ، وكتاب في « تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني » وحجمه خمسمائة ورقة ، وكتابي في « شرح مُسْتَغْلَق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شُعرائها » ومقداره خمسمائة ورقة ، وكتابي في « شرح المقصور والممدود » عن يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت وحجمه

أربعمائة ورقة ، وكتابي في « تعاقب العربية » وأطرف به وحجمه مائتا ورقة، وكتابي في « تفسير ديوان المُتَنَبِّي الكبير » وهو ألف ورقة ونَيِّفٌ، وكتابي في « تفسير معاني هذا الدِّيوان » وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة ، وكتابي « اللُّمَعُ في العربية » وإن كان لطيفاً ، وكذلك كتابي « مُخْتَصَرُ العروض والقوافي » ، وكتابي « الألفاظ المَهْموزَة » ، وكتابي في « اسم المفعول المُعْتَل العين من الثُّلاثي على إعرابه في معناه » وهو المُقْتَضَبُ ، وما بدأت بعمله من كتاب « تفسير المُذَكر والمُؤنَّث ليعقوب » أيضاً - أعان الله على إتمامه - وكتاب «ما خرج عنِّي من تأييد المُذكَّرة عن الشَّيْخ أبي عليّ» - أدام الله عزه - ، وكتابي في « المحاسن في العربية » وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتَّى شذَّ عنها ومقداره ستمائة ورقة، وكتابي «النَّوادر المُمْتعة في العربية» وحجمه ألف ورقة وقد شذَّ أيضاً أصله عنِّي ، فإن وقعا كلاهما أو شيءٌ فهو لاحقٌ بما أجزت روايته هنا ، وكتاب « ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمللته أو حَصَل في آخر تعاليقي عن نفسي » وغير ذلك مما هذه حاله وصورته ، فليرو - أدام الله عزه - ذلك عنِّي أجمع إذا أصبح عنده وأنسَ بتثقيفه وتسديده ، وما صحَّ عنده - أيَّده الله - من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي - رحمهم الله - وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد الي أتيتها وأقمت بها مباركاً له فيه منْفُوعاً به بإذن الله . وكتب عثمان ابن جنِّي بيده حامداً لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلثمائة (١) .

ويرى جان جست ويتكام J. J. Witkam أن من واجب أمناء المخطوطات

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ١٠٩ - ١١١ .

بالمكتبات الشرقية جَمْع إجازات السَّماع والقراءة الموجودة في هذه المكتبات ونشرها وأن لا يكون النشر مقصوراً على تحليل بيانات هذه الإجازات ، كما فعل فايدا وماكيه ، بل يتعدى ذلك ليشمل أيضًا نَشْر نسخة السماع كاملة . فعندئذ يمكن أن يبدأ تنفيذ مشروع هام هو إعداد فهرس تراكمي للمادة الببليوجرافية الواردة في تلك الإجازات ، وسيكون هذا الفهرس بمثابة إضافة قيمة إلى المراجع الببليوجرافية المتوفرة حالياً . كما أن هذا النشر من شأنه أن ييسر لنا التعرف على المصطلحات الفنية المستخدمة في هذه الإجازات . ويتطلب ذلك توفير صور فوتوغرافية جيدة لهذه الإجازات مع تقديم وصف موجز للمخطوطات المعنية وفهرس بأسماء الأشخاص الذين أصدروا هذه الإجازات ووظائفهم ، وفهرس بالأماكن التي تَنَقَّلت بينها المخطوطات المشتملة على هذه الإجازات على مر الزمن .

ويعتقد ويتكام كذلك أن مهمة دراسة هذه الإجازات لن تكون مثمرة ما لم يكن الباحث على دراية بشروط الإجازات التي سبق ذكرها وبالبيئة الثقافية التي أفرزتها، ولديه في الوقت نفسه خبرة واسعة مكتسبة من العمل في ميدان المخطوطات فهرسةً وتحقيقاً [(١)] .

قيود التصحيح والمقابلة والمعارضة :

ومن القيود الهامة التي نجدها كذلك على صفحات عناوين المخطوطات العربية (الظهرية) أو على الغاشية قيود التصحيح والمقابلة والمعارضة ، وكلها تؤكد صحَّة النُّسْخَة وأصالتها ، فلا شك أن أسلم طريقة - بل الطريقة الوحيدة - للتثبت من صحة مخطوطة ما هي معارضة المخطوطة المراد التحقق من صحتها ومقابلتها بمخطوطة أو مخطوطات أخرى من نوعها معارضة دقيقة . وهكذا فإن مقابلة عدد من المخطوطات بعضها بالبعض الآخر كان من الأساليب التي اتبعها العلماء القدماء

(١) ويتكام : المرجع السابق ١٧٢ - ١٧٣ .

للتوصل إلى المتن الصحيح . فمن ذلك ما ذكره ابن أبي أصيبعة في ترجمة مُهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، المعروف بالدخوار :

« وكان لا يقرئ أحداً إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب الذي يقرأه ذلك التلميذ ينظر فيه ويقابل به ، فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره بإصلاحه . وكانت نُسَخ الشيخ مُهذب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصحة وكان أكثرها بخطه »[1] .

إلا أن بعض مشاهير علماء الدين مثل القُطْب اليونيني في روايته لصحيح البخاري اعتبر معارضة النسخ وسيلة للتوَصُّل إلى معرفة مختلف القراءات لا وسيلة أولية لإثبات النص الصحيح .

كان النساخون والوراقون يقابلون النسخ التي قاموا بنسخها على الأصل الذي نسخوا عنه ، وكذلك معارضتها على نسخ أخرى موثَّقة ، كما كان كثيرٌ من العلماء يقارنون نسختهم بنسخ عديدة أخرى ويكتبون التصحيحات والاختلافات على هوامش صفحاتها ، وعادة ما كانت هذه النُّسَخ الأخيرة تحمل توقيعات هؤلاء العلماء الذين تملَّكوا هذه النُّسَخ أو اطلعوا عليها وأفادوا منها .

وفي ما يلي نماذج للمقابلات والمعارضات كما وردت على المخطوطات العربية :

« قوبل هذا المجلد وهو الرابع من المبسوط لشمس الأئمة السَّرَخْسي – رحمه الله – مع الشيخ الإمام العلم زين الدين عثمان ابن أبي بكر الحنفي بمدرسته الطَّرخانية بنسخته التي سمعها على الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام جمال الدين الخضري قدس الله روحه ونَوَّر ضريحه وذلك في مجالس آخرها الرابع من ذي القعدة من

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢ : ٢٢٤٣ .

سـنة إحـدى وأربعين وسـتمـائة وصُحح بحسب الإمكـان ، قـابله صـاحبه الفقيه الإمـام العـالم قطب الدين أبو الربيع سليمـان الحبشي شرفه الله تعـالى . . . والعـمل بمـا فيه آمين ، والحمـد لله رب العـالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه » .

[الجزء الرابع من كتاب « المبسوط » للسرخسي المحفوظ في دار الكتب المصرية برقم ٤٢٠ فقه حنفي] .

« قرأت هذا الجزء من أوله إلى آخره وصححته سنة سبع وأربعين وثلاث مائة وكتب الحسن بن عبد الله السيرافي » .

« عارض به نسخته داعياً محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد الناصري سنة ٨٠٤ » .

[الجزء الأول من « المقتضب » للمبرد المحفوظ في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٥٩٧]

« بلغ العراض بالأصل المُصَحح المضبوط بخط المصنف جزاه الله تعالى بحسن جزائه وآواه أعالي جناته في ضناء عَبْدائه وصححه لنفسه وأصلحه أحقر العبيد أبو طاهر الفيروز ابادي كاتب الأصل صفح الله تعـالى عن شـهوات جنانه وطمس على شـهوات لسانه وذلك بمدينة السلام بغداد » .

[نسخة كتاب « التكملة والذيل والصلة » للصغاني من نسخة كتبها بخطه محمد بن يعقوب الفيروز آبادي في بغداد سنة ٧٥٤هـ ، محفوظة في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١٥٢٢] .

« ونقلها الكاتب من نسخة مكتوب على ظهرها أن هذه النسخة نقلت من نسخة المؤلف وقوبلت بها ثم بنسخة منقولة عن الأصل ثم بأخرى مقروءة على المصنف » .

[نسخة مكتبة أحمد الثالث بطوبقبوسراي بإستانبول رقم ٣٢٢٦] .

« كتبته من نسخة بخط مولانا بدر الدين الإربلي . . . وفي الأصل أيضاً : قوبلت هذه النسخة وهي ما بنته العرب على فعال بنسخة بخط محمد بن المؤلف . . . وهي نسخة تامة الضبط صحيحة وقد ذُكر في آخرها أنه نقلها من نسخة بخط والده المؤلف ، وخطه أشبه شيء بخط والده . وتاريخ هذه النسخة المقابل بها يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وستمائة وقد كتبها بالحرم الطاهري وكانت هذه المقابلة في جمادى الآخرة سنة ثمانمائة . كتبه كاتب هذه النسخة . . . عيسى بن عبد الله الإربلي الشافعي » .

[نسخة كتاب « ما بنته العرب على فعال » للصغاني المحفوظة في مكتبة أولوجامع في بورصة رقم ١ لغات] .

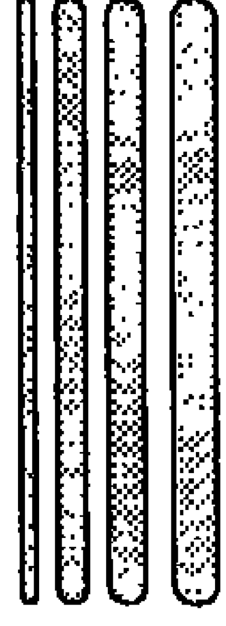
« بلغ مقابلة على الأصل الذي سُمع على الشيخ الإمام العالم سيد العلماء والحفاظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي الجَوْزي المصنف بتاريخ السادس والعشرين من صفر سنة تسع وستين وستمائة في الحرم الشريف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

[نسخة كتاب « شرح مشكل الصحيحين » لابن الجَوْزي المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٤٩٣ حديث] .

« بلغ مقابلة وتصحيحاً بأصله المكتتب بخط مصنفه فَسح الله في مدته والحمد لله وحده » .

[نسخة كتاب « تلخيص الكشاف » لأبي حفص العجمي المحفوظة في دار الكتب المصرية] .

* * *



تعقيبات ومداخلات

■ د. محمد السيد الجليند :

أشكر القائمين على هذه الندوة الطيبة وأرجو أن تظل المخطوطات محل اهتمام الباحثين أيًا كان تخصصهم ، وخاصة في هذا الوقت الذي يتعرض فيه تراثنا لهجمات شديدة من هنا وهناك .

أفدت من بحث د. بنبين إفادة كبيرة ، واتضحت لي أمور كثيرة كانت تشغل تفكيري . لقد عرض لتاريخ التعقيبة في اللغات السامية القديمة . واستشهد بشواهد تاريخية تؤكد صدق ما ذهب إليه من أنها كانت موجودة في اللغات السامية والشرقية القديمة قبل اللغة العربية . ولكن هل كانت التعقيبة تؤدي نفس الوظيفة التي تؤديها في اللغة العربية ؟ هذا مسكوت عنه في البحث .

ثم تحدث عن تاريخ التعقيبة في اللغة العربية ، وعرض رأي الباحثين بأنها ظهرت بعد القرن الرابع الهجري ، وربطها بظاهرة التأليف في اللغة العربية ، ومال إلى هذا الرأي وأنا أميل إلى هذا الرأي أيضًا لأن ظاهرة التعقيبة ارتبطت بالتأليف وجودًا وعدمًا ، إلا أنه في هذا الخصوص لدي بعض الاستفسارات أعرضها على المختصين من خبراء المخطوطات في عالمنا العربي ، الذين تزخر بهم هذه القاعة : مَنْ أطلق على هذه الظاهرة اسم التعقيبة ؟ وما هو أول مخطوط ظهرت فيه ؟ وما هو أول مكان استعملت فيه ؟ في الشام أو مصر أو العراق أو في المغرب ؟

إذا كان د. بنبين قد ربط التعقيبة بالتأليف فإني أتساءل : ألم يكن المصحف المخطوط القديم بداية لظاهرة التعقيبة ؟ وربما كانت شدة حرص المسلمين على نسخ القرآن الكريم والمحافظة على كلماته وحروفه هو ما أوحى لنساخ القرآن أن يبتكروا التعقيبة باللغة العربية من باب تنبيه القارئ إلى الكلمة التالية في الصفحة التالية حتى

لا يضل عن هذه الكلمة وهذه الصفحة . وإذا صح هذا الفرض فإن ظاهرة التعقيبة تكون من القرن الثالث أو الرابع الهجري ، ويمكن ربطها بالقرآن الكريم .

وتكلم د. بنبين عن مقدار التعقيبة ، كلمة ، كلمتان ، ثلاث ، أكثر ، والسؤال هل كون التعقيبة كلمة أو أكثر يرتبط بنظام معين أو أنَّ الأمر يعود لهوى الناسخ ؟ وإذا كانت خاضعة لهوى الناسخ فنحن أمام فوضى في النسخ ، وما أميل إليه هو أن كون التعقيبة كلمة أو أكثر أمر مرتبط بقداسة النص الذي ينسخه الناسخ . على سبيل المثال ، لاحظت في كتب المسانيد القديمة : مسند ابن عباس ، ومسند ابن عمر – لاحظت أنه إذا اشتبهت الأحاديث أو تعددت الكلمات المشتبهة في الحديث وكانت في آخر الصفحة فلا يكفي أن تكون التعقيبة كلمة واحدة ، وإنما قد تكون كلمتين . وإذا لم يزُل اللبس بكلمتين تكون التعقيبة ثلاث كلمات ، وإذا لم يزل اللبس بثلاث كلمات تكَون التعقيبة أربع كلمات . مثلاً : إذا كان آخر الصفحة المنسوخة « والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، فلدينا ثلاثة أحاديث تتكرر فيها هذه الكلمة وهي : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به . فتكرار الكلمات الأربع في هذه الأحاديث الثلاثة لا يكفي فيها أن تكون التعقيبة كلمة أو كلمتين أو ثلاثًا . وإنما لابد من إضافة كلمة غير موجودة في بقية الأحاديث الثلاثة مثل : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون » . فهنا تكون التعقيبة كلمة أكون و « لا يؤمن أحدكم حتى يحب » فتكون التعقيبة كلمة يحب و « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه » فتكون التعقيبة كلمة يكون . وتعدد الكلمات في التعقيبة هنا ليس خاضعًا لهوى ، بل هو خاضع لنظام معين ألزم النساخ أنفسهم به لإزالة اللبس .

وحدد د. بنبين ثلاثة منافذ لتأثر التراث الأوروبي بالتعقيبة العربية : إيطاليا وإسبانيا وجنوب فرنسا . وأنا أميل إلى هذا الذي ذكره ، لأن الواقع التاريخي يؤكد ذلك .

■ د. عبد الستار الحلوجي :

قبل أن أعقب على بحث د. أيمن أود أن أجيب عن استفسار د. الجليند عن التعقيبة فأقول : أتصور أن التعقيبة وسيلة لترتيب الأوراق ، ذلك أن الأوراق لم تكن تُرقّم ، ولهذا نجدها في ذيل الصفحة اليمنى ولا نجدها في ذيل الصفحة اليسرى ، لأن الورقة العربية تبدأ من الجهة اليسرى . فلو تصورنا كتابًا مفتوحًا فإن أول ورقة من جهة اليسار لا اليمين ، فإذا انتهى القارئ فإنه سيقلب الورقة ولا يحتاج تعقيبة . نحن الآن ننظر للكتاب المجلد ، وقبل التجليد كانت الأوراق تكتب منفصلة ، ومن أجل الترتيب تكتب كلمة الورقة التالية في ذيل الورقة السابقة . ولهذا نجدها في الكتب العربية في ذيل الصفحة اليمنى ، وفي الكتب الأجنبية في ذيل الصفحة اليسرى . والتعقيبة كلمة واحدة بصرف النظر عن النص ، لأنها للترتيب ، وقد بدأت بالمصاحف أولاً . وقد يتساءل سائل : إن الكلمة في المصحف تتكرر مثل « الذين » . هذا صحيح ، ولكن يجب أن نتنبه إلى أن الأصل في القرآن هو الحفظ وليس الكتابة ، فلا خوف من ذلك .

وما لفت انتباهي هو أنه لدى طبع المصاحف والكتب العادية ، كانت بيانات النشر ترد في آخر الكتاب . وأوائل المطبوعات تأثرت بالمخطوطات . والمشكلة أن بعض المصاحف الحديثة كالمطبوعة في لبنان جاءت التعقيبة فيها في اليسار ، وهذا ما جعلني أسأل : لماذا جاءت في اليسار ؟ أتصور أنه بعد ترقيم الأوراق لم تعد التعقيبة تؤدي وظيفة الترتيب ، لأن الصفحات مرقمة . وقد يكون من أجل عدم التوقف في القراءة ، فنجد التعقيبة قبل أن نقلب الورقة .

بحث د. أيمن فؤاد سيد عرض بطريقة جيدة والشفافيات التي قدمها كوسائل إيضاح أدت الغرض ، ولو أني آخذ عليه كثرتها ، خصوصًا مع ضيق الوقت . من ناحية أخرى ، أتفق معه في ما أورده من أن الإجازات كانت تظهر وتنتقل مع ظهور مراكز العلم وانتقالها من مكان لآخر ، ولكني أختلف معه ومع غيره في القول بأن

هذه كانت موجودة بدمشق والقاهرة قبل بغداد ، وبعدها وجدت في بغداد وحلب ومكة ، والباحث درس ٧٣ إجازة في المكتبة الأهلية في باريس . والتعميم هنا ليس صحيحًا .

وقد سعدت أن صحح لي د. بنبين معلومة ذكرتها في كتاب ، مفادها : أن التعقيبات لم تظهر إلا في القرن الخامس الهجري . ومع أني قلت ذلك في ضوء ما درسته – مع أن الأيام في المستقبل قد تأتينا بشيء جديد – فالدكتور بنبين نقل هذا النص . والحقيقة أنه استطاع أن يصل إلى جديد ، خصوصًا إذا عرف أني كتبت هذا النص عام ١٩٦٦ .

بعد ذلك ، أود أن أضيف أمرًا يتعلق بالإجازات ، وهو يقول : إن الإجازات وسيلة للتراجم ، ولأن نعرف العلماء وغير العلماء . وهذا أمر حسن ، ولكن أود أن أضيف أمرين : الأول هو أن كثرة الإجازات والسماعات على كتاب غير الذي ذكره د. أيمن فؤاد سيد ، تبيّن قيمة الكتاب ونوعية مَنْ يسمعه ، هل هو عالم أو متعلم ، ثم كم استمرت قيمة الكتاب ، وفي أي الأقاليم كان لهذا الكتاب قيمة ؟ ولذلك ، فالسماعات تعطي الكتاب قيمة توقفنا على مدى انتشاره في عصره وبعد عصره والبيئات التي انتشر فيها . وكما تعلمون فإن المذاهب الفقهية انتشر كل منها في إقليم ، فالمكان هنا مهم . وكذلك السماعات والإجازات تفيدنا في التعرف على تحديد تاريخ تقريبي للمخطوط في حال عدم وجوده . وعندما نجد أن المؤلف توفي سنة ٥٠٠ ، نبحث عن السماعات ونرى أقدمها ونرى في أي سنة كان ذلك ، وإذا عرفنا أن أقدم سماع كان في سنة ٧٠٠هـ ، يكون هذا المخطوط مكتوبًا بالقطع ما بين سنتي ٥٠٠-٧٠٠هـ . فالسماعات والإجازات والتملكات هي صور من صور التوثيق في المخطوط العربي ، تساعد في بيان قيمة المخطوط وتحديد تاريخ تقريبي للنسخة التي تحمل هذه السماعات .

■ د. يوسف زيدان :

نقول للدكتور بنبين : إن التعقيبة تستحق بالفعل أن يهتم بها ، لأنه مما أعتز به أني أنقذت نحو ٥٠٠ مخطوطة في ٩ مكتبات مصرية بفضل التعقيبة . يُذكر ، أني وجدت في المكتبات الخطية غير المفهرسة من ٧-١٠٪ منها مفككة ، وكان المعين الأول في إعادة ترتيبها مرة أخرى هو التعقيبة . والتعقيبة كلمة واحدة بغض النظر عن المعنى الذي تدل عليه ، ولكونها كلمة واحدة كان يحدث لي أحيانًا بعض الارتباك إذا تكررت الكلمة نفسها في أكثر من ١٠ صفحات ، وكان الأمر يقتضي إعادة قراءة النص لتوخّي صحة الترتيب ودقته .

كما أن التعقيبة أكثر إنسانية من الرقم ، لأن ما عاينته هو أن الكثير من المخطوطات التي انتظمت أوراقها عن طريق الأرقام كان فيها خطأ كبير بسبب سهو المرقم أو تأخره زمنًا، لذا تظل التعقيبة أوثق في نظام الترتيب . وألفت النظر إلى أن تجليد المطبوعات عمومًا كان متأخرًا ، لأن الأصل في المخطوطات العربية القديمة كان كراريس أو في رق أو في أوراق مفككة ، إذًا كان للتعقيبة دور أكبر في القرون الأولى من دورها في القرون التالية .

وقد لفت د. بنبين النظر إلى أن إيطاليا وفرنسا استخدمتا نظام التعقيبة ، ومن ثم فهو يرجح أن يكون هذا بتأثير الكتابة العربية . وهذا معقول ، ولكني أتمنى لثقافتنا أن تخرج من هذه الحالة ؛ حالة إثبات الذات على حساب الآخر . ويضيف د. بنبين أن نظام التعقيبة يوناني ولاتيني ، وظهر هذا النظام في العربية . إذن التعقيبة سمة إنسانية بقطع النظر عن مَنْ أخذ من مَنْ . لذا يجدر بنا أن نخرج من هذه الدائرة ، وأظنها دائرة مغلقة ولن تؤدي ، على مستوى الوعي العام ، إلى شيء ذي قيمة .

أما البحث الجيد الدؤوب الذي قدمه د. أيمن فؤاد سيد والنماذج الجيدة المهمة التي قدمها ، فلي عليها بعض الملاحظات . ألا يظن د. أيمن أن الراوي أو الراوية

للشعر أو للنص الشفاهي كان هو الأصل الذي ظهر بعد ذلك مكتوبًا بشكل سماعات وإجازات . . إلخ - فهذه هي حال الثقافة العربية الشفهية أصلاً . ويذكر أن الشعراء الأوائل ، حتى المتأخرين أو الأواسط منهم ، كان لكل شاعر راوية .

وقد لمحت في ما قدمه د. أيمن من نماذج أن أحد السماعات ضمّت أميرًا وفقيهًا ومتعلمًا ، ألا يكشف ذلك عن جانب مهم من جوانب الحضارة العربية الإسلامية هو أن مجلس العلم الواحد كان يضمّ الأمير والفقيه والمتعلم في مجلس واحد ، ليستمعوا جميعًا لكتاب واحد ، وهكذا نكتشف خاصية أساسية من خصائص الحضارة العربية الإسلامية من خلال سماع في عدة أسطر .

كما ألمح د. أيمن إلى أن ابن أبي أُصيبعة أشار إلى عبد الرحيم بن علي ، المعروف بمهذب الدين الدخوار ، وأنه كان يُسمع تلاميذه ، والدخوار هذا هو أكبر مدرسة طبية في تاريخ الإسلام . لكنه لم يبلغ شهرة ابن سينا ولا ابن النفيس على ما يقال ، مع أنه هو المخرّج لأكبر عدد من الأطباء في تاريخ الإسلام كله . من تلاميذه ابن أبي أُصيبعة نفسه ، وابن قاضي بعلبك ، وشمس الدين الكلي ، وأكثر من خمسة عشر طبيبًا مشهورًا ، أغلبهم من رؤساء الأطباء من البلدان المختلفة . إن ارتباط هذا باهتمامه بالإجازة يعطي دلالة على الارتباط بين المدرسة المخرّجة للعلماء وبين عملية الإجازة .

أخيرًا ، اعتبر د. أيمن أن كل إجازة مسلم بصحتها دون مناقشة ، بما في ذلك إجازات الصاغاني الكثيرة ، والسؤال : أليس من حقنا قليل من الشك في هذه المسألة إذا كنا نشك في نسبة الكتب لمؤلفيها وفي نسبة الخطوط ؟

■ د. عدنان درويش :

كثير من المؤلفين الذين كتبوا مؤلفاتهم بخطوطهم لم يهتموا بالتعقيبة . ومن هؤلاء ابن حجر ، والمقريزي . والسؤال : هل التعقيبة نظام متعارف عليه بين الناس أم هي نظام من ابتداع الوراقين والنساخ ؟

أود الإشارة إلى أنه قد صدر في دمشق معجم الإجازات والسماعات

للمستشرق الألماني ڤان ليدر ، وهو معجم حافل بالسماعات والإجازات بما فيها تلك الموجودة في مكتبة الأسد . وفي ما يتعلق بالسماعات والإجازت والقراءات وما إلى ذلك ، نقرأ أحياًا أن فلانًا كان يكتب القراءة ، والقراءة معناها الحضور ، فعندما كان يحضر قراءة كتاب ما على شيخ ما ، فيحضر خمسة عشر من طلبة العلم ، وهم درجات من المعرفة والوعي ، فيأتي أحد الطلبة ويكون أكثر نباهة من غيره فيكلفه الشيخ بأن يكتب القراءة في طباق ، وكانت هذه الطباقات مكتوبة على كثير من الكتب المخطوطة . فالسؤال : ألا يدخل الطباق ضمن السماعات والقراءات والإجازات ؟ ثم نجد هناك نصوصًا مكتوبة على الصفحات الأولى فتسمى الوجادات ؛ أي التي وجدت بخط فلان ، فهل تدخل الوجادة أيضًا في هذا الإطار؟

■ د. أيمن فؤاد سيد :

ليس للوجادة قيمة السماعات أو القراءات والمناولات . بل تعد الوجادة إحدى طرق تلقي العلم ، وهي متأخرة بعد المكاتبة .

■ د. أحمد نظيف :

لي تعقيب بصفتي من العاملين بمجال تكنولوجيا المعلومات ، هذا المجال الذي أشير إليه أكثر من مرة في هذا الحوار ، وهو ما أسعدني كثيراً . لاشك أنه توجد اليوم فرص كبيرة لإتاحة تراثنا العربي والإسلامي ونشره وتقديمه للأجيال الحالية والقادمة من خلال وضعه على شبكة الإنترنت . وقد تمَّ حقًا وضع بعض مخطوطات هذا التراث على شبكة الإنترنت . على سبيل المثال ، قامت دار الكتب المصرية ببناء قاعدة بيانات مختصرة للمخطوطات العربية والإسلامية الموجودة في الجامعات العربية والأجنبية ؛ كتلك الموجودة في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية وجامعة شيكاغو . وبعض المخطوطات في اليمن تمَّ وضعها بشكل يسمح بقراءتها من خلال الحواسيب الآلية ، وهذه خطوة بداية في طريق طويلة شاقة .

بالإضافة لما تقدم ، هناك خاطران من المجال الذي أعمل به حول ما عرض اليوم : الأول يتعلق بنظام التعقيبة ، فهو نظام جاء به نظام الترقيم ، والخاطر الجديد هو أن نظام الإنترنت يتيح لنا أن نصل إلى ما نريد بالتسلسل ، لا بقلب الصفحة ، فلدينا الآن ما يسمى : **الـ هايبرلنكس** . **الـ هايبرلنكس** يعني أنه لو أعجبتني كلمة في صفحة ما فإني أشير إلى هذه الكلمة بالمؤشر وأضغط عليها فأحصل على موضوع يرتبط بهذه الكلمة . . وهكذا أنتقل داخل عالم المعرفة بطرق مختلفة .

أما في ما يخص نظام **الإجازات** من وجهة نظر تكنولوجيا المعلومات ، فإن هذه الإجازات إضافة لابد من وضعها في الحسبان عند فهرسة المخطوطات على الحاسب الآلي ، ذلك أنها تعد معلومات قيمة للغاية ، لكنها تحتاج إلى جهد مضاعف .

■ د. أحمد شوقي بنبين :

التعقيبة ابتكار شرقي عربي في المخطوطات . في ما يخص كلمة تعقيبة ، نقول عنها في المغرب : الواصلة ، الرابطة ، **الرقاص** . أما كلمة تعقيبة فأعتقد أنها كلمة شرقية ، وحاولت أن أبحث عن تاريخ بدء استخدام هذه الكلمة وأين استعملت ، فبحثت في تاج العروس فلم أعثر عليها ، ومهما يكن فكلمة التعقيبة بدأت مع مطلع القرن ١٩ . كما وجدت في لغات أجنبية ، لدى الإنجليز يقال Catch world ، واسمها Catch line عند الألمان .

سبق لي أن ذكرت في كتاباتي في علم المخطوطات العربية أن قضايا كثيرة لم أجد لها إجابات ، سمعت كلمة كراسة ، والكراسة عند علمائنا الكبار هي ١٠ ورقات ، وأنا تصفحت في برلين عشرات المخطوطات وعددتها فوجدت بعضها ١١ ورقة وبعضها الآخر ٨ ورقات فقط ، ويضعون حرف كاف أو تكتب كلمة كراسة . ما معنى هذا الكلام؟ هل هناك خلاف في مراكز النسخ في الشرق ؟ وهناك من يقول : إن الكراسة لا هي ١١ ورقة ولا هي ٨ ورقات ، بل هي أشياء أخرى .

وفي ما يتعلق بالتساؤل : لماذا لا يضع المؤلفون تعقيبة إذا قاموا هم أنفسهم بنسخ مؤلفاتهم في حين أن النسخ الأخرى توضع لها تعقيبة ؟ أقول : ماذا نقول لو وجدنا نسخة أصلية فيها تعقيبة ؟ هنا أشير إلى أنني عندما بحثت في مخطوطات القرنين ٥ و ٦ هـ وجدت التعقيبة في بعض الأوراق ولم أجدها في باقي أوراق المخطوط ، أو وجدتها في القسم الأول ولم أعثر عليها في القسم الثاني ، هذا مشكل كبير . لذا لابد من معهد للكوديكولوچيا في العالم العربي . والسؤال : لماذا لانطور مركز المخطوطات ونأتي بمختصين وآليات حديثة على غرار معهد البحث وتاريخ النصوص في باريس الذي يقوم بالعناية بعلم المخطوطات اليوناني واللاتيني وحتى العبري ، والأخير متقدم كثيراً ، فلدى اليهود إمكانيات ووسائل كثيرة ، حتى إن قسم المخطوط العبري بمعهد باريس هو الأكثر نشاطًا .

بالنسبة لكون التعقيبة يونانية أو لا ، أنا لم أجزم بذلك ، وقلت : إن اليونانيين أخذوها في القديم عن العرب المشارقة ؛ عن الآشوريين والأوغاريتيين والبابليين ، كما أخذوا حروف الكتابة عن الفينيقيين . ويُذكر ، أنه عندما اختفت التعقيبة في المخطوطات العربية في بداية العصر الوسيط بدأت تظهر التعقيبة في المخطوطات الغربية . وليس مصادفة أن نجد أن أكثر المخطوطات الغربية التي تتضمن التعقيبة هي المخطوطات الإسبانية والإيطالية ، ونحن نعرف علاقة هاتين الدولتين بالعرب . كما أن أول المخطوطات الفرنسية التي وجدت فيها التعقيبة كانت في جنوبي فرنسا على حدود إسبانية . هذه معطيات تجعلنا نقول : إن هناك أثراً للتعقيبة العربية .

إن مشكلة النسخ والنساخ في المخطوطات العربية هي مشكلة قائمة بوجه عام ، فلمَ لا نرشد علماءنا وطلابنا إلى مواجهة هذا الموضوع ؟

ثم أيضًا لماذا لا نخضع النساخ للدراسة كما خضع لها رجال الحديث ، ونبدأ بصنع كشافات النساخ ومعرفة حياتهم وما إلى ذلك ؟ هذه كلها تساؤلات بحاجة للبحث ، وتتطلب وجود مركز خاص للبحث فيها .

■ د. أيمن فؤاد سيد :

بداية أود الإشارة لحديث د. الحلوجي ، فقد أشار إلى أن النسخة الواحدة والكتاب الواحد يتم تداوله ونستطيع عن طريق السماع أن نعرف مدى تداول هذه النسخة ومدى استمرارها بين الناس . وأنا ذكرت نسختين بهذا الشكل : «الرسالة» للإمام الشافعي وبدأت عليها سماعات في أوائل القرن الرابع ، واستمرت حتى سقوط بغداد ، ثم تختفي هذه النسخة من سنة ٦٥٦ حتى إلى أن تظهر في مجموعة مصطفى فاضل باشا ، التي ضُمت إلى دار الكتب سنة ١٨٨٦ ، فلا ندري أين كانت هذه النسخة في الفترة بين ٦٥٦-١٨٨٦ ، فلم يسمعها أو يقرأها أو يتداولها أحد . النسخة الأخرى هي نسخة « مقامات الحريري » وعليها عدد كبير جداً من الإجازات على مدى ٢٠٠ سنة . وانقطعت أيضًا أخبارها لتظهر مرة أخرى في مكتبة مصطفى فاضل باشا ، ولا ندري من أين أتى الأخير بهذه النسخ . لذلك، فدراسة أصول النسخ ورحلة النسخة وانتقالها من مكان لآخر أمر مهم جدًا ، ويجب أن يقوم واضعو الفهارس بذلك ، لنعرف تاريخ النسخة الموجودة في المكتبة ، أين كانت ومن أين جاءت وكيف جاءت ، إلى أن استقرت في هذه المكتبة .

الرواية الشفوية شيء مختلف تمامًا عن السماع والقراءة ، ثم إن رواية الشعر تختلف عن النظام الذي نتحدث عنه . وهناك حقيقة أخرى هي أن جزءًا كبيرًا من التراث العربي لم يكن تراثًا شفويًا ، بل مأخوذ من مصادر مكتوبة أقدم ، والمرحوم فؤاد سيد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك جميع مصادر الطبري الموجودة ، وذكر أن الطريقة التي وصلت إليه بها هي : قال فلان عن فلان ، عن نصوص مكتوبة . ولولا ذلك لما استقرت في حافظته ، إذ لا توجد أية حافظة تستطيع استيعاب هذا الكم من المعلومات .

ثم إن هذه الإجازات هي نوع من الشهادات العلمية ، وهي لا تؤخذ إلا إذا قرئ

الكتاب ؛ وهي الطريقة التي روي بها الكتاب والطريقة التي تلقاها التلميذ ، وبالتالي فهي شهادة علمية بالأساس . ولدى الشك بالتزوير نحن نقابل الخطوط بعضها مع بعض ، وإذا شككنا بكل شيء ، فمن الممكن أن نفتح باب الشك على مصراعيه ، ولكن الأمانة العلمية لدى العلماء القدماء تظهر لنا كيف أن شخصًا ما ينقل لا يثبت السماع نفسه ، بل يقول : وجدت أو شهدت على النسخة المنقول عنها أنه سمعها فلان وقرأها فلان ، أو نقلتها عن نسخة قرأها فلان عن فلان عن المؤلف . وهذه أمانة علمية ، لأنه كان من الممكن أن يزوّر ، ويمكن أن يكتب نفس الكلام ويزوّر . وهذا وارد أيضًا .

■ د. عادل سليمان جمال :

من طرق العلم المكاتبة ، والكتابة . وعن طريقهما انتقل كتاب ابن سلاّم إلى الجاحظ وأبي الفرج الأصفهاني . وثمة طرق متعارف عليها عند علماء الحديث ، لتحمّل العلم ، ذكرها القاضي عياض في «السماع» ، وابن الصلاح ، والسيوطي . وهناك فرق بين الطريقة الاصطلاحية في تحمّل العلم الطريقة التي وصلت إلينا فيها طرق تحمّل العلم عن المخطوطات ، فالمخطوطات أكثر الطرق الموجودة عليها هي : السماع والقراءة والمناولة . أما الكتابة والمكاتبة فتكون من عالم لشخص يجيز له رواية الكتاب حتى لو كان قديمًا ، وكذلك السماع والقراءة يكون على نسخة قديمة وتقرأ وتسمع بعد سنة ٢٠٠ . وهذا يعطي الشخص المجاز له حق رواية الكتاب أو إقرائه في مرحلة لاحقة .

لي تعقيب على قضية التعقيبة . لديّ نص للخطيب البغدادي ذكره في ترجمة علي بن المغيرة **الأصرم** ، يقول فيه : حدثني أبو مسحل عبد الوهاب قال : كان إسماعيل بن صبيح الكاتب أقدم أبا عبيدة في أيام الرشيد إلى بغداد وأحضر الأصرم وكان وراقًا في ذلك الوقت ، وجعله في دار من دوري وأغلق عليه الباب ودفع إليه

كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها ، قال أبو مسحل : كنت أنا وجماعة من أصحابنا نسير إلى الأصرم فيدفع إلينا الكتاب من تحت الباب ويفرق أوراقًا . . . ويسألنا نسخه وتعجيله ، ويوافقنا على الوقت الذي نردّه إليه .

هذا العمل (٣٣٢هـ) لا يمكن أن يكون إلا إذا كانت هناك علامات تميز الكراريس التي كان يعطيها للناس من تحت الباب ، ومن ثم يرصونها ليتم ضمها مع بعض ، هذه الطريقة لا يمكن أن تكون إلا على شكل التعقيبة .

* * *

الجلسة الثالثة

مســـائل ببليوغرافية

مشكلات توثيق العنوان والمؤلف

د. يوسف زيدان

د. أحمد مختار عمر (رئيس الجلسة) :

لدينا في هذه الجلسة ثلاثة متحدثين : أولهم د. يوسف زيدان ، ويحدثنا عن مشكلات توثيق العنوان والمؤلف ، وثانيهم الأستاذ عصام محمد الشنطي ، ويحدثنا عن أول المخطوطة وآخرها ، ود. محمد فتحي عبد الهادي ، ويحدثنا عن تصنيف المخطوطات العربية . ولكل من هؤلاء قدم راسخة في موضوعه .

* * *

لفهرسة المخطوطات مشكلاتها الجمّة التي أدّت بالباحثين في ميدان التراث إلى الانصراف عن هذا الدرب الوعر ، الذي هو واحد من أكثر الأعمال مشقة ، وأقلها مجداً . . ومع ذلك فإن العملية التراثية لا تتم على نحو جاد ، إلا إذا ابتدأت بالفهرسة . ونعني بالعملية التراثية هنا ، مجموعة الخطوات المتراكبة ، المتراتبة ، التي تؤدي في النهاية إلى وعي حقيقي بالتراث ؛ وهي خطوات : الفهرسة ، التحقيق والنشر ، الدراسة والبحث . فإذا لم تأخذ العملية التراثية سيرتها وسيرورتها على هذا النحو ، صارت ضربًا في عماية ، إذ كيف تكون الدراسة والبحث التراثي دون اعتماد على نصوص تراثية محققة تحقيقًا علميًا ؟ وكيف يكون التحقيق العلمي دون التعرف على الخريطة التراثية ، من خلال فهارس المجاميع الخطية ؟

ومن هنا تأتي بداهة البدء بالفهرسة ، وتأتي ضرورة النظر في مشكلات الفهرسة ، لحلها ، ودفع العملية التراثية - بأكملها - إلى الأمام ، لتسير سيراً رشيداً .

ولن نخوض في هذا التمهيد في مشكلات الفهرسة تفصيلاً ، فحسبنا الإشارة إلى مجمل الأمر ، وهاك الآتي :

أولاً : مشكلات إدارية ترجع في الغالب إلى تعدد الجهات التي تقتني المخطوطات ، فبعض المجاميع الخطية بيد أفراد ، وبعضها في مؤسسات . . والمؤسسات بدورها ، بعضها غير حكومي وبعضها حكومي . والحكومية تتوزع في أغلب البلدان ، بين عدة وزارات . . وهكذا . ولذا تخضع فهرسة كل مجموعة خطية لمعايير وموافقات ، تختلف في كل مرة ؛ وترتهن بتفهم من بيدهم أمر المجموعة الخطية المراد فهرستها .

ثانياً : مشكلات فنية تتلخص في انعدام التوحيد القياسي لبطاقة الفهرسة ، وتفاوت مستوى المفهرسين ، والخلط ما بين القائمة الحصرية والفهرس العلمي ، وصعوبة نشر الفهارس ، وبطء توزيعها . . إلخ .

ويلحق بهذا النوع الأخير من المشكلات مشكلات يمكن وصفها بأنها نفسية ، إذ لايلقى المفهرسون تقديراً ، كهذا الذي قد يجده المحققون والدارسون . . مع أن الفهرسة هي الأصل والمنطلق .

* * *

وفي هذه الورقة ، نلقي الضوء على إحدى المشكلات العملية المتخصصة ، هي مشكلة توثيق عنوان ومؤلف المخطوطة عند فهرستها . فنقول والله المستعان :

التوثيق والفهرسة

التوثيق هو عماد الفهرسة . ولا نبالغ إذا قررنا أن التوثيق هو الفهرسة كلها ! ذلك لأن جميع خطوات الفهرسة ؛ من وصف للمخطوطة ، وذكر لأولها وآخرها ، وإيراد عدد أوراقها ومسطرتها ومقاسها - ناهيك عن عنوانها الصحيح ومؤلفها - هي جميعاً عمليات توثيقية لهذه المخطوطة أو تلك . . ولايخرج عن ذلك ، وفقاً لنظام الفهرسة الذي نتبعه ، إلا خطوة واحدة هي التصنيف ، باعتبارها

الخطوة الوحيدة التي تنصبّ على مضمون المخطوطة ، بقطع النظر عن كيانها المادي .

غير أن الاصطلاح (التوثيق) جرى بين العاملين في ميدان التراث ، مصحوبًا بدلالة خاصة ، هي تحديدًا : توثيق عنوان المخطوطة ، ومؤلفها . وهو أمر ، كما سنرى ، ليس بالهين .

ولا يفوتنا هنا ، أن العنوان أو المؤلف هما أول بيان يطالعه الناظر في الفهارس الورقية ، سواء المنشور منها في شكل كتاب ، أو المرتب على هيئة بطاقات . . فكلها ، تبدأ بالعنوان أو بالمؤلف ؛ وفقًا لطريقة الفهرسة التي ارتضاها من قام ، أو من قاموا ، بالفهرسة .

ومن المعروف أن التوثيق يتم في أغلب الأحيان اعتمادًا على مصادر ومراجع تراثية مشهورة ، فإذا كان المطلوب توثيق عنوان ، كان الرجوع لأعمال مثل « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » لحاجي خليفة ، وذيله « إيضاح المكنون » لإسماعيل باشا البغدادي ومن قبلهما « الفهرست » لابن النديم . . هذا بالإضافة إلى عديد من الببليوجرافيات والبيوجرافيات ، التي قد يُستعان بها أيضًا عند توثيق المؤلفين ، بعد مصادر مباشرة لتوثيق المؤلف ، مثل « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة و « الأعلام » لخير الدين الزركلي و « تاريخ الأدب العربى » لكارل بروكلمان . . وغير ذلك .

وهناك العديد من الصعوبات التي تصادف خطوتي توثيق العنوان وتوثيق المؤلف ، ولسوف نسعى في ما يلي لحصر هذه الصعوبات - أو بالأحرى المشكلات - التي قد تصادف الخطوتين . وتجدر الإشارة ، قبل الخوض في التفاصيل ، إلى نقطتين أساسيتين تتعلقان بالقضية التي نحن بصددها . ونعني بذلك :

أولاً : هنـاك طائفـة من المخطوطات لا تخضع للمعـايير التقليـدية للفهارس، ولا للنظم المتعـددة للفهرسـة . وهـي من ثم ، لاتثير مشكلات فنية في مـا يتعلـق بتـوثيق العنوان والمؤلف ؛ فمن ذلك المصاحف . . فقد توجد المستنسخات القرآنية كـاملة أو غيـر كـاملة ، وفي كلتـا الحـالتين لاتواجه المفهـرس أية صعـوبـات في التـوثيق، فـحسـبـه أن يذكـر الملامح والصفات التي يجدهـا في كل مـخطوطة ، وبداية ونهاية كل نسخة غير كاملة . ويضع ذلك كله في قائمـة مسـتقلة . ومن الأفـضل أن تنفـصل هذه القـائمـة عن بقـية الفـهـرس . وتوضع بأولـه ، تبـجيـلاً وتشـريفًا لمحـتواها . ويدخل في هذا البـاب ، بقـية الكتب السمـاوية : الإنجـيل ، والتـوراة . .

وقريب مما سبق ، كتب الصـحـاح . . إذ تستلزم فـهرسـتهـا - بالإضـافة إلى الوصـف - ذكـر العناوين التي تكون في الغـالب الأعـم مشـهورة ، أو وضـعـهـا تحت عنـوان تقديري فضـفـاض ، هو : **أحـاديث شريفـة** . وقد يُذكر معـهـا راويهـا ، أو جـامعـهـا ، من دون إشارة إلى **المؤلف** ، وإلا صـار الأمر سـخيفًا ومضـحكًا ، كأن يُقال : أحاديث شريفة لسيدنا محمد بن عبدالله (ﷺ) .

ولا مـجـال في الحـالتين السـابقـتين للـكلام - بالطبـع - عن نسـخـة بخـط المؤلف! ولكم يتندّر د. محـمـود الطناحي بين التراثيين بأن أحـدهم طلب منه يومًا مخطـوطة قرآنيـة . بخط المؤلف !

ثانيًا : إن الصعوبات ، أو المشكلات ، التي سنذكرها في ما يأتي ، ليست من قبيل التصورات النظرية ، أو التأملات في ما يمكن أن يصادفه المفهرس عند توثيقه العنوان والمؤلف . وإنما هي نتاج خبرات عملية ، ومواقف عايناها أثناء فهرستنا لما يقرب من ثمانية عشر ألف مخطوطة ، موزعة على مكتبات : جامعة الإسكندرية (١٦٩٠ مـخطوطة) ، رفـاعـة الطهطاوي (١٤٨١ مـخطوطة) ، بلدية الإسكندرية (قرابة ٦٠٠٠ مخطوطة) ، مسجد أبي العباس المرسي (قرابة ٢٧٠٠ مخطوطة) ،

بلدية دمنهور (٢٦٦مخطوطة) ، مسجد المحلي برشيد (١٠٤ مخطوطة) ، المعهد الديني بطنطا (٣٠٠٠ مخطوطة) ، المسجد الأحمدي بطنطا (٢٧٠٠ مخطوطة) . . ولا يزال عملنا جاريًا في فهرسة مجموعات خطية أخرى ، كمجموعة المعهد الديني بالإسكندرية (١٧٨٥ مخطوطة) .

مشكلات توثيق العنوان

لعل من أبرز المشكلات التي تواجه المفهرس عند توثيق العنوان ، ما ينشأ من عجلة المفهرس واطمئنانه إلى المشهور المتداول من عناوين ، وقد تكون غير صحيحة . وقد يجدها المفهرس على غلاف المخطوطة المفهرسة ، فيتدعم وهمه ! والأمثلة على هذا الأمر في تراثنا ، كثيرة . فقد اشتهر - مثلاً - لابن خلدون «المقدمة» . وإن هي إلا الجزء الأول أو المجلد الأول من كتاب «**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**» .

وقد مرت علينا واقعة من هذا الباب ، في المخطوطة رقم ١٩٦٤/ د بمكتبة بلدية الإسكندرية ، وهي التي تضم متنًا من أشهر متون الحديث الشريف ، هو « **مقدمة ابن الصلاح** » ، بيد أن عنوانها الصحيح هو « **كتاب معرفة أنواع الحديث** » ، وهو العنوان الذي اختاره ابن الصلاح لكتابه ، إذ المخطوطة المذكورة ، من إملاء مؤلفها ، وسمعت عليه ، وأجازها ، وبآخرها وأولها سماعه وإجازته ، وعنوانها الصحيح [١] ، غير أن الكتاب عُرف من بعد ، ونُشر ، بعنوان « **مقدمة ابن الصلاح** » .

وقد تواجه المفهرس مشكلة في توثيق العنوان ، إذا اشتمل هذا العنوان على كلمة غريبة أو غير عربية ، مما يمكن معه أن ينصرف الذهن عن العنوان الصحيح .

---

(١) انظر كتابنا : نوادر مخطوطات بلدية الإسكندرية - (الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية - برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، ١٩٩٥) نموذج رقم ٣ .

فقد يجد المفهرس مخطوطة على غلافها **ألف باء** ، وسط تملكات وقراءات وسماعات ونقول كثيرة ، فلا ينتبه إلى أن ذلك هو عنوان كتاب ابن الشيخ البلوي (أبي الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله الأندلسي ، المتوفى ٦٠٤ هجرية) الذي جعله بعنوان **«ألف باء مما صُنع للألباء»** . وقد مرت علينا منه نسختان بمكتبة رفاعة الطهطاوي ، الأولى تضم الجزء الأول فقط ، والأخرى تضم جزأيه ؛ وكلتاهما محفوظة بمجلد واحد بالمكتبة تحت رقم ٢١ / أدب [١] .

ومن الكلمات غير العربية ، والغريبة ، التي صادفناها أثناء فهرسة مخطوطات رفاعة ، ما ورد في عنوان المخطوطة رقم ٦٩ / أدب ، حيث كتب الناسخ عنوانها : **دستيجة المقتطف** . ولأن الكتاب لم يرد في كشف الظنون ، ولا في غيره ، فكان لابد من توثيق هذا العنوان ، ووضعه على النحو الصحيح ، بالرجوع إلى المعاجم **الفارسية** التي عرفنا منها أن صواب الكلمة - ومن ثم العنوان - هو « **دستجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف**[٢] . . يقول السيد أدي شير في معجمه الشهير : **دستجة كلمة فارسية معربة ، تعني الحزمة والإناء الكبير من الزجاج** [٣].

ومن العناوين الغامضة التي وجدناها ، ومن الممكن أن يجدها أي مفهرس ، ما رأيناه على غلاف المخطوطة رقم ٣٣٨ / جعفر ولي ، بالمكتبة المركزية لجامعة الإسكندرية ، حيث كُتب : سلكوتي على المطول ! وبعد توثيقها ظهر أنها : حاشية السيالكوتي (عبد الحكيم بن شمس الدين محمد الهندي ، المتوفى ١٠٦٧

---

(١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي بسوهاج ، الجزء الأول (معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٦) ص ١٤ ، ١٤٢ .

(٢) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، ٢/ ٣٩٩ .

(٣) أدي شير : معجم الألفاظ الفارسية المعربة (مكتبة لبنان) ص ٦٣ .

هجرية) على شرح التفتازاني المطول على تلخيص المفتاح للقزويني [1] . . والمفتاح هنا ، هو كتاب « **مفتاح العلوم** » للسكاكي (ت ٦٢٦هـ) .

ومما يوقع المفهرسين ، في مشكلات التوثيق ، وأوقعني كثيرًا ، تداخل عناوين المؤلفات التراثية في شتى الفروع والفنون والمعارف . . فمن كتاب له أكثر من عنوان ، إلى عنوان واحد لعدة كتب ! ومن أمثلة تعدد العناوين للنص الواحد :

* **السنوسية الصغرى / أم البراهين** للسنوسي (في علم الكلام)

* **بدء الأمالي / قصيدة يقول العبد** للأوشي الفرغاني (في علم الكلام)

* **الكواكب الدرية في مدح خير البرية / البردة** للبوصيري (في المدائح النبوية)

* **الرامزة / الخزرجية** لضياء الدين الخزرجي (في عروض الشعر)

* **المقصد الجليل في علم الخليل / نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب** للإسنوي (في عروض الشعر)

* **قصيدة ابن فرح / « منظومة غرامي صحيح »** لابن فرح الإشبيلي (في الحديث)

* **السمرقندية / رسالة الاستعارات** للسمرقندي (في البلاغة)

* **الخواص الكبير / المقالات الكبرى / الرسائل السبعية / الجامع** لجابر بن حيان (في الكيمياء)

* **تدارك أنواع الخطأ الواقع في التدبير / دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية** لابن سينا (في الطب)

---

(١) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ، الجزء الأول (معهد المخطوطات العربية ١٩٩٤) ص٢٤٨ .

والعجيب أن بعض مشاهير المؤلفين القدامى ، لم يترفقوا بمن سيأتي بعدهم من المفهرسين ، إذ نراهم يتعمدون ازدواج العنوان . وهو ما وجدناه في مخطوطة الشيخ عبدالرؤوف المناوى المحفوظة بمكتبة رفاعة الطهطاوي تحت رقم ٦١ / فقه ، التي يقول في ديباجتها : الحمد لله الذى مَنَّ بتيسير تحبير تحرير تنقيح الشريعة . . . ، وبعد . . فشرعت فى ذلك مستعينًا بالرؤوف الرحمن ، وسميته إحسان التقرير فى شرح التحرير ، ويحسن أن يُسمي فتح الرؤوف الوهاب بشرح تنقيح اللباب[1] ! ومما يزيد في المشكلة ، أن الكتاب هو شرح مختصر زكريا الأنصاري لكتاب « تنقيح اللباب » لأبي زرع ، الذي هو مختصر كتابين لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، كلاهما يحمل عنوان « لُباب الفقه »[2] . . وقد خرجنا من هذا الالتباس بتوثيق وضبط العنوانين معًا ، ووضع أحدهما في الترتيب الألفبائي للعناوين التي يضمها الفهرس والآخر جاء في موضعه في شكل إحالة على العنوان الأول .

وهاهو ناظم متأخر ، أعني عبد العزيز الأنصاري الفرغلي (المتوفى ١٢١٦ هجرية) يعمد إلى متن نحوي مشهور ، هو « قَطْرُ الندي وبَلُّ الصدي » لابن هشام الأنصاري ، فينظمه في قصيدة كُتبت إحدى نُسخها الخطية بعنوان « نظم قطر الندي » . ونسخة أخرى من القصيدة ذاتها ، عنوانها « غيث الندي » ! وكلتا النسختين كُتبت في حياة المؤلِّف[3] .

أما وجود عدة نصوص تراثية تحت عنوان واحد بعينه ، فهذا ما يكثر وقوعه ، حتى يكاد يستعصي على الحصر . . وإذا نظرنا في « كشف الظنون » رأينا عديدًا من

---

(١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الأول ، ص ٧٨ ، الجزء الثاني ص ٧٠٤ .

(٢) ولا يفوتنا هنا ، أن برهان الدين الكركي كان قد شرح مختصر أبي زرع لكتاب لباب الفقه للجويني ، فاختصره زكريا الأنصاري في مختصر بعنوان « تحرير تنقيح اللباب » ثم عاد وشرح المختصر ، وجعل الشرح بعنوان « تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب » . . وعلى الشرح الأخير حواش كثيرة أشهرها حاشية ابن الحنبلي الحلبي .

(٣) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الثالث ، ص ١٠٤٥ .

الأمثلة على ذلك . وقد صادفتنا هذه المشكلة من التداخل ، في كافة المكتبات التي فهرسناها ، وكانت بعض الحالات أكثر إشكالاً ومجلبة للحيرة ، مثل مخطوطة مسجد أبي العباس المرسي المحفوظة تحت رقم ١٠٤٢ / تصوف ، وبياناتها تدل على أنها « **وسيلة المبتدي ودليل المنتهي** » ، وأنها النصف الثاني من الجزء الرابع من كتاب البحر الزاخر ، ليوسف الطوسي ، واتضح عند التوثيق أن هناك أكثر من كتاب بالعنوان نفسه ، منها : البحر الزاخر (في تجريد كتاب السراج الوهاج) ، البحر الزاخر (في الفروع على مذهب الزيدية) ، البحر الزاخر (في فقه الإمامية) ، البحر الزاخر (الحاوي لعلوم الأوائل والأواخر) ، البحر الزاخر (في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر) ، البحر الزاخر (والفلك الدائر في علم النبي الطاهر) . . وهكذا . ولكم طال عكوفنا على هذه البحار حتى رجحنا **البحر الزاخر** المقصود [١] .

وفي مكتبة بلدية الإسكندرية كانت هناك رسالة لمؤلف مغمور ، هو مصطفى ابن السلطان أحمد خان ، كان عنوانها النجوم الزاهرة (في حوادث مصر والقاهرة) ، يتداخل بالتشابه مع النجوم الزاهرة (بتلخيص أخبار قضاة مصر والقاهرة) ، لسبط ابن حجر ، والنجوم الزاهرة (في أخبار ملوك مصر والقاهرة) لابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة (في الجيب بغير مُري ولا دائرة) لمحمد الخليلي ، والنجوم الزاهرة (في السبعة المتواترة) لابن عبد الله المقدسي [٢] .

وللإمام الغزالي ، وللديريني - كلاهما - كتاب بعنوان « **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** » [٣] . . وللخطيب التبريزي ، وللعبيدي ، -كلاهما- كتب بعنوان : « **الكافي في علمي العروض والقوافي** » [٤] .

(١) فهرس مخطوطات أبي العباس المرسي ، الجزء الأول (الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٧) ص٨٥ .

(٢) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية ، الجزء الأول - (الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦) ص ٣٨٩ .

(٣) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الثالث ، ص٩٦١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٨٤ .

وقد يأتي تداخل العناوين ، المربك للمفهرسين ، نتيجة لعمليات الشرح والتحشية والاختصار ، كما هو الحال في هذه المجموعة من الأعمال متداخلة العناوين : « **تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين** » لأحمد رشيد الرومي (نسخة بلدية الإسكندرية رقم ٣٥٩٠/ ج فنون منوعة) ، الذي هو مختصر كتاب « **بذل الماعون في فضل الطاعون** » لابن حجر العسقلاني ، والذي اختصره أيضًا جلال الدين السيوطي في كتاب بعنوان « **ما رواه الواعون في أخبار الطاعون** » ثم لخص المناوي نفس الكتاب ! ووضع البيلوني كتابًا آخر بعنوان : « **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية الوباء والطاعون** » [(١)].

ومما قابلناه من هذه النوعية تداخلات كثيرة تتعلق بالمخطوطة رقم ٦٠ / فقه بمكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج ، وعنوانها «**الكوكب المنير على فتح القدير بشرح تيسير التحرير**» للرشيدي (حسين بن سليمان الشافعي ، المتوفى ١٢٠٥ هجرية) حيث : التحرير في أصول الفقه ، لابن الهمام الحنفي المتوفى ٨٦١ هجرية ، شرحه أمير بادشاه البخاري شرحًا ممزوجًا عنوانه « **تيسير التحرير** » ، وعلى الشرح حاشية بعنوان « **فتح القدير** » ، والمخطوطة المفهرسة هي حاشية على حاشية الشرح ! ويتداخل مع ذلك – ويُربك – مؤلفات فقهية أخرى تتشابه عناوينها مع هذه الشجرة من المتن والشروح والحواشي ؛ منها « **فتح القدير للعاجز الفقير** » ، وهو شرح ابن الهمام الحنفي نفسه على « الهداية في فروع الفقه » للمرغيناني . . ومنها « **التحرير في شرح ألفاظ التنبيه** » وهو شرح النووي على كتاب « التنبيه في فقه الشافعية » للشيرازي [(٢)].

أما أعظم عملية تداخل وإرباك ، فهي التي تقابل المفهرس عند توثيق عناوين مخطوطات الشروح والحواشي والتقييدات التي وضعها العلماء – على امتداد

(١) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية ص٨٠ ، ص٣٣٧ .

(٢) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الثالث ، ص ٨٢٤ .

القرون – على كتاب « **مفتاح العلوم** » للسكاكي ، ومختصره : «**تلخيص المفتاح**» للقزويني ، وشرح المختصر : « **المطول** » للتفتازاني . . ولطالما عانيت من توثيق (شجرة المفتاح) هذه ، حتى رسمتها على شكل **شجرة** من العلاقات بين النصوص ، فساعدني ذلك على تحديد موقع الحواشي والشروح . ولهذا الأمر تفصيل يطول ، ويخرج عن الغرض المبتغى هنا ؛ وربما نعود إلى تفاصيله ، وإلى أمثاله ، في عمل بحثي آخر نجعله بعنوان : أشجار المؤلفات العربية .

وقد يجد المفهرس مشكلات في توثيق العنوان ، بسبب إعادة المؤلف تحرير ما كتبه ، وتعديله ؛ حتى يختلف النص من مخطوطة لأخرى ، مع أن كافة مخطوطات الكتاب تحمل العنوان نفسه ، مما يوقع المفهرس المدقق في الحيرة ، إذ **يصادف عدة** نسخ بعنوان واحد واختلافات كثيرة . ولا نعني هنا – **فقط** – الاختلاف بين المسودة والمبيضة ، وإنما – **أيضًا** – الاختلاف **في ما بين المبيضات** المزيدة . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ، ما وجدناه أثناء فهرسة مخطوطات بلدية الإسكندرية ، حيث كانت هناك إحدى عشرة نسخة من رسالة سبط المارديني (محمد ابن محمد بن أحمد الدمشقي ، المتوفى ٩٠٧ هجرية) الشهيرة « **الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية** » ، وفي ما بين النسخ اختلافات عديدة ، بسبب إعادة المؤلف صياغة رسالته ، وتعديلاته الكثيرة التي أجراها على فصولها العشرين [(١)] .

وأخيرًا . . فقد تنشأ مشكلات توثيقية بسبب وحدة الباب أو الموضوع المكتوب فيه ، مع اختلاف النص والمؤلِّف ، ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع : كتب **الأربعينات** التي طالما وضعها المحدثون على مر القرون ، عملاً بالحديث الشريف : «**من حفظ على أمتي أربعين حديثًا في أمر دينها ، بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء** » . ولأن كثيرين أحبوا أن يُحشروا في هذه الزمرة الطيبة ، فقد امتلأ تراثنا بكتب تحمل – جميعها – عنوان : الأربعين . وفي مكتبة رفاعة الطهطاوي وحدها

---

(١) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية ، الجزء الأول ، ص١٤٩ : ١٥٣ .

المخطوطات التالية : الأربعون (الودعانية)، الأربعون (النووية)، الأربعون (البكرية)، الأربعون (البلدانية)، الأربعون (في فضل الرباط والجهاد)، الأربعون (في فضل الصلاة على النبي «ﷺ») [1]. وعلاوة على ذلك فإن في مكتبة مسجد أبي العباس المرسي ، يوجد : الأربعون (ليحيى بن نصوح بن إسرائيل)، الأربعون (للبركوي)، الأربعون في فضائل رمضان (لسويدان الصغير)، الأربعون في فضل ليلة النصف من شعبان (لسويدان الصغير نفسه)، الأربعون (للعلمي)[2]. وفي مكتبة جامعة الإسكندرية ، غير ما سبق : الأربعون (للوهراني)، الأربعون (للمقدسي)[3].

وهناك ، بالطبع ، المزيد من **الأربعينات في** مكتبات أخرى ، وكثير منها يخلو من اسم جامعها ، مما يعسر معه توثيق عنوان المخطوطة .

مُشكِلات توثيق المؤلف

وفقًا لطريقتنا في الفهرسة يتم توثيق المؤلف ، بعد التثبت من صحة نسبة الكتاب إليه ، والرجوع إلى المصادر والمراجع التي ذكرته ، ثم إيراده بعد عنوان مخطوطته ؛ على النحو التالي :

اللقب المشهور به (الكنية ، الاسم الثلاثي ، النسبة) تاريخ الوفاة ، المصادر : **كشف الظنون – معجم المؤلفين – بروكلمان** .

بيد أن ماسبق ، لايجري دومًا مع المفهرس على نحو بسيط ، وبطريقة آلية سهلة . ذلك أنه في ما عدا المتون المشهورة لكبار المؤلفين – حيث لامشكلة في معرفة المؤلف وتوثيقه – هناك ما لاحصر له من صعوبات قد تعترض عملية توثيق

(١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الأول ، ص٩٠ : ٩٥ .
(٢) فهرس مخطوطات مسجد أبي العباس المرسي ، الجزء الأول ، ص٨٠ ، ٨١ .
(٣) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ، الجزء الأول ، ص٥٦ : ٦٠ .

المؤلف . بل إن عديداً من المخطوطات ، لمؤلفات غير مشهورة ، لاتذكر - أصلاً - اسم المؤلِّف ، وبالتالي ، يتعين على المفهرس ، حتى يوثِّق المؤلِّف المجهول ، أن يعرفه ! وهو أمر ليس بالهيِّن ، في كثير من الحالات .

وبالإضافة إلى هذه المشكلة (الأساسية) التي تقابل المفهرس بصدد بعض المؤلفين المجهولين ، وهم كُثر . . هناك مشكلات أخرى ، نذكر في ما يلي ما صادفناه منها :

يعرف المشتغلون بالتراث أن الحضارة العربية الإسلامية حظيت عبر تاريخها الطويل بعديد من الأسر العلمية التي اشتغل أفرادها بالعلم والتأليف ، جيلاً بعد جيل . ونظراً لوحدة اللقب بين أفراد الأسرة الواحدة ، قد يجد المفهرس تداخلاً بينهم ، يعسر معه ضبط وتوثيق الواحد منهم . والأكثر من ذلك ، أن تكون الأسرة صاحبة اللقب مشهورة ، لكن هذا المؤلف بالذات مغمور . . والمثال على ذلك ، ماوجدناه في المخطوطة رقم ٧٧/ نحو بمكتبة رفاعة الطهطاوي ، حيث دلت بيانات الناسخ على أنها « **الفوائد الجلية فى شرح منظومة الآجرومية** » **لمحمد بن عبد الله الطبري** ، وكما هو معروف ، فإن الطبري لقب لأسرة علمية شهيرة ، ضمت على مر القرون عديداً من العلماء المشاهير ، غير أن الطبرانيين ليس من بينهم من اسمه **محمد بن عبدالله** .. وكانت غاية توثيقنا له بعد تفتيش المصادر والمراجع ، هو ذكرُ لقبه واسمه ، والإشارة إلى أنه **من أهل القرن العاشر الهجري** ، اعتماداً على معلومَة وردت في المخطوطة ، تفيد أنه ألَّفها سنة ٩٧٦ هجرية (١) .

ويزداد الأمر إشكالاً ، إذا ما انضاف للتداخل في اللقب تداخل في موضوع المخطوطة . ومثاله « **وسيلة نزهة أولي الألباب** » في النسخة الخطية المحفوظ ببلدية الإسكندرية تحت رقم ٣٦٨٠ / حساب (٢) ، حيث ورد اسم المؤلف ولقبه في

---

(١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الثاني ، ص٧٤٣ .

(٢) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية ، الجزء الأول ، ص٤٠٧ .

المخطوطة : عبد الوهاب بن عبد القادر الأزهري بن الفرضي . . وهو في كشف الظنون : محمد بن عبد القادر الأزهري الفرضي . والمخطوطة « **الوسيلة** » هي شرح والده (عبدالقادر) على «**النزهة**» التي هي **نزهة أولي الألباب في علم الحساب** ، التي هي - بدورها - مختصر ابن الهائم ، لكتابه : **المرشدة** !

ومن هذا النوع أيضًا مخطوطة « **شرح اللامية (التحفة الوردية)** » **للبيجوري** المحفوظة بمكتبة رفاعة الطهطاوي تحت رقم ٩٠ / أدب ، فقد جاء اسم المؤلف ولقبه في المخطوطة : **إسماعيل البيجوري** . . والذين يحملون هذا اللقب ثلاثة ، ليس من بينهم ، من اسمه إسماعيل ، وهم : إبراهيم بن أحمد البيجوري ، المتوفى ٨٢٥ هجرية [1] . محمد بن إبراهيم بن أحمد البيجوري ، المتوفى ٨٦٣ هجرية [2] . أحمد بن محمد بن إبراهيم البيجوري ، من أهل القرن التاسع الهجري [3] ! ومن ثَمَّ لم نتمكن من توثيق المؤلف ، مع أننا وثقنا عنوان المخطوطة (بالرجوع إلى كشف الظنون ، وذيله : إيضاح المكنون) .

وقريب مما سبق ، ما يجده المفهرس من تطابق في أسماء وألقاب المؤلفين [4] . ومثاله ، مخطوطة « **نتيجة الميقات فيما لعرض اللام من الأوقات** » وهي منظومة في المواقيت ، توجد منها نسخة بمكتبة جامعة الإسكندرية - تحت رقم ٦٦٤ / جعفر ولي - جاء فيها أن المؤلف هو **أحمد المرزوقي المالكي** ، وأن تاريخ نسخها كان سنة ١٠١٠ هجرية [5] . وعند توثيق المؤلف ، ظهر إشكال تلخص في الآتي : لم يرد ذكر

---

(١) انظر : معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ١/ ٧ .
(٢) المرجع السابق ، ٨/ ١٩٢ .
(٣) المرجع السابق ، ٢/ ٥٩ .
(٤) وبالعكس ، قد يجد المفهرس للمؤلف الواحد أكثر من لقب ، فيحتار بينها . . ومن ذلك : الشيخ الأكبر / ابن عربي . . نجم الدين داية / الحافظ ابن شاور . . السنجاري / ابن الأكفاني . . الدمياطي / الديروطي . . وغير ذلك .
(٥) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ، ٢/ ٣٨٠ .

المنظومة في «**كشف الظنون**» ولا في «**إيضاح المكنون**» وورد في «**معجم المولفين**» اثنان باسم ولقب **أحمد المرزوقي** : الأول : أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني ، المتوفى ٤٢١هجرية[١]. والآخر : أحمد بن محمد بن رمضان المرزوقي المالكي ، كان حيًا سنة ١٢٨١ هجرية[٢] . وقد بدا لنا أنه الأخير، بيد أن تاريخ نسخ المخطوطة سابقٌ بكثير على التاريخ الذي كان الرجل حيًا فيه، وفقاً لما أورده **عمر كحالة** الذي اعتمد بدوره على البغدادي[٣] . وهكذا لم يبق إلا القول بأن هذا **المؤلف** لم تذكره المراجع ، أو وقع خطأ في تاريخ حياته ! وفي الحالتين ، لا يمكن توثيقه باطمئنان .

وكثيراً ما تخطئ المصادر والمراجع وهي تترجم للمؤلفين ، مما يسبب للمفهرس بعض المشكلات عند التوثيق . . فعلى سبيل المثال ، تذكر مصادر التوثيق أن مؤلف **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل** هو عبد الكريم الجيلاني ، المتوفى ٨٣٢ هجرية (أو ٨٢٠ هجرية)، غير أننا نعرف أنه **عبد الكريم الجيلي ، المتوفى ٨٢٦ هجرية** . وقد حقّقنا سنة وفاته في أعمال مبكرة لنا ، صوّبنا فيها اضطراب المترجمين له في سنة الرفاة ، وفي صحة اللقب (الجيلي ، لا الجيلاني) . . إذ الجيلاني - مثل الشيخ عبد القادر - هو المنتسب إلى جيلان، أما إذا انتسب الرجل إلى جماعة أو شخصية جيلانية ، وكان مولده في بلد آخر غير جيلان فإنه يلقّب بالجيلي . والعجم يقولون لكليهما : كيلاني[٤] !

بيد أن الأمر قد يكون أشد التباساً مما سبق ، وأقل قابلية للتحقيق والتثبُّت ، ومن ثَمَّ التوثيق . ومما صادفنا من ذلك ، مخطوطة رفاعة الطهطاوي المحفوظة تحت

(١) كحالة : معجم المؤلفين (دار إحياء التراث العربي - بيروت) ٦/ ٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ٦/ ١٠٢ .

(٣) البغدادي : هدية العارفين إلى أسماء المصنفين (دار الفكر) ١/ ١٨٨ .

(٤) راجع كتابينا : عبد الكريم الجيلي ، فيلسوف الصوفية (دار الجيل - بيروت ، الطبعة الثانية)، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي (دار الأمين - القاهرة ١٩٩٧) .

رقم ٤٢/ تاريخ ، التي عنوانها « **مختصر وفيات الأعيان لابن خلكان** » ولم يُذكر بأولها صاحب المختصر . ورجَّحنا - استناداً لبعض الإشارات بآخرها - أن يكون صاحب المختصر هو ناسخ المخطوطة **عبد الرحمن جوهر بن عبد الحي** الذي كتبها سنة ٦٦٦ هجرية [١] . وبالرجوع إلى كشف الظنون ، وجدنا حاجي خليفة يشير إلى عدة **مختصرات** لوفيات الأعيان ، ويشير **أيضاً** إلى أن ابن خلّكان انتهى من الكتاب سنة ٦٧٢ هجرية[٢] (بعد نسخ المختصر بست سنوات) . . وهكذا ، صارت أمامنا مشكلة تخرج عن أفق التوثيق ، وتحتاج إلى بحث مفرد في عالم **وفيات الأعيان** .

ومن ذلك أيضاً مخطوطة رفاعة المحفوظة تحت رقم ٨/ صرف ، وهي رسالة في المنطق كتبها علي الصغير (المتوفى ٧١٩ هجرية)، بعنوان « **رسالة في بيان القضايا الموجهات**»[٣] وقد أشار إليه - بوضوح - صاحب معجم المؤلفين ، ويوجد مؤلّف آخر معروف بالاسم واللقب نفسيهما ، ولكن في المخطوطة إشارة نصُّها : **وبقية أحكامها ، من التناقض والعكس ، مذكورة في المطولات ، وقد أفردها شيخنا الإمام أحمد الملوي.. إلخ** . والإشكال هنا ، أن أحمد الملوي توفى سنة ١١٨١ هجرية ! فهل يشير **علي الصغير** إلى **ملوي** آخرغير المشهور ، أم أن مؤلف الرسالة **تلميذ** لأحمد الملوي . وهو بالتالي غير **علي الصغير** المشهور ؟

ويزداد الأمر إشكالاً ومجلبةً لحيرة المفهرس ، إذا دلّس الناسخ . والنُّساخ كثيراً ما يدلسون :

في **إجازة** البديري الدمياطي (شمس الدين محمد بن محمد الشافعي ، المتوفى ١١٤٠ هجرية)، المحفوظة مخطوطتها بمكتبة رفاعة الطهطاوي تحت رقم ١٨/

(١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الثالث ، ص ٨٧٨ .

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (دار الفكر) ، الجزء الثاني ، ص ٢٠١٧ .

(٣) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الثاني ، ص ٤٤١ .

حـديث[١] ، ذكر الناسـخ أن الإجـازة بخط البديري الدميـاطي نفسـه ، كتبها سنة ١٢٢٤ هجرية ! وكنا قبلها قد فهرسنا مخطوطة للبديري الدمياطي ، محفوظة بجامعة الإسكندرية تحت رقم ٥١/ عزيز سوريال ، عنوانها **«إتحاف الرفاق»** وكانت بخط المؤلِّف كتبـهـا سنة ١١٣٩ هـجرية ! ، وهو مـا يستـقـيم مع تاريخ وفـاته ، ويكشف تدليس ناسخ المخطوطة المحفوظة بمكتبة رفاعة الطهطاوي. وليت الأمر وقف عند هذا الحد، إذ لا تزال هناك إشكالات أخرى، فالبديري الدمياطي ، في معجم المؤلفين ، هو : الشهير بابن الميت ، المتوفى ١١٣١ هجرية[٢] . . وهو في هدية العـارفين : المتـوفى سنة ١١٤١ هجـرية[٣] . ولم يوضِّح صاحب معـجم المؤلفين، من أين أتى بهذه الشـهرة ! ولم يوضح البغـدادي ، من أين استـدل على تاريخ الوفـاة . . ويبـقى على المفـهـرس - لكي يوثق - أن يحل هذه الإشكالات جميعـاً.

وفي بعض الحـالات يستـحيل توثيق المؤلف ؛ وذلك حين تسكت عن ذكـره المراجع، ولا يبقى إلا البحث عن أية معلومة قد تتيسَّر من المخطوطة . ولدينا مؤلِّف مثل **محمد بن يوسف الأنطاكي** له في مكتبة رفاعة الطهطاوي أربع وعشرون رسالة بديعـة العناوين ، مثل : **النفـحات في معرفة الثقات** ، **نظم المسـايرة في مسـايرة المطابقة والمغايرة** ، **نبذ الفوائد في خرق العوائد** ، **مختصر اللبـــاب لأولي الألبـــاب في القـــدر والأنساب** ، **كنى التصفيق ونعم الرفيق** .. **إلخ** . ومع ذلك ، لم يُشـر إليه في أي مصدر توثيقي ، ولم يمر ذكره في أي مرجع ! وغاية ما استطعناه في توثيقه ، أن ذكرنا أنه : **من أهل القرن العاشـر الهجـري** ، لأن هـذه الرسـائل ، كتبها مؤلفـها - بخطه - سنة ٩٦١ هجرية .

---

(١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوي ، الجزء الأول ، ص ٧١ .

(٢) كحالة : معجم المؤلفين ١١/ ٢٦٤ .

(٣) البغدادي : هدية العارفين ٢/ ٣١٩ .

وقد يكون الكتاب مشهورٌ عنوانه ، ومع ذلك يستحيل توثيق مؤلِّفه ، بل لا يمكن معرفة هذا المؤلف أصلاً ! وغالبية المؤلفات التي في العلوم الخفية من هذا النوع ، فهي مشهورة بعناوينها ، مجهولة المؤلف . غير أن علوماً أخرى ، غير خفية قد تشهد حالات مماثلة ؛ فمن ذلك ، الكتاب الشهير في علم الصرف : « المطلوب فى شرح المقصود » . . فالكتابان ، « المقصود » و « المطلوب » لمؤلف مجهول . يقول حاجي خليفة : المقصود في التصريف ، اختُلف في مؤلفه ، فقيل للإمام الأعظم (يقصد أبا حنيفة) وقيل لغيره ، وجزم المولى محمد بن بير علي ، المعروف ببيركلي ، في شرحه المسمى بـ «إمعان الأنظار» ، بالأول . وشرحه بعض العلماء وسماه «المطلوب» . وقد فهرسنا عدة نسخ خطية من الكتاب ، في عدة مكتبات ؛ ولم نجد في واحدة منها إشارة واضحة إلى المؤلف أو الشارح.

ومما سبق، أيضاً، عدة نسخ خطية من شرح إيساغوجي لأثير الدين الأبهري ، وهو شرح مشهور لهذه الرسالة المنطقية ، يبدأ بقول الشارح : الحمد لله الواجب وجوده . . افتتح كتابه بالحمد بعد الابتداء بالتسمية ، لأن أداء الواجب من شكر نعمته واجب . . إلخ . وقد فهرسنا من هذا الشرح نسخةً بجامعة الإسكندرية (تحت رقم ٣٢٦/ جعفر ولي)، ونسختين بمكتبة رفاعة الطهطاوي (تحت رقمي ٦ ، ١٩/ منطق) واجتهدنا في معرفة هذا الشارح – التي خلت النسخ الثلاث من اسمه– فلم نتمكن من ذلك . وبقي الشارح مجهولاً ، غير موثق ، إلى حين الوقوع على معلومات عنه – يوماً ما – في إحدى النسخ الخطية من هذا الشرح .

* * *

وإضافة إلى ما سبق ، كله ، قد تصادف المفهرس حالات مشكلة ، تحيِّره في توثيق العنوان والمؤلف معاً . ولنختم هذا البحث بحالتين من هذا الباب :

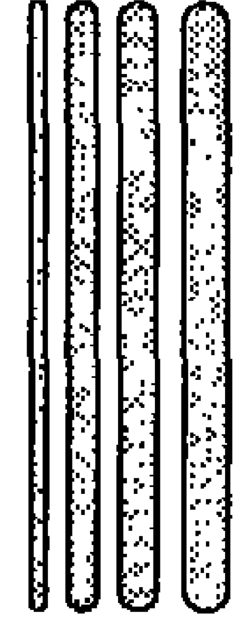
في مكتبة رفاعة الطهطاوي ، تحت رقم ٨/ أدب ، مخطوطة الظرائف واللطائف فى المحاسن والأضداد ، للمقدسى (أبي نصر أحمد بن عبد الرازق)

وبعد طول بحث من أجل توثيق العنوان والمؤلف ، كتبنا في هامش الفهرس ما يلي : المحاسن والأضداد عنوان كتاب معروف للجاحظ (راجع : كشف الظنون ص ١٦٠٩) ، لكن بداية المخطوطة تشير إلى أنها مختصر كتابين للثعلبي ، هما : الظرائف واللطائف ، اليواقيت في بعض المواقيت . والكتاب الأول غير معروف ، أما الكتاب الآخر ففيه تصحيفٌ وتحريف ؛ وصوابه «اليواقيت في اللغة» لصاحب ثعلب (أبي عمر محمد ابن عبد الواحد ، صاحب اللغوي الشهير ثعلب : صاحب المجالس) أما اليواقيت في علم المواقيت فهو عنوان عدة كتب ، لعدة مؤلفين . ولم نجد من بين الملقَّبين بالمقدسي ، مَنْ تكون كنيته (أبو نصر) واسمه (أحمد ابن عبد الرازق) ، فانظرْ في ذلك كله .

وفي المكتبة ذاتها ، تحت رقم ٧٥/ تاريخ ، مخطوطةٌ مجهولة المؤلف ، عنوانها «برهان الكمال وكمال البرهان في ترجمة خلفاء الزمان» وبعد طول معاناة في توثيق عنوانها ومؤلفها، كتبنا في الهامش :

في عنوان المخطوطة ومؤلفها إشكالٌ . أما العنوان ، فلم نقع عليه في المصادر. وأما المؤلف ، فلم يرد في المخطوطة . وفي السجل القديم للمكتبة ، ذُكِرَ أن مؤلفها (يوحنا مكاريوس) ، وهو اسم لم نقع إلا على شبيه له في معجم المؤلفين (١٣/ ٢٤٢) هو : يوحنا أبكاريوس ، مؤرِّخ أديب ، توفي سنة ١٣٠٦ هجرية ، لكن تاريخ نسخ المخطوطة سنة ٨٢٥ هجرية !

* * *



أول المخطوطة وآخرها..

أ. عصام محمد الشنطي

(١)

تمهيد :

تعارف أهل فهرسة المخطوطات العربية على أن الفهرسة تتخذ ثلاثة سُبل ، لا تخرج عنها ؛ أولها سبيل الدرجة الأولى أو فهرسة القوائم أو الأدلة ، وسبيل الدرجة الثانية أو الفهرسة الوصفية الوسط ، وسبيل الدرجة الثالثة أو الفهرسة التحليلية .

وتتألف هذه الدرجات الثلاث من عناصر مختلفة ، منها عناصر أساسية مشتركة بين جميع الدرجات ، على اختلاف أنواعها ، وهي الحد الأدنى الذي ينبغي الحرص على استيفائها .

ولا يختلف اثنان من أهل التخصص ، على أن هذه العناصر الأساسية تنحصر في : عنوان المخطوطة ، واسم المؤلف ، ونوع الخط ، وتاريخ النسخ ، واسم الناسخ ، وعدد الأوراق ، وعدد السطور ، وطول المخطوطة وعرضها ، مع تحديد المجلد إذا كانت جزءًا من كتاب ، والمكتبة التي تحتفظ بها ، ورقمها فيها . وإذا خلت المخطوطة من سنة النسخ ، يحرص على ذكر ما بها من سماعات ، أو إجازات ، أو تمليكات مؤرخة ، لترشد إلى أقرب تاريخ لنساختها .

هذه هي أهم العناصر الأساسية التي ينبغي توافرها في جميع أنواع الفهرسة المختلفة ، والتي ينبغي أن تحتويها فهرسة القوائم ، على أقل تقدير . والأمثلة كثيرة من الفهارس المطبوعة التي ينهج كل منها نهجًا خاصًا من هذه الأنواع الثلاثة التي بيَّناها .

ولعل ما يميز الفهرسة الوصفية الوسط ، عن فهرسة القوائم ، الاهتمام - بشيء من البسط المقنن - بالملاحظات المميزة للنسخة ، لا تترك ملاحظة مفيدة إلا تذكرها . على أن أهم ما يميز بين المنهجين الاهتمام بذكر أول المخطوطة وآخرها في سطور منتقاة ، دون عشوائية ودون تطويل أو اختصار . فلفاتحة المخطوطة وخاتمتها منهجية معيَّنة ، ولذكرها مقاصد عدّة ، وفوائد جمَّة ، يدركها الباحث المتخصص ، والعالم المعني بالمخطوطات مما سنأتي على ذكره في حينه .

(٢)

طليعة مبكرة :

يعود الاهتمام بذكر أول المخطوطة - وفي النادر آخرها - كعنصر من عناصر فهرسة المخطوطات ، إلى مطالع القرن الحادي عشر الهجري ، في كتاب عظيم في هذا المجال ، وهو كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ، للعالم التركي مصطفى بن عبدالله ، الشهير بـ حاجي خليفة ، أو كاتب جلبي ، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ، وقد عده د. صلاح الدين المنجد ، لتصنيفه هذا الكتاب ، واضع علم فهرسة المخطوطات الأول في العالم الإسلامي [١] .

لقد عمل حاجي خليفة في كتابه هذا مدة عشرين عامًا ، فجاء في مجلدين كبيرين[٢] ، ذكر فيه ما يقرب من عشرين ألف عنوان كتاب ورسالة ، ونحو عشرة آلاف من أسماء المؤلفين .

اهتم المؤلف ، على الأغلب ، بذكر فاتحة الكتاب ، وفي أحيان قليلة جدًا ، بذكر خاتمته . ولم يكن له في الفاتحة منهج محدد ، فحينًا كان يكتفي بذكر الجملة

(١) قواعد فهرسة المخطوطات العربية ، ص٤٠ .
(٢) نشير إلى الطبعة التركية في إسلامبول ، سنة ١٣٦٠ - ١٣٦٢هـ ، والتي صدرت مصوَّرة بالأوفست ، مكتبة المثنى - بغداد ، بيروت .

الأولى من الكتاب ، وحينًا يهتم - بجانب ذلك - ببيان سبب تأليفه ، يقتطفه من مقدمته ، أو إهدائه المؤلف إلى ملك أو سلطان ، أو يذكر المناسبة التاريخية لتأليفه ، ومن ثم يبين أبوابه وفصوله .

وكان ذكره لأول الكتاب متفاوتًا تفاوتًا كبيراً ، لا توازن بينهما . نراه عند ذكر كتاب «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ»[1] ، وهو كتاب في اللغة ، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي ، المتوفى نحو ٤٧٠هـ ، يقول : أوله «الحمد لله رب العالمين» . ثم يعقب على هذه الفاتحة غير المميزة ، والشائعة في كثير من الفواتح ، بجملة مُقتطفة من المقدمة ، وهي : «وهو مختصر فيما يحتاج إليه من غريب الكلام» ، ويضيف إليها عنوان الفصل الأول منه ، بقوله : «بدأ من صفات الرجال المحمودة» .

في حين إنه عند ذكره « القاموس المحيط والقابوس الوسيط »[2] ، لمجد الدين الفيروز أبادي ، المتوفى ٨١٧هـ ، لخص خطبة الكتاب تلخيصًا مطوّلاً ، أخذت من صفحات هذه الطبعة أربعًا .

وبإزاء اهتمامه بأول المخطوطة ، وما فيها من فوائد جمة للمفهرسين ، تُرى إذا كانت المخطوطة المراد فهرستها منزوعة الورقة الأولى ، التي تتضمن عنوانها ومؤلفها ؛ نراه لا يهتم بذكر الخاتمة . وتقلب في صفحات كتابه طويلاً حتى تعثر على طَلبتك ماثلة بين يديك . وواضح أنه كان يهتم - عوضًا عنها - بذكر موضوع المخطوطة ، أو عدد أبوابها وفصولها ، أو متى فرغ من تأليفها . وهذه كلها ذات فوائد كثيرة .

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٥٠٠ .

(٢)كشف الظنون ٢/ ١٣٠٦ .

(٣)

ريادة معاصرة :

إن استيفاء الفهارس المعاصرة المطبوعة ، يوصلنا إلى أن د. يوسف العش [١] ، هو أول من حاول وضع خطة لفهرسة المخطوطات من المعاصرين ، على منهج الطريقة الوسط ، سنة ١٩٤٧م ، حين ذكر ذلك في مقدمته لفهرس التاريخ وملحقاته ، الذي وضعه لمخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق .

ولعل من أهم معالم خطته اهتمامه بوصف موضوع المخطوطة ، وبيان فصولها ، ومكانها منها . وكان يقتطف من خطبة المخطوطة ما يشير إلى موضوعها ، أو يفسِّر أمرها ، ومن خاتمتها ما يفصح عن نهايتها [٢] . وكان حين يقتطف لا يسجل إلا طلبته ، مستعينًا بما يحذف من النص ، بوضع ثلاث نقط عند كل حذف .

فعند توصيفه لمخطوطة «نور العيون في تلخيص سيرة الأمين والمأمون» ، لابن سيد الناس اليعمري ، المتوفى ٧٣٤هـ ، قال في بدايته : « لمَّا وضعت كتابي المسمى عيون الأثر . . رأيت أن ألخص في هذه الأوراق ما قرب مأخذه ونقله ، وسهل تناوله وحمله ، لتكون للمبتدئ تبصرة ، وللمنتهي تذكرة . . . » ولم يذكر آخره [٣] .

وعند مخطوطة «بهجة السامعين» لنجم الدين الغيطي ، المتوفى ٩٨١هـ ، يقول : أولها : « . . . وبعد ، فإن شهر ربيع الأول المشرف ، قد أينعت فيه ثمر السعادة ، وصار روضة بذلك أعظم روض معرف به ، واختص بمنقبة عظيمة فاق لها على سائر الشهور» .

---

(١) مدير دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وأول مدير لمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التاريخ وملحقاته ، صفحة ج من المقدمة .

(٣) ص ١٨ من الفهرس .

وفي آخرها يسجل اقتطافًا مشعرًا بنهايتها ، وفيه ذكر سنة التأليف ، المفيدة للدارسين ، يقول : « قال مؤلفه : ووافق الفراغ من تبييض هذه النسخة من هذا المؤلف المنيف ، في يوم السبت المبارك رابع عشر صفر الخير من شهور سنة ثمانين وتسع مئة » (١).

إلا أننا نلحظ عليه تطويلاً في الاقتطاف ، وتفصيلاً في بيان أسماء المترجم لهم في بعض المخطوطات . فعند توصيفه لمخطوطة «نفحة الريحانة» ، للمحبِّي ، المتوفى ١١١١هـ ، يحرص على أن يبين سبب التأليف ، وعدد أبواب المخطوطة ، ويفصِّل في فصولها ، ويُثبت أسماء المترجم لهم فيها ، وموقع ترجمة منها (٢).

ويفعل الفعل نفسه في مخطوطة تاريخ دمشق ، لابن عساكر الدمشقي ، المتوفى ٥٧١هـ ، فيفصل في ذكر أسماء التراجم ومواقعها من النسخ المخطوطة (٣).

والراجح أنه كان يقصد بهذا التفصيل انتفاع العلماء والباحثين من هذه النسخ ، في سهولة ويُسر ، خاصة في هذا الوقت المبكر من بعث التراث العربي ، ولم تكن هذه المخطوطات مطبوعة ، أو لم تكن - على الأقل - شائعة بين المعنيين بالتراث .

وهكذا نرى د. العش يختصر في الاقتطاف حينًا ، فيقترب من فهرسة القوائم ، وحينًا يطيل فيدنو من الفهرسة التحليلية ، ولكنه في كل الأحوال ، يظل في ساحة فهرسة الدرجة الثانية .

والمبادرة الثانية الجادة ، جاءت من دار الكتب المصرية ، التي غيَّرت من أسلوب فهرستها ، وفصلت مخطوطاتها عن المطبوعات ، وعزمت على أن تصدر فهارس للمخطوطات خاصة ، يُراعى في إخراجها أن تكون على منهج علمي مفصل ، يقدم للباحث صورة كاملة عن المخطوطة وأوصافها الفنية والمادية .

(١) ص ٢٩ ، ٣٠ من الفهرس .
(٢) ص ٣٠١ من الفهرس .
(٣) ص ١٠٩ - ١٣٠ من الفهرس .

واتبعت في ذلك قواعد رسمتها الدار ، منها ذكر أول المخطوطة ، وذكر عبارة توضح مقاصدها وأغراضها ، وتحديد أبوابها وفصولها ، ويستحسن أن تكون مقتبسة من ديباجة المؤلف وتقدمته . وكذلك ذكر عبارة الختام .

واتضح هذا المنهج ، أول ما اتضح ، في فهارس الدار المطبوعة في المجلد الأول ، وهو خاص بـ «مصطلح الحديث» الذي صدر عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م . وتأملت المقدمة أن تكون هذه الباكورة بداية طيبة لمواصلة إخراج فهارس لبقية الفنون والموضوعات على هذا المنهج [1] .

ونجتزئ هنا القول بمثلين اثنين ، الأول في توصيف مخطوطة «الغنية» ، للقاضي عياض ، المتوفى ٥٤٤هـ ، يقول الفهرس في أولها : « الحمد لله الذي شرح أفئدتنا لمعرفته . . . وبعد ، أيها الراغبون في تعيين رواياتي ، وإجازة مسموعاتي ومجموعاتي ؛ فقد تعين بحكم الحاكم عليّ ، ومدّكم أيدي الرغبات إليّ ، أن أنص لكم من ذلك على عيون ، وأخص أوراقي هذه بما لعله يعنى بالمضمون ، وأحيل على فهارس الأشياخ على العموم ، في سائر أنواع العلوم ، وأسمي أشياخي الذين أخذت منهم : قراءة وسماعًا ومناولة وإجازة ، وممن كتب إليّ ، ممن لم ألقه . . . » .

وفي آخرها ، يقول : . . . «والله تعالى ينفعنا بما علمناه ، ويجعل سعينا في ذلك لما يرضاه ، ويعصمنا بتوفيقه ويشعرنا تقواه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » [2] .

أما المثل الثاني الذي نضربه فهو توصيف مخطوطة «اليواقيت والدرر بشرح نخبة ابن حَجَر» ، لعبد الرؤوف المناوي ، المتوفى ١٠٣١هـ . والمقتطف من أولها وآخرها يشبه إلى حد كبير ما صنعه المفهرس في توصيف مخطوطة « الغنية » في الكم والنـــوع [3] .

(١) صفحة د .

(٢) ص ٢٦٥ .

(٣) ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

ونستخلص من هذا الاقتطاف ، في المثلين السابقين ، وغيرهما ، اهتمام المفهرس بفاتحة المخطوطة المميزة ، ثم القفز منها إلى قوله : «وبعد» أو نحوها ، والحرص عند اقتطافه على ذكر اسم المؤلف ، وموضوع المخطوطة ، وأسباب التأليف ، وشيء من خطة المؤلف .

أما آخرها ، فهو - وإن يُشعر بخاتمتها ، وتمامها دون نقص - إلا أنه توجه إلى دُعاء الختام . والأفضل ، عندي ، لو أتى بجملة أو جملتين ، قبل ذلك ، من مادة المخطوطة ؛ خاصة أن مثل هذا الدعاء لا يكون دائمًا من كلام المؤلف ، بل يكون أحيانًا من كلام الناسخ وإضافاته .

واستكمالاً لاستعراض هذا الفهرس ، نراه حينًا يُهمل ذكر آخر المخطوطة ، وأحيانًا قليلة يطيل الاقتطاف دون داع ، مع وضوح عنوان المخطوطة واسم مؤلفها، إلا أن التطويل هنا أقل بكثير من تطويل د. العش ، وأكثر انضباطًا ونسقًا من فهرسه . وهذا من طبيعة الأمور ، لأن اللاحق يستفيد من سابقه .

والمحاولة الثالثة ، جاءت من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، كان ذلك عام ١٩٥٦م - وهو العام الذي صدر فيه فهرس دار الكتب المصرية الذي عددناه مبادرة منها ثانية - فقد أصدر المعهد لأول مرّة فهرسًا في التاريخ (القسم الأول) وفق منهج الفهرسة الوصفية الوسط ، وخرج به من أسلوب فهرسة القوائم [١] . وكان واضع هذا الفهرس لطفي عبد البديع ، الذي أدخل فيه الاهتمام برصد أول المخطوطة وآخرها .

وكان التركيز منه على أول المخطوطة ، أما آخرها فكان كثيراً مالايهتم به . يقول في مقدمة الفهرس التي يبين فيها منهجه [٢] : الإلمام بأول الكتاب ، وبيان

(١) تجربة المعهد في إصدار فهارس المخطوطات ، بحث لي ضمن أعمال ندوة « التجارب العربية في فهرسة المخطوطات » التي صدرت عن المعهد ، ١٩٩٧ .
(٢) صفحة ج ، د .

موضوعه وأبوابه وترتيبه» . وواضح أنه لم يذكر الاهتمام بآخر المخطوطة ، وكأنه استعاض عن ذلك بالاهتمام بذكر الموضوع والأبواب والترتيب ، على نحو ما ذكرنا من صنيع حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون .

وكان اقتطافه من أول المخطوطة متواضعًا ، لايهتم إلا بالجملة الأولى منها . يقول في مخطوطة «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» ، لابن أبي الوفاء القرشي التميمي ، المتوفى ٧٧٥هـ ، أولها : «الحمد والعظمة والكبرياء لمن له الأسماء الحسنى» . وآخرها : «هذا آخر كتاب الجواهر ، قد تم بحمدالله وعونه وحسن توفيقه» [(١)] .

والحق أن الفهرس ، وإن أهمل كثيراً الاهتمام بآخر المخطوطة ، إلا أنه إذا رصده ، لايترك فائدة من فوائده إلا يضيفها ، كسنة الفراغ من تأليف الكتاب . يقول في مخطوطة «الأوائل» لأبي هلال العسكري ، المتوفى ٣٩٥هـ ، أولها : «الحمد لله الذي رفع رتبة أهل الأدب وذويه ، وأعلى منزلة أهل العلم وحاميه» ، وآخرها : «هذا آخر ماخرج لنا من الأوائل ، وإن خرج شيء آخر ألحقناه به ، وبالله التوفيق ؛ وقد فرغ من تأليفه سنة تسع وثمانين وثلاث مئة» [(٢)] .

(٤)

عناصر البداية :

قلنا في ما سبق : إن الاقتطاف من أول المخطوطة له أهداف وأغراض ، بمعنى أنه لا ينبغي أن نقتطف أول السطور بعشوائية ، دون منهج أو سبيل يوصلنا إلى تلك الأهداف والأغراض ، ويمكن تحليل ما ينبغي أن يُقتطف إلى عناصر مستوحاة من

---

(١) فهرس المخطوطات المصورة ، التاريخ ، القسم الأول ، ص١١١ .

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ، التاريخ ، القسم الأول ، ص٢ .

فوائد هـذا الاقتطاف ، وتحقيق تلك الأهداف ، تكون منهجًا للمفهرس ، حتى لا يضلّ السبيل . والعناصر هي :

- نقتطف اسم المؤلف لتوثيق نسبة النص إلى صاحبه ، مع حذف الألقاب التي تسبق الاسم ، مثل قولهم : علامة دهره ، مع اختصار الاسم إذا كان موافقًا لما في صفحة العنوان ، ومصادر التوثيق الأخرى ، التي يرجع إليها المفهرس . أما إذا كان هناك خلاف فلابد من نقل الاسم كاملاً .

مثاله : مخطوطة : الطارقية - في إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز ، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه ، المتوفى ٣٧٠هـ ، يكتفي المفهرس عند أولها بكتابة : قال أبو عبدالله . . . ، ولايذكر اسمه كاملاً طالما هو واضح في صفحة العنوان ، ولاخلاف بينهما في الموضعين [١] .

- يهتم المفهرس برصد أول جملة في المخطوطة ، شريطة أن تكون هذه الفاتحة مميزة ، ولايسجل البسملة ، ولا الحمدلة غير المميزة ، كقولهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين . لأن مثل هذه العبارات تتكرر في كثير من المخطوطات ، ولا تحمل تميزًا ، أو تفردًا يسجله المفهرس .

ومن البدايات المميزة مثلاً ما جاء في مخطوطة «يواقيت المواقيت ، في مدح كلّ شيء وذمه » ، لأبي منصور الثعالبي ، المتوفى ٤٢٩هـ ، قوله : « الحمد لله ما أمكن الحمد ، وإلى أن ينقطع العد» . فمثل هذه البداية لابد للمفهرس أن يقتطفها[٢] .

(١) المخطوطة محفوظة في رواق الأتراك بالأزهر ، رقم ٣٣٦ . انظر فهرس المخطوطات المصورة - النحو ، القسم الثاني ، ص٢٢١ .

(٢) المخطوطة محفوظة في مكتبة شستر بتي ، دبلن ، رقم ٣٥٤٩ . انظر فهرس المخطوطات المصورة - الأدب ، الجزء الأول (الكويت) ، ص٣٤٧ .

- على أن هناك أهم من فاتحة الكتاب المميزة ، وأكبر فائدة منها ، حين يكون للكتاب أكثر من رواية . فلا بد حينئذ من توجه الاقتطاف إلى ما يبين رواية المخطوطة التي بين يدي المفهرس . ومن أشهر الأمثلة في هذا الكتاب المُوَطَّأ لمالك ابن أنس ، المتوفى ١٧٩هـ ، الذي كثرت فيه الروايات ، وبها اختلفت الموطّآت ، فصار كل موطأ يُنسب إلى راويه ، فيقال : موطأ يحيى الليثي ، وموطأ ابن القاسم ، وموطأ محمد بن الحسن ، وموطأ أبي مُصعب ، وموطأ القَعْنَبِي .

ومثاله موطأ مالك برواية أبي مصعب الزهري المدني ، المتوفى ٢٤٢هـ ، أوله : « باب وقوت الصلاة : حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري ، حدثنا مالك ابن أنس . . . عن ابن شهاب ، أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يومًا »[(١)].

- يقفز المفهرس بعد البداية إلى أن يصل إلى قول المؤلف : وبعد ، أو أما بعد ؛ فيحرص أن ينقل ما يليها . يتضح هذا في مخطوطة « زاد المسافر ولهفة المقيم» لفتح الله بن علوان الكعبي الدورقي ، المتوفى ١١٣٠هـ ، يقول : «أما بعد ، فإني كنت في ريق شبابي وعنفوان التصابي ، أميل إلى مُلح الأدب ونوادره»[(٢)].

- يتابع المفهرس النص إلى أن يجد دواعي التأليف وأسبابه ، فيقتطف منها ما يوضِّح ذلك بإيجاز ، من مثل ما هو موجود في مخطوطة «الفرج بعد الشدة» ، للقاضي أبي علي المحسن التنوخي ، المتوفى ٣٨٤هـ . يقول : «وكنت وقفت في بعض محني على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، سماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة . . ووقع لي كتاب لأبي بكر عبد الله

(١) المخطوطة الفريدة لهذه الرواية محفوظة في متحف سالار جنك - حيدر أباد الدكن (الهند) ، رقم٨٤ . انظر الموطأ برواية أبي مصعب ، الجزء الأول ، ص٣٤ ، ٤٣ من المقدمة ، وص٣ من النص .

(٢) المخطوطة محفوظة في ندوة العلماء ، لكنهو (الهند) ، رقم ٣٤٦ . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، القسم الرابع ، ص ٦٤ .

ابن محمد بن أبي الدنيا ، قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة ، في نحو عشرين ورقة . . . فكان هذا من نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم »(١) .

- أحيانًا يكون المصنف مُهدى إلى ملك أو ذي سلطان ، فيقتطف المفهرس ما يشير إلى ذلك ، على نحو ما جاء في مخطوطة «نضرة الإغريض في نصرة القريض» ، للمظفر بن الفضل بن يحيى العلوي ، المتوفى ٦٥٦هـ ، أنه ألفه للوزير محمد بن العلقمي ، فيقتطف باقتضاب شديد ما يشير إلى ذلك ، كقوله : «فإنني كنت بعض الأيام بمجلس مولانا . . . أمير المؤمنين أبي طالب محمد بن أحمد . . . قد جرى حديث الشعر وصفاته . . أن أثبت له في ذلك أوراقًا ، وأستمطر من سحب خواطر المتقدمين أوراقًا . . . فبادرت إلى اتباع مُراده»(٢) .

- يتقدم المفهرس قليلاً ليصل إلى موضع توثيق عنوان المخطوطة ، الذي يذكره المؤلِّف في كتابه بقوله : وسميته ، أو أسميته ، أو وسمته ، أو ترجمته بكذا(٣) . وليس من الضروري أن يكتب المفهرس الاسم كاملاً إذا كان موافقًا لما في صفحة العنوان . أما إذا كان مخالفًا له فيكتبه كاملاً ويعلق على الخلاف في الحاشية ، بعد الرجوع إلى مصادر التوثيق .

والأمثلة كثيرة في هذا الباب ، نكتفي منها بما جاء في مخطوطة « تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين » لمجد الدين الفيروز أبادي ، المتوفى ٨١٧هـ ،

(١) المخطوطة محفوظة في المكتبة الأكاديمية - ليدن ، رقم ٥٧٠٦١ . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، القسم الخامس ، ص٨٢.

(٢) المخطوطة محفوظة في الخزانة العامة - الرباط ، رقم ١٠٠٣د . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، القسم السادس ، ص١٥٥ .

(٣) ويظهر اسم الكتاب أحيانًا في آخره ، وهو في الغالب من كلام الناسخ ، كقوله : تمَّ كتاب كذا ، أو نجز كتاب كذا .

يقـول في أولها : فاقتضى ذلك جمعي لهذه الألفـاظ . . . وأسـميته تحبير الموشـين [1] . . .

- ومن هذه العناصر أيضًا ذكر المؤلف أبواب المصنف وفصوله ، وكيفية ترتيب مادته (على حروف المعجم مثلاً) ، يقتضبها المفهرس سريعًا دون تفصيل حتى لايخرج من دائرة المفهرس إلى دائرة الدارس للمخطوطة والباحث فيها .

ومن الأمثلة مخطوطة « ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد » ، لشمس الدين السخاوي ، المتوفى ٩٠٢هـ. يقول في أولها : « رتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة » [2] .

هذه هي أهم عناصر الاقتطاف من أول المخطوطة . وهكذا أستطيع أن أقول إن الخروج عن هذه المحاور ، والاقتطاف من غيرها ، يعد حشدًا وتزيدًا لا طائل تحته .

(٥)

عناصر النهاية :

- أول هذه العناصر تسجيل آخر المادة الموجودة بالمخطوطة بمقدار جملة ، أو أكثر قليلاً . ومثاله في مخطوطة المنجد لكراع النمل ، المتوفى ٣١٠هـ ، ما يمكن أن يُقتطف على النحو التالي : وآخرها من فصل الياء ، وقوله : «وحدثنا أبو يوسف قال : حدثنا عليّ قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : زعم ابن كثير أنها «أفلم يتبين» في القراءة الأولى» [3] .

(١) المخطوطة محفوظة في الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد الآن) ، رقم ٩٢٢٥ . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، اللغة ، القسم الثاني ، تحت الطبع .

(٢) المخطوطة محفوظة في مكتبة شستر بتي ، دبلن ، رقم ٣٤٦٣ . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، الجزء الأول (الكويت) ، ص ٢٠ .

(٣) المخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، رقم ٢٦٥ لغة . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، اللغة ، القسم الثاني ، تحت الطبع .

– يلحق آخر المادة ما يُشعر بانتهاء المخطوطة وتمام مادتها ، دون أن تتعرض للبتر أو النقص ، كأن يقال : انتهى بحمد الله ، أو كمل بحمدالله ، أو نحو ذلك .

ومثاله ماجاء في آخر مخطوطة «اللمعة السنية في حل ألفاظ الآجرومية» ، لريحان (أغا) بن عبدالله المصري ، من رجال القرن الحادي عشر الهجري : «وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذه العجالة . . . والحمدلله . . . » [1] .

– لا يكتفي المفهرس دائمًا بالخاتمة السابقة ، فإن بعض المخطوطات يتبع خاتمتها فوائد كثيرة ، ينبغي أن يقتطفها المفهرس خدمة للباحث والدارس ، من مثل أن يبين المؤلف سنة التأليف ومكانه، كما هو موجود في مخطوطة «لمح السحر من روح الشعر وروح السحر»، لأبي عثمان ليون التجيبي الأندلسي، المتوفى **٧٥٠هـ** . **يقول المؤلف** في آخرها : « انتهى الاختصار والحمد لله حق حمده . . . **وذلك بمدينة المُرِّيَّة** ، حرسها الله تعالى ، في أواخر رجب الفرد من عام تسعة **وثلاثين وسبع مئة** » [2] .

– ومن هذه الفوائد التي ينبغي أن تظهر في الاقتطاف ما جاء **في ختام مخطوطة** «تاج العروس في شرح القاموس» لُمرتضى الزبيدي ، المتوفى **١٢٠٥هـ ، ماكتبه بخطه** : «وذلك عند أذان العصر ، من يوم الأربعاء ، **السادس والعشرين من شهر** رجب من شهور سنة ١١٨٤هـ ، على يد مهذبه . . **محمد مرتضى الحسيني** . . . وذلك بمنزله في عطفة الغسال بمصر » [3] .

(١) المخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، رقم ٣٢٧نحو . انظر فهرس **المخطوطات** المصورة ، النحو ، القسم الثاني ، ص٢٧٣ .

(٢) المخطوطة محفوظة في الخزانة الملكية ، الرباط ، رقم ٧٧٠ ، انظر فهرس **المخطوطات** المصورة ، الأدب ، القسم الخامس ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(٣) المخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، رقم ٥٠١ لغة تيمور (أ) . **انظر فهرس** المخطوطات المصورة ، اللغة ، القسم الثاني ، تحت الطبع .

- ومما يُرصد أيضًا ، ولو أنه في الغالب ، من قول الناسخ ، إلا أن فائدته للمحقق والدارس مؤكدة ، وهو بيان نهاية الجزء ، والجزء الذي يليه وما يبتدئ به . هذا إذا كان الكتاب في أكثر من جزء . جاء في آخر مخطوطة «شرح المفصل» لابن يعيش الأسدي ، المتوفى ٦٤٣هـ : «آخر الجزء الرابع ، ويتلوه في الخامس فصل : ومن أصناف الحروف ، حروف النداء» (١) .

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن هذه العناصر التي تخص بداية المخطوطة ونهايتها مؤسسة على أن المخطوطة كاملة ، لم يلحقها نقص من أولها أو آخرها . فإن حدث ذلك ، فإنه لابد من أن يُنص عليه ، وإيضاح موقع البداية أو النهاية فيها ، كما في أول مخطوطة «تنوير سقط الزند» ، لأبي يعقوب يوسف بن الحسن الخويي ، المتوفى ٥٤٩هـ ، يقول المفهرس : تنقص من أولها - من الديباجة - قليلاً ، وأول الموجود منها : «المحبوب على سجيته الكرم والوقار . . . أما بعد ، فإن الشعر ديوان العرب ، وبه تقييد أوابد الأدب . . . وهذا حين ابتدائي بتنوير سقط الزند فأقول : السقط ما سقط من النار عند القدح . وفيه ثلاث لغات . . . » (٢) .

وكما في آخر مخطوطة «التمثيل والمحاضرة» ، لأبي منصور الثعالبي ، المتوفى ٤٢٩هـ ، يقول المفهرس : وآخرها مبتور ، وآخر الموجود منها بعنوان «ومن أمثال البخلاء وحكمهم واحتجاجاتهم» : «قول (لا) يدفع البلا ، وقول (نعم) يزيل النعم . . . يابنيّ : كن مع الناس كاللاعب بالقمار ، تأخذ شيئهم ، وتحفظ شيئك » (٣) .

(١) المخطوطة محفوظة في مكتبة خدا بخش ، بتنه (الهند) ، رقم ١٥٨١ . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، النحو ، القسم الثاني ، ص٢١٠ .

(٢) المخطوطة محفوظة في دار الكتب الوطنية ، تونس (الصلاقية) ، رقم ٨٨٤٤ . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، الجزء الأول (الكويت) ، ص٥٥ .

(٣) المخطوطة محفوظة في مكتبة شستر بتي ، دبلن ، رقم ٤٨٠٧ . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، الجزء الأول (الكويت) ، ٥٣ .

(٦)

خاتمة:

يلاحظ الباحث المتخصص ، أنني مهدت لبحثي هذا بذكر أنواع فهرسة المخطوطات ودرجاتها . وانتهيت إلى أنها ثلاث درجات ، لا تخرج الفهرسة عنها ، وأن فهرسة الدرجة الثانية ، أو الوصفية ، تتميز عن فهرسة الدرجة الأولى ، أو القوائم ، بالاهتمام بعدة عناصر إضافية ، في طليعتها الاهتمام برصد أول المخطوطة وآخرها ، على أن يكون اقتطاف المفهرس منهما ، وفق منهجية محددة ، تبعد كثيراً عن الاقتطاف العشوائي ، وعن التطويل المُمِل ، أو الاختصار المُخِل .

وقبل أن أصل إلى هذه المنهجية التي حاولت أن أضع أُسُسها مقننة ، استعرضت اهتمام المفهرس بهذين العنصرين الهامين ، من الناحية التاريخية . فذكرت طليعة مبكرة ، اهتمت بذكر أول المخطوطة على وجه الخصوص ، وبيان أسباب التأليف ، والموضوع ، وعدد الأبواب والفصول . وهو كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ، لحاجي خليفة ، الذي وضعه في مطالع القرن الحادي عشر الهجري .

وبيَّنت ما لهذا الكتاب وما عليه ، وضربت الأمثلة منه لبيان منهجه في العمل . ولا أبالغ إذا عددت هذا الكتاب الهادي الأول للمفهرس الجاد . ولم يبالغ د . صلاح الدين المنجِّد ، حين عدَّ المؤلِّفَ ، بكتابه هذا ، واضع علم فهرسة المخطوطات الأول في العالم الإسلامي .

وانتقلت إلى ثلاث محاولات مُعاصرة ، كانت لها الريادة في فهارسنا الحديثة . وأول هذه المحاولات كانت في منتصف هذا القرن ، في فهرسة مخطوطات التاريخ بالمكتبة الظاهرية بدمشق . وتلتها الثانية ، في فهرسة مصطلح الحديث ، بدار الكتب المصرية . والثالثة في معهد المخطوطات العربية ، متمثلة في فهرس القسم الأول من التاريخ .

وحللت هذه الفهارس الثلاثة ، وضربت الأمثلة منها شاهدة على ما أزعم . وذكرت الإيجابيات والسلبيات ، وصولاً إلى ما أبغيه من هذا البحث .

وبإزاء هذه الفوضى ، التي تكتنف عمل المفهرسين ، في رصد بداية المخطوطة ونهايتها ، حاولت أن أضع في فصلين من هذا البحث ، منهجًا يكون هاديًا ومرشدًا لكل مفهرس ، منيراً له طريق الاقتطاف من النص ، موضحًا له ما يسجل منه ، وما يترك .

وجمعت في الفصل الأول ثمانية عناصر ، وفي الفصل الثاني خمسة عناصر ؛ غير ملحوظة هامة تتعلق بنقص المخطوطة في أولها وآخرها . وقد دعمت هذه القواعد بأمثلة أتيت بها جميعًا من خلال تجربتي الشخصية في الفهرسة . وبهذا أصبح بين يدي المفهرس ما يشبه دستور عملٍ ، يعد الخروج عنه إطالة لا طائل تحتها .

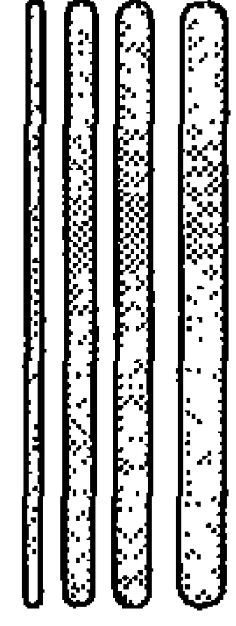
* * *

المصادر والمراجع

- تجربة معهد المخطوطات العربية في إصدار فهارس المخطوطات : واقعها وتقويمها وخصوصيتها، عصام محمد الشنطي ، بحث ضمن ندوة « التجارب العربية في فهرسة المخطوطات » التي صدرت عن المعهد ، ١٩٩٧ .
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التاريخ وملحقاته ، د. يوسف العش ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، مط . دمشق ، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م.
- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية ، الجزء الأول ، مصطلح الحديث ، مط . دار الكتب المصرية ، ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م.
- فهرس المخطوطات المصورة (معهد المخطوطات العربية) ، التاريخ ، القسم الأول ، لطفي عبد البديع ، ١٩٥٦م .
- فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب، الجزء الأول ، عصام محمد الشنطي ، الكويت ، الط . الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .
- فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، القسم الرابع ،عصام محمد الشنطي ، القاهرة ، الط . الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .
- فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب، القسم الخامس، عصام محمد الشنطي، القاهرة ، الط . الأولى ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
- فهرس المخطوطات المصورة ، الأدب ، القسم السادس ، عصام محمد الشنطي ، القاهرة ، الط . الأولى ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .
- فهرس المخطوطات المصورة ، النحو ، القسم الثاني ، عصام محمد الشنطي ، القاهرة ، الط . الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .
- فهرس المخطوطات المصورة ، اللغة ، القسم الثاني ، عصام محمد الشنطي ، تحت الطبع .
- قواعد فهرسة المخطوطات العربية ، د. صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الط. الثانية ، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبدالله ، الشهير بحاجي خليفة ، وبكاتب چلبي ، الط . التركية - إسلامبول ، ١٣٦٠ - ١٣٦٢هـ ، مصوَّرة بالأوفست ، مكتبة المثنى - بغداد ، بيروت .
- الموطأ ، لمالك بن أنس ، رواية أبي مُصْعَب الزهري المدني ، تحقيق د . بشار عواد ، ومحمود خليل ، مؤسسة الرسالة ، الجزء الأول ، الط . الثانية ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

* * *



تصنيف المخطوطات العربية

د. محمد فتحي عبد الهادي

١ - تمهيد :

إذا كان التصنيف بصفة عامة هو ترتيب الأشياء أو الأفكار في نظام منطقي وفقاً لدرجات التشابه الخاصة بها ، فإن تصنيف المكتبات هو الترتيب المنهجي للكتب وغيرها من أوعية المعلومات وفقاً للموضوع في الأغلب ، وبالطريقة التي تكون أكثر نفعاً للمستفيدين .

وفي السياق المكتبي فإن مصطلح « التصنيف » يشير إلى عمليتين هما :

أ - إنشاء النظم للعرض المنهجي لكافة أوجه المجالات المعرفية المختلفة .

ب - فن ترتيب الكتب وغيرها من أوعية المعلومات وفقاً لهذه النظم .

وبناء على ذلك فإن مصطلح « التصنيف » يستخدم للدلالة على وضع نظام تصنيف وتطبيق[١] .

وفي ضوء هذا فإن تصنيف المخطوطات هو تقسيمها إلى مجموعات موضوعية بطريقة مقننة ، ومن ثم تتجمع المخطوطات التي تتناول موضوعاً واحداً معاً في مكان واحد .

وهذا التقسيم الموضوعي يجب أن يتم اعتماداً على خطة أو نظام مُعد لهذا الغرض ، مع ملاحظة أن الترتيب الموضوعي للمخطوطات يمكن أن يتم على أرفف المكتبة ، كما يمكن استخدامه أيضاً في ترتيب التسجيلات الببليوجرافية للمخطوطات في فهرس أو في قائمة ببليوجرافية .

---

(١) محمد فتحي عبد الهادي : مبادئ التصنيف ، الإسكندرية ، دار الثقافة العلمية ، ١٩٩٨ ، ص ١٥ .

وتعد الطريقة الأولى مفيدة عندما تكون مجموعة المخطوطات صغيرة العدد والمخطوطات مجرد نوع واحد من أنواع المواد بالمكتبة ، ويمكن في هذه الحالة تطبيق نظام التصنيف المتبع في المكتبة بالنسبة للمواد الأخرى ، فإذا كانت المكتبة تطبق نظاماً عاماً مثل تصنيف ديوي العشري أو تصنيف مكتبة الكونجرس ، فإنه يمكن اتباع نفس النظام بالنسبة للمخطوطات ، وإذا كانت المكتبة تستخدم نظاماً متخصصاً لمجموعة متخصصة في موضوع ما ، فإنه يمكن استخدام نفس النظام بالنسبة للمخطوطات أيضاً . إذن فإن مكتبة متخصصة في علوم الدين الإسلامي وبطريقة نظام تصنيف مثل التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الإسلامي على الكتب والأطروحات الجامعية بها - يمكنها تطبيق نفس النظام على المخطوطات أيضاً[١] .

أما الطريقة الثانية وهي إعداد نظام تصنيف يختص بالمخطوطات فهي تفيد في حالة مكتبة تحوي عدداً كبيراً من المخطوطات أو في حالة المكتبة التي تقتصر مقتنياتها على المخطوطات . وعموماً فإن المخطوطات العربية الإسلامية كتراث ضخم متميز في حاجة إلى نظام تصنيف خاص ، وهو ما سنتعرض له بالتفصيل في نقطة تالية .

٤ - بعض الاعتبارات الخاصة بتصنيف المخطوطات العربية الإسلامية :

يتطلب تصنيف المخطوطات الأخذ في الاعتبار ما يلي :

أ - يتطلب التصنيف عموماً خلفية موضوعية عريضة للمصنف بالنسبة للمحاولات التي يصنف فيها ، وبناء على ذلك فإن تصنيف المخطوطات يحتاج إلى مصنف على دراية بفن التصنيف وعلى معرفة جيدة بالتراث العربي الإسلامي ، فإن تصنيف مخطوطات الشريعة الإسلامية ومذاهبها مثلاً يتطلب أن يكون المصنف على معرفة جيدة بدقائق هذا الموضوع حتى يمكن تصنيفه صحيحاً .

(١) محمد فتحي عبد الهادي : علم المكتبات والمعلومات ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦ ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

٢ - أهمية تصنيف المخطوطات :

إذا كان رصيد المخطوطات يمثل ثروة وطنية بما يضمه هذا الرصيد من فكر يجب الحفاظ عليه وصونه والانتفاع به ، فإنه من الضروري الكشف عن هذا الرصيد وإتاحته للباحثين والدارسين بالطريقة التي تمكن من الاستفادة منه ، ومن هنا تبدأ أهمية فهرسة المخطوطات وتصنيفها التي تتمثل في ما يلي :

أ- على الرغم من أن بعض المخطوطات يُطلب باسم المؤلف أو بعنوان المخطوط فإن نسبة كبيرة من الباحثين يرغبون في معرفة المخطوطات الموجودة بمكتبة ما عن موضوع معين ، ومن هنا تبدو أهمية تجميع المخطوطات المتعلقة بالموضوع الواحد معاً حتى يتيسر الوصول إليها والاستفادة منها .

ب - يبين التقسيم الموضوعي للمخطوطات مدى قوة أو ثراء مجموعة المكتبة في موضوعات بعينها ، ومن هنا يقال : إن مكتبة ما تملك رصيداً ضخماً من المخطوطات في التصوف ومكتبة أخرى تتميز بمجموعتها في الفلك ، ومكتبة ثالثة بها مخطوطات كثيرة في النحو العربي . . وهكذا .

ومن ناحية أخرى فإن التقسيم الموضوعي للمخطوطات يساعد على اكتشاف نقاط الضعف في مجموعات المكتبة في موضوعات بعينها ، ومن ثم تعمل المكتبة على الحصول على المخطوطات في هذه الموضوعات لدعم مجموعتها وتقويتها .

جـ - يظهر تصنيف المخطوطات العربية الإسلامية العلوم والمعارف التي اهتم بها العرب والمسلمون وألفوا فيها أعمالهم على مدى قرون عديدة .

٣ - طرق تصنيف المخطوطات :

توجد طريقتان لتصنيف المخطوطات : الأولى هي تطبيق نظام تصنيف عام أو متخصص كما هو أو بعد إدخال بعض التعديلات عليه . والطريقة الثانية هي إعداد نظام تصنيف خاص يناسب طبيعة مجموعة المخطوطات .

ب – هناك العديد من المخطوطات الموسوعية التي تتضمن موضوعات متنوعة وهنا يجب على المصنف أن يقرر أي الموضوعات هو الغالب إن كان هناك موضوع غالب ، وإلا يعتبر المخطوط من المخطوطات التي تقع في باب المعارف العامة .

جـ – يوجد العديد من المخطوطات بلغات أخرى غير العربية مثل الفارسية أو التركية أو الأوردية ، وفي هذه الحالة من الضروري أن يكون المصنف على معرفة بهذه اللغات حتى يمكنه تقرير الموضوعات على نحو دقيق .

د – من المعروف أنه لا يمكن المصنف أن يقرأ المخطوط كله حتى يتمكن من تصنيفه . وإنما جرت العادة على أن يتفحص المصنف أو يتصفح بعض العناصر في المخطوط تلك التي تعينه على تحديد موضوع المخطوط . ومن هذه العناصر : عنوان المخطوط أو اسمه ، مقدمة المؤلف ، قائمة المحتويات إن وجدت . . إلخ . وقد يبدو ذلك سهلاً بالنسبة للكتب المطبوعة ولكنه ليس سهلاً بالنسبة للمخطوطات ، فالعناوين قد لا تكون دالة على الموضوعات ، ونحن نعرف أن هناك العديد من المخطوطات التي تحمل عناوين مسجوعة قد لا تدل على الموضوعات من النظرة الأولى . ومن ناحية أخرى قد تخلو بعض المخطوطات من المقدمات ومن قوائم المحتويات أو الفهارس ، فيصبح من العسير إدراك موضوع المخطوط . ومن ثم يتطلب تصنيف المخطوطات جهداً كبيراً وحرصاً شديداً وفحصاً للمتن نفسه من أجل التعرف على محتواه ، وهنا قد يستعين المصنف بعناوين الفصول أو الأبواب أو العناصر الفرعية للموضوع المعالج في المخطوط . وليس من العيب أن يلجأ إلى فهرس للمطبوعات يضم بطاقات بها أرقام تصنيف لها إذا كان للمخطوط نظيراً مطبوع .

هـ – جرت عادة بعض المصنفين على اتباع مبدأ التصنيف الواسع بالنسبة للمخطوطات العربية ، والتصنيف الواسع يعني استخدام الأجزاء الرئيسة فقط من

نظام التصنيف والاستغناء عن التفريعات الدقيقة كأن يصنف المخطوط في اللغة بصفة عامة مع أن المخطوط يختص بالنحو مثلاً .

وهنا ننصح بأن يستخدم المصنف مبدأ التصنيف الضيق ؛ أي استخدام كل التعريفات المتاحة في نظام التصنيف ، فذلك ييسر على الباحث جمع المخطوطات المختصة بموضوع بحثه بدلاً من البحث عنه وسط عشرات أو حتى مئات المخطوطات التي تندرج تحت المجال العريض الذي ينتمي إليه الموضوع المتخصص .

و - من الضروري أن يتنبه المصنف إلى أن هناك بعض المخطوطات التي تشتمل على حواش أو هوامش أو تذييلات في نفس موضوع المخطوط أو في غيره من الموضوعات، ولنفس المؤلف أو لغيره من المؤلفين .

ويرتبط بهذا أن هناك بعض المخطوطات التي يطلق عليها « المجاميع » تلك التي يتناول الواحد منها فنوناً مختلفة من المعارف . وهذه يمكن أن تجمع معاً في قسم خاص يعرف بقسم المجاميع ، أما المجاميع التي تتناول موضوعاً واحداً فإنها تصنف تحت الرقم العام لهذا الموضوع ، مضافاً إليه الرمز الخاص بالمجاميع في القوائم الموحدة لنظام التصنيف[1] .

ز - من المفيد الإشارة إلى أنه إذا كان المخطوط يوضع في مكان واحد على الرف حسب موضوعه ، إن كان التقسيم الموضوعي هو المتبع لترتيب المخطوطات على الرفوف ، فإنه من الممكن أن يُعطى المخطوط أكثر من رقم تصنيف ، ومن ثم توضع أكثر من بطاقة له في عدة أماكن بالفهرس المصنف ، وذلك في حالة المخطوط الذي يضم أكثر من موضوع .

(١) د. عبد الستار الحلوجي : المخطوط العربي ، ط ٢ ، مزيدة ومنقحة ، جدة ، مكتبة مصباح ، ١٩٨٩ ، ص ٢٧٠ .

٥ - نماذج من نظم تصنيف المخطوطات العربية :

تجـدر الإشـارة إلى أن نظم تصنيف المخطوطات قـد تكون في شكل من الأشكال التالية :

أ – قوائم ببليوجرافية تشتمل على مخطوطات مصنفة وفق موضوعاتها ، بصرف النظر عن وجود هذه المخطوطات في مكتبة ما أو في مكتبات بعينها .

ب – فهارس مخطوطات مصنفة بمكتبة واحدة أو لعدة مكتبات معاً .

جـ – مخطوطات مرتبة على أرفف مكتبة ما وفق نظام تصنيف معين ، بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود فهرس منشور لها .

وسوف نتناول في ما يلي نماذج من هذه الفئات الثلاث .

١/٥ - تصنيف الببلوجرافيات المصنفة للمخطوطات :

١/١/٥ تصنيف ابن النديم في كتابه الفهرست :

قسم ابن النديم الكتب التي جمعها في فهرسته على أصناف العلوم ، وهناك من يقول : إن ابن النديم أول من طبق التصنيف على الكتب عمليًا ، وأول من رتبها ترتيباً موضوعيًا وفق نظام حدده لنفسه . وقد قسم فهرسته إلى عشر مقالات ، أي أقسام رئيسية للمعرفة ، واشتملت كل مقالة على عدد من الفنون بلغت جميعها ٣٤ فنًا ، والمقالات العشر هي :

١ – علم الخط والكتابة ، الشرائع ، علوم القرآن .

٢ – النحو والنحويون .

٣ – الأخبار والآداب والسير والأنساب .

٤ – الشعر والشعراء .

٥ - الكلام والمتكلمون .

٦ - الفقه والفقهاء .

٧ - الفلسفة والفلاسفة .

٨ - الأسماء والخرافات والشعوذة والسحر والغرائب .

٩ - المذاهب والديانات غير الإسلامية .

١٠ - الكيمياء والكيمياء الصناعية .

وليس من المفيد تطبيق المعايير الحديثة لنظم التصنيف على نظام ابن النديم ، ولكن يكفيه أنه اختار الترتيب المصنف .

وقد بدأ بالخط لأن الكتابة لا يمكن بدونها تحصيل المعارف ، وثنى بعلوم القرآن والشرائع لمنزلة هذه العلوم عند المسلمين ، وكان من المتوقع أن يستمر ابن النديم فيستوفي كل علوم الدين قبل أن يدخل في العلوم غير الدينية ، وبعد الدين يدخل في علوم اللغة لارتباطها الوثيق بالدين . . وهكذا . ولكنه لم يفعل هذا مما يدل على أن غرضه كما قال د. عبد الوهاب أبو النور ، لم يكن وضع تصور لتنظيم المعرفة بقدر ما كان اصطناع أساس موضوعي لتصنيف الكتب[(١)] .

٢/١/٥ تصنيف طاش كبري زاده في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة» في موضوعات العلوم :

استخدم طاش كبري زاده الترتيب المصنف للكتب التي وردت في هذه الببليوجرافية الانتقائية . وقد قسم كتابه إلى مقدمات أربع وسبع دوحات . .

---

(١) عبد الوهاب عبد السلام أبو النور : بحوث في المكتبة العربية ، الكويت ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ ، ص٢٠٨ - ٢٠٩ .

وتنصب المقدمات على العلم والتعلم والتعليم والمعلم والمتعلم ، أما الدوحات السبع فهي على النحو التالي :

١ - العلوم الخطية .

٢ - علوم اللغة العربية والأدب العربي .

٣ - المنطق والجدل . . إلخ .

٤ - العلم الإلهي والعلم الطبيعي والعلوم الرياضية .

٥ - الحكمة العملية .

٦ - العلوم الشرعية ، وهي علوم الدين الإسلامي ما عدا التصوف .

٧ - علوم الباطن وهي علوم التصوف .

وقد قسم كل دوحة إلى شعب وكل شعبة إلى علوم أو مطالب ، أو عناقيد . . إلخ بحسب قابلية الشعب للتفريع ، وقد بلغ عدد العلوم في النهاية ثلاثمائة علم(١) .

وعموماً فإن هذا التصنيف يبين مدى ما وصلت إليه العلوم العربية والإسلامية وأبرز ما صنف فيها حتى عصر المؤلف (القرن العاشر الهجري) .

٢/٥ الفهارس المصنفة للمخطوطات :

١/٢/٥ فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة :

يقع هذا الفهرس المطبوع في ستة مجلدات وتمت طباعته في الفترة من سنة ١٣٦٥ - ١٣٧١هـ . وقد أدمجت فيه المخطوطات مع المطبوعات وتم ترتيبه حسب الموضوعات وداخليًا بالعنوان .

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

وجاءت محتويات الفهرس على النحو التالي :

المجلد الأول : المصاحف ، القراءات ، علوم القرآن ، التفسير ، المصطلح ، علوم الحديث .

المجلد الثاني : أصول الفقه ، فقه الأئمة الأربعة كل على حدة ، علم الفرائض ، حكمة التشريع .

المجلد الثالث : الفقه العام ، علم الكلام ، علم المنطق ، الفلسفة ، علم التصوف ، علم الآداب والفضائل .

المجلد الرابع : علم اللغة ، علم الصرف ، علم النحو ، علم البلاغة ، العروض والقافية .

المجلد الخامس : الأدب ، التاريخ ، الجغرافيا .

المجلد السادس : الأخلاق والتربية والاجتماع ، القوانين واللوائح ، الطب ، الحساب ، الهندسة ، المعارف العامة ، الفلك ، الهيئة ، تعبير الرؤيا ، الفراسة والكف ، الخط والإملاء ، الاقتصاد والسياسة ، الزراعة ، الكيمياء والطبيعة ، الفروسية والفنون الحربية ، الموسيقى . . إلخ[1] .

وعلى الرغم من شمولية هذا الفهرس للمخطوطات والمطبوعات معاً ، وأنه غطى موضوعات كثيرة فإن تقسيماته للمعرفة تقسيمات عريضة ، فضلاً عن أنها غير مرتبة أو منظمة بطريقة منهجية أو منطقية .

(١) عزت ياسين أبو هيبة : المخطوطات العربية ، فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

٢/٢/٥ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية :

كان هذا الفهرس كما تصوره الدكتور يوسف العش سلسلة من الفهارس الموضوعة على تعريف المخطوطات ودراستها وتحليلها ، تخصص كل حلقة منها لفن من فنون الثقافة العربية ، وتطبع في كتاب قائم على حدته . ومن هذه الفهارس :

- فهرس مخطوطات التاريخ وملحقاته .
- فهرس علوم القرآن .

وأقسامه :

المصاحف الشريفة ، كتب التجويد ،كتب القراءات ، كتب التفسير ، كتب علوم القرآن العامة .

- فهرس مخطوطات الفقه الشافعي .
- فهرس مخطوطات الشعر .
- فهرس مخطوطات الطب والصيدلة .
- فهرس مخطوطات علم الهيئة وملحقاته .
- فهرس مخطوطات الفلسفة والمنطق وآداب البحث .
- فهرس المنتخب من مخطوطات الحديث .
- فهرس مخطوطات التاريخ وملحقاته ، الجزء الثاني .
- فهرس مخطوطات الرياضيات .
- فهرس مخطوطات النحو .

- فهرس مخطوطات اللغة .
- فهرس مخطوطات التصوف .
- فهرس مخطوطات العلوم والفنون المختلفة عند العرب .
- فهرس مخطوطات الفقه الحنفي .
- فهرس مخطوطات الطب والصيدلة ، الجزء الثاني .
- فهرس مخطوطات قسم الأدب .
- فهرس مخطوطات المجاميع .
- المستدرك على فهرس مخطوطات الشعر .
- فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية .

إن فهارس المكتبة الظاهرية التي بلغ عدد مجلداتها الثلاثين مجلداً ، والتي استغرق نشرها ما يقرب من أربعين عاماً لم تصف سوى أقل من نصف محتويات المكتبة ، وهي من إعداد أشخاص مختلفين[1] .

٣/٥ نظام تصنيف دار الكتب المصرية :

إن نظام دار الكتب المصرية ، والمعمول به منذ عام ١٩٣٦ للمطبوعات والمخطوطات يتلخص في ما يلي :

---

(١) أ/ عزة حسن : المخطوطات العربية وفهرستها في دمشق ، ص ٣٤٢ - ٣٤٨ في الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٧٢ .
ب/ لمحة عن مخطوطات المكتبات العامة في سورية ، ص ٤ - ١٣ في ندوة التجارب العربية في فهرسة المخطوطات ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩٧ .

أ - المصاحف .

ب - القراءات ، التفسير ، الحديث ، علم الكلام ، التصوف ، أصول الفقه، فقه المذاهب ، الفرائض والمواريث ، النِّحَل الإسلامية .

ج - المكتبات ، المعارف العامة ، الموسوعات ، المجاميع .

ح - التاريخ والآثار .

ز - الأدب .

ط - الجغرافيا

ك - الرياضة ، الفلك والميقات ، الطبيعة والكيمياء ، الهيئة .

ل - الصناعة والزراعة والطب .

م - الفنون .

ن - اللاهوت .

هـ - علوم اللغة العربية .

و - الفلسفة والحكمة .

ش - المعارف والأسرار .

ي - الاجتماع، التربية والتعليم ، القوانين ، التجارة ، الفنون الحربية .

وتذكر د. شمس الأصيل محمد أن بعض الحروف قد استخدم للدلالة على أكثر من موضوع ، وأنه باستخدام الحرف الهجائي مع الرقم المسلسل للدلالة على رقم طلب الكتاب المخطوط ، فقد رقم الطلب في معظم الأحوال أي دلالة موضوعية على محتوى المخطوط ، خاصة إذا كان الحرف يغطي عدة موضوعات ، مثل حرف هـ الذي يضم النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي .

وفي عام ١٩٥١ تقرر فصل المطبوعات عن المخطوطات في السجلات والمخازن وأنشئت إدارة مستقلة للمخطوطات قامت بنقل بيانات المخطوطات من سجلات الفنون القديمة إلى سجلات خاصة بالرصيد من المخطوطات مقسمة إلى نفس الفنون التي سبق الإشارة إليها ، وأفردت للحروف الهجائية سجلات مستقلة(١) .

* * *

نسجل في ما يلي بعض الملاحظات على أنظمة التصنيف التي تم تناولها :

أ - على الرغم من أن النظم المذكورة قد راعت خصوصية التراث العربي والإسلامي وموضوعاته ، فإنها لم تكن نظماً مفصلة بما فيه الكفاية ، ولم تتابع الموضوعات بطريقة منطقية ، تجعل الموضوع مسبوقاً وملحوقاً بالموضوع أو الموضوعات الأخرى ذات الصلة الوثيقة به .

ب - خلت النظم من رموز التصنيف ، في ما عدا نظام دار الكتب ، وحتى هذا النظام استخدم حرفاً هجائياً واحداً لكل علم أو لكل مجموعة من العلوم ، ولم يتدرج في الترميز ليشير إلى كل فرع برمز خاص به .

جـ - إن النظم السابق الإشارة إليها هي - في ما عدا نظام ابن النديم ونظام طاش كبرى زاده - مرتبطة بالمكتبات التي توجد بها المخطوطات ، ولذلك تتفاوت الموضوعا ت من مكتبة لأخرى ، ومعنى ذلك أنه لا يوجد حتى الآن النظام الشامل لتصنيف المخطوطات العربية في مختلف الموضوعات .

---

(١) د. شمس الأصيل محمد علي حسن : المخطوطات العربية بدار الكتب القومية بمصر ، القاهرة، ش. حسن ، ١٩٩٥ ، ص ٩٥ - ٩٧ ، أطروحة (دكتوراه) ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم المكتبات والوثائق والمعلومات .

٦ - خطة مقترحة لتصنيف المخطوطات العربية :

إذن لابد من إعداد نظام تصنيف شامل للمخطوطات العربية الإسلامية يمكن استخدامه من قبل المكتبات العربية الإسلامية لمخطوطاتها .

ولعل ما يدعو إلى إعداد هذا النظام :

أ - أن المخطوطات العربية الإسلامية كبيرة العدد ، ولا يكاد يوجد نظير لها في تراث أي أمة من الأمم . وفي هذا الصدد يذكر د. أحمد شوقي بنبين أن ما جُمع حتى الآن وفُهرِس من المخطوطات العربية يقدره المختصون بثلاثة ملايين ، وأن ما هو غير مفهرس وما لم يكتشف بعد يكاد يفوق ما هو معروف ومُفهرس[1] .

ب- أن موضوعات المخطوطات العربية الإسلامية متعددة ومتنوعة ، ومع هذا فهي تمثل خصوصية التراث العربي الإسلامي على امتداد فترة زمنية طويلة من تاريخ العالم العربي والإسلامي ، وهذه الخصوصية تتضح في التركيز على موضوعات بعينها وفي استخدام مصطلحات خاصة للدلالة على بعض الموضوعات .

وفي هذا الصدد يذكر د. رمضان ششن أن الكتب صنفت في كافة المجالات العلمية التي كان يحتاجها المجتمع في الحضارة الإسلامية قبل ظهور العلم الحديث إلى الوجود ، وهو يقسم هذه العلوم إلى الأنواع التالية :

١ - العلوم الدينية .

٢ - علوم اللغة .

٣ - الأدب .

(١) د. أحمد شوقي بنبين : علم المخطوطات والتحقيق العلمي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٦٨ ، جـ ٢ (إبريل ١٩٩٣) ، ص ٢٣٩ .

٤ - التاريخ .

٥ - الجغرافيا .

٦ - الفلسفة .

٧ - الرياضيات : الحساب ، الجبر ، المساحة ، الهندسة ، الوفق ، الفلك ، النجوم ، الميقات ، الموسيقى . . إلخ .

٨ - الفيزياء : الحيل ، البصريات ، علم الأحجار والمعادن ، جر الأثقال ، فن الحرب .

٩ - الكيمياء ، السيمياء ، قلع الآثار ، الحرب اليدوية المختلفة .

١٠ - الطب : الطب العام ، طب العيون ، الجراحة ، البيطرة ، الباه .

١١ - علم الحيوان والبيزرة .

١٢ - علم الفلاحة والنبات .

١٣ - السحر .

١٤ - تعبير الرؤيا .

١٥ - الموسوعات ، التراجم والفهارس .

ومن الممكن مشاهدة مخطوطات في كل هذه العلوم بالإضافة إلى نسخ المصاحف الشريفة وأجزائها[1] .

جـ- أن نظم التصنيف العامة مثل تصنيف ديوي العشري أو تصنيف مكتبة الكونجرس على الرغم من شموليتها وأنها معدة إعداداً جيداً ، وأنها مستخدمة على

(١) رمضان ششن : وصف المخطوطات وإعداد بطاقاتها ، ص ٢ في الدورة التدريبية لمؤسسة الفرقان بلندن .

نطاق واسع فإنها لا تصلح بالنسبة للمخطوطات العربية الإسلامية ، لأنها معدة في الأساس لتراث غير التراث العربي الإسلامي .

وجدير بالذكر أن هناك لجنة كلفت بإعداد مشروع بطاقة نموذجية لفهرسة المخطوطات العربية خلال الفترة ما بين ٥ و ٧ يونيو ١٩٨٩ في مقر مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء ، وهي لجنة منبثقة عن ندوة المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي المنعقدة بمقر المؤسسة المذكورة أعلاه في شهر إبريل ١٩٨٨ ، وقد ضمّت هذه اللجنة نخبة متميزة من الخبراء العرب في مجال المخطوطات .

وانتهت اللجنة إلى إعداد بطاقة موحدة للفهرسة أوصت بتعميم استعمالها على المؤسسات المعنية بالمخطوطات العربية ، كما أوصت باعتماد قائمة « رؤوس الموضوعات » التي قدمها الدكتور قاسم السامرائي وهي على النحو التالي (بشكل موجز) :

- المصاحف الشريفة - القراءات والتجويد - رسم القرآن .
- التفسير .
- علوم القرآن .
- الحديث النبوي .
- علوم الحديث .
- العقائد ، التوحيد ، علم الجدل ، الفرق والمذاهب ، الملل والنحل .
- الفلسفة ، علم الأخلاق ، علم الكلام ، علم المنطق .
- أصول الفقه .

- المواعظ والخطب ، التصوف ، أدب البحث .

- التعليم وحدود العلم ، علم اللغة ، النحو .

- العروض والقوافي ، الصرف ، الأدب .

- الشعر ، علوم البلاغة ، التاريخ ، السيرة النبوية ، التاريخ العام ، التاريخ الخاص ، تاريخ البلدان والمدن ، الأنساب ، التراجم .

- الجغرافية ، الرحلات ، علم الملاحة البحرية ، الطب ، الصيدلة ، البيطرة ، البيزرة ، الفلاحة ، الطبيخ وآداب المائدة ، الكيمياء ، السيمياء ، خواص الأحجار ، الفيزياء ، الرياضيات ، السياسة وتدبير الملك ، الحسبة ، أدب القضاء ، الفروسية والحرب ، الموسيقى والغناء ، الخط والكتابة .

فنون عامة : السحر والأوفاق وكتب الملاحم وأسرار الحروف وما إلى ذلك من معارف عامة ، تعبير الرؤيا ، علم الفلك ، علم النجوم ، علم الهيئة والآثار العلوية[1] .

ومن الواضح أن القائمة السابقة تشمل موضوعات عديدة متنوعة وتستخدم المصطلحات التي كانت سائدة في المخطوطات العربية الإسلامية لكنها لا تشكل نظاماً مقنناً لتصنيف المخطوطات .

وهكذا يبدو من الضروري ومن المفيد إعداد نظام تصنيف موحد للمخطوطات العربية الإسلامية . ويتضمن بناء نظام التصنيف الذي أقترحه ما يلي :

١ - تحديد الأقسام الرئيسة وترتيبها بطريقة منطقية .

ويقترح أن يكون الإطار العام لنظام التصنيف على النحو التالي :

(١) البطاقة العربية الموحدة لفهرسة المخطوطات ، الدار البيضاء ، ١٩٩٠ ، ٧ ص .

أ - الإسلام (عامة) .

ب - المصاحف وعلوم القرآن .

جـ - الحديث الشريف .

د - الفقه وأصوله .

هـ - علم الكلام أو العقائد .

و - التصوف .

ز - الديانات الأخرى .

ح - الفلسفة واللغة

ط - الأدب .

ي - التاريخ والتراجم والجغرافيا .

ك - العلوم الاجتماعية .

ل - الفنون .

م - العلوم الطبيعية والتطبيقية .

ن - العموميات .

٢ - تجزئة الأقسام من الرؤوس الأكثر عمومية إلى الرؤوس الأكثر خصوصية ، أي إنشاء الأقسام الفرعية تحت كل قسم رئيس .

وهنا يمكن تعرف الموضوعات وتفصيلاتها من واقع مجموعات المخطوطات نفسها بالإضافة إلى نظم التصنيف والكتب التي تحصر العلوم العربية والإسلامية .

٣ - إعداد قوائم إضافية تتضمن الأوجه المشتركة مثل : أسماء الأماكن ، الفترات الزمنية ، أشكال العرض .

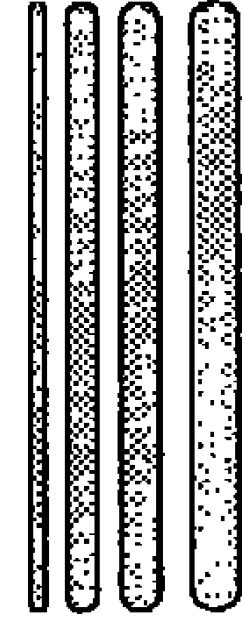
٤ - تزويد الموضوعات في الجداول بالرموز الدالة عليها ، وهنا يمكن استخدام الحروف الهجائية العربية والأرقام . وفي ما يتعلق بالحروف فإنه يفضل استبعاد الحروف شبه المتشابهة ، منعاً للاختلاط ، إذ يختار حرف الباء مثلاً ويترك حرف التاء ، وهكذا .

٥ - إعداد كشاف هجائي يتضمن كل الموضوعات الواردة في جداول التصنيف والقوائم الإضافية وأمام كل منها الرمز الخاص به[١] .

ويمكن أن يُعهد بإعداد هذا التصنيف الشامل والموحد إلى لجنة مختصة تعمل تحت عناية وتوجيه معهد المخطوطات العربية .

* * *

(١) محمد فتحي عبد الهادي : علم المكتبات والمعلومات ، ص ٤٤ ، ٤٥ .



تعقيبات ومداخلات

■ **د. أحمد مختار عمر :**

ثمة نقطة تحتاج إلى إيضاح : الدكتور يوسف زيدان اعتبر الفهرسة فنًا عويصًا ومتخصصًا . . إلخ واعتبرها هي الأساس لتحقيق النصوص ، في حين أشار أ. عصام الشنطي في بحثه إلى أن بعض الفهارس التي أشار إليها باعتبارها نماذج للفهرسة العلمية الدقيقة قدمها بعض الأساتذة الذين لم يُعرفوا إطلاقًا بالفهرسة ولا بالتحقيق . ولا أريد أن أذكر الأسماء ، ولكن هو يعرف بعض الأسماء التي ذكرها ، وبعضها حقًا لا علاقة له بالفهرسة ولا بالتحقيق ، فكيف إذن يتاح لمن لا يعرف فن الفهرسة أن يفهرس ، وأن تُعتبر فهرسته نموذجًا للفهرسة العلمية الدقيقة ، ثم نقول بعد ذلك : إن الفهرسة هي أساس التحقيق وأنها تخصص دقيق ومشكلة عويصة ، في حين إنها - كما تبيّن من حديث أ. الشنطي - ملك لمن يتقدم للفهرسة دون أن يُعرف بتخصص معين أو بتخصصه في الفهرسة بالذات . وهذه نقطة نتركها للتعليق .

■ **د. الطاهر مكي :**

أملت أن يكون حديثي قصيراً ، لأن البحث الذي كان عليّ أن أعقّب عليه مصاغ بلغة علمية واضحة ومركزة لا تدع لي إلا أقل القليل ، ثم جاء رئيس الجلسة وطالبني بمزيد من الحديث . والواقع أني - كما قلت - بصدد بحث محكم كتب بلغة علمية ، مع ذلك فإن طالب العلم نهم دائمًا وبحاجة إلى المزيد ، خصوصًا إلى أشياء افتقدتها في معظم أو كل الأبحاث التي قرأتها أو استمعت إليها .

أعرف أن عصرنا الحاضر ليس عصر المخطوطة العربية ، لأن الأخيرة ازدهرت في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، فنحن نعرف مثلاً أن مكتبة عبد العزيز بن المعز لدين الله الفاطمي في القاهرة كانت تضم مليونًا وسبع مئة ألف كتاب ، ويرتفع بها ابن أبي شامة في كتابه « الروضتين » إلى مليونين . وكذلك مكتبة الحكَم الأندلسي كانت تضم نحو نصف مليون مخطوطة ، فهذه الأرقام الكبيرة لابد أن أصحابها حاولوا تصنيفها وفهرستها ، ولكن كيف كانت طريقتهم في التصنيف والفهرسة ؟ إن عقلية هؤلاء كانت تواجه مشكلات عربية وبالتأكيد أوجدت لها حلولاً ، وهذه الحلول يمكن أن تفيدنا في حاضرنا . وقد بحثت كثيراً عن بحث يقدم لي دراسة عن التصنيف والفهرسة في هذا العصر المزدهر للمخطوطات فلم أجد ، ليس لأن المعلومات تنقصنا ، فلدينا الكثير من المعلومات ، ولكن لأنها متناثرة وتحتاج إلى جهد في الاستقصاء .

على سبيل المثال ، قرأت لابن حزم رواية يقول فيها إنه سمع من أمين مكتبة الحكم أن فهرسة الشعر كانت في ٤٤ كراسة ، وكل كراسة كانت تضم ٥٠ ورقة . إذن كان هناك فهرس للشعر وحده ، وهكذا يستطيع الباحث أن يمضي مع المكتبات ، وأن يعرف أن مكتباتنا العربية كانت تُفهرس منذ ألف عام .

الأمر الثاني الذي تمنيته وفكرت فيه ، هو أننا نسوّي بين المخطوطات في القيمة ، لأننا نهمل طريقة التعليم في العصور الوسطى ؛ والتي كانت قائمة على أن الأستاذ يشرح والطلاب يكتبون لأنفسهم ، وقد يراجعون ما يكتبون على الأستاذ وقد لا يفعلون . ولأن الورق نادر وللحرف في ذلك الوقت جلاله ، احتفظ كل إنسان بالشرح الذي ورثه عن أبيه وجدّه ، وهكذا يمكن أن نجد مئات المخطوطات تشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه وهي رسالة لا أهمية لها ، ونجد مئات المخطوطات تشرح الآجرومية للصنهاجي (٧٢٣هـ) في النحو . لذلك ، بدل أن

نحمل على أكتافنا هذا العبء الضخم ، أتمنى أن نغربل هذه المخطوطات ونصنفها من حيث قيمتها ، حيث إنه لا يمكن أن تتساوى مخطوطة كتبها طالب في الأزهر أو الزيتونة أو في القيروان أو في جامعة القرويين ، مع أخرى ألفها عالم متمكن . ولا شك أن الصنف الأول يرهقنا تصنيفًا وجمعًا . . إلخ .

د. فتحي عبد الهادي تحدث عن فهرسة مكتبة الأزهر ، لأنها تجمع بين المطبوع والمخطوط ، بالطبع هذا خطأ . ولكن هناك جانب كبير من مخطوطات الأزهر ليس في هذه الفهارس ولم يفهرس بعد ، وفيه أشياء نادرة جدًا ومسجلة في مكتبة الأزهر ، على بطاقات ، لكن الوصول إلى هذه المخطوطات عسير جدًا لذلك أتمنى أن نعطي مكتبة الأزهر مزيدًا من الاهتمام ، وأقترح على معهد المخطوطات العربية أن يؤلف لجنة تصور ما هو جيد منها ، لأن الوصول إلى المخطوطات الجيدة صعب للغاية ، وعلى سبيل المثال فإن أقدم مخطوطة لكتاب « الأخلاق في السير والنفوس » لابن حزم موجودة في مكتبة الأزهر ، وهي من ضمن المخطوطات التي لم تُفهرس ، والوصول إليها عسير جدًا .

شيء آخر يمكن أن يفيدنا في الفهرسة . نحن نقول إن المخطوطات العربية في أغلبها غير مفهرسة ، إلا أنه لم يحاول أحد أن يؤرخ ذلك . وفي الواقع ، أنه ابتداء من القرن الخامس الهجري بدأ بعض العلماء يفهرسون كتبهم . وابن بسام في كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ؛ وهو من أربعة أقسام ، أعطى في القسم الأول فهرسًا كاملاً لكل الشخصيات التي تحدث عنها ، وعندما تبيّن الناس أهمية الفهرسة نجد مثلاً أن **ابن فهد** قام بعمل فهارس لكتب غيره ، فهرس كتاب أبي نُعيم « حلية الأولياء » وكتاب القاضي عياض « ترتيب المدارك في أعيان منهج مالك » ، وكتاب ابن أبي أُصيبعة « عيون الأنباء » ، وابن رجب « ذيل طبقات الحنابلة » ، والذهبي « طبقات الحُفّاظ » . وقد رجع السخاوي إلى هذه الفهارس وأثنى عليها كثيرًا ، وقال : هي أنفع ما أبدعه ابن فهد في حقلي الأدب والتاريخ .

بالأمس تحدثوا عن ابن النديم ، والحق أنه النديم ، وليس ابن النديم ، وهو يذكر هذا في كتابه . وكل الذين جاؤوا بعده يذكرون : محمد بن إسحاق النديم ، ولم يخالف إلا الحافظ الذهبي في كتابه « تاريخ الإسلام » . والعجيب أن الاسم الصحيح الذي ذكره النديم في كتابه هو الذي ضاع في غمار الزمن ، وأن الاسم الخطأ الذي ذكره الحافظ في كتابه « تاريخ الإسلام » « ابن النديم » هو الذي اشتهر . وقد آن الأوان لنعيد الاسم إلى صوابه . إن مفهوم النقل عندي يعطي مؤشراً خطيراً ، وهو أن الناس ينقلون عن بعضهم البعض قديمًا وحديثًا دون أن يتذكروا أو يتدبروا .

■ **د. أيمن فؤاد سيد :**

- إن الأبحاث الثلاثة التي استمعت إليها في هذه الجلسة أثارت لدي بعض الاستفسارات والتعقيبات . في ما يخص د. يوسف زيدان ، فقد أشار إلى أن الفهارس التي صدرت حتى الآن غير منهجية ، وأن بعضها « مضحكة » . وهذا غريب منه . وحبذا لو ضرب لنا أمثلة على تلك الأعمال .

بالنسبة لبحث أ. عصام الشنطي ، كنت أود لو أنه قد خصص جزءاً منه للحديث عن حرف المد أو **الكولوفون** ، لأن المعلومات الموجودة فيه هي أن كثير من الفاتحة والخاتمة ، تعرفنا بأشياء كثيرة جدًا : طريقة النسخ ، واسم الناسخ ، والنسخة التي نسخت عنها هذه النسخة ، والمكان الذي تمَّ فيه النسخ ، وعدد الجلسات التي تمَّت فيها .

وكنت قد أشرت بالأمس إلى عدد كبير من هذه **الكولوفونات** ، واذكر الآن أن الفهرس الجديد للمكتبة الوطنية في باريس ؛ وبخاصة الجزء الخامس الذي حرر منذ سنتين في موضوع التاريخ ، قد ذكر جميع **الكولوفونات** الواردة في المخطوطات المفهرسة فيه .

أما في ما يتعلق ببحث د. فتحي عبد الهادي فأظن أن التصنيف المعمول به في المخطوطات العربية يرجع إلى فهرس آلوارد الألماني ذي العشرة أجزاء ، وآلوارد هو أول مَنْ وضع تصوراً لتصنيف المخطوطات العربية ؛ وبناء عليه قام بروكلمان بإنجاز كتابه « تاريخ الأدب العربي » ، لأن آلوارد كان يريد وضع تصور للأدب من خلال مخطوطات برلين . وعندما جاء بروكلمان أخذ منه الفكرة ووسَّع نطاق البحث وأضاف إليه المخطوطات التي أتيحت له في العالم في ذلك الوقت . والتصنيف الذي وضعه آلوارد مقبول من أغلب المشتغلين بالمخطوطات ، ولو أنه قد يحتاج بعض التعديل .

فهرس المكتبة الأزهرية مبني على أساس فهرس دار الكتب ، وما يقال على الفهرس الأخير يقال على فهرس مكتبة الأزهر ، لأنه في الخمسينات من هذا القرن عندما تمَّ التفكير بفهرسة مكتبة الأزهر ، تمَّ الاستعانة بمفهرسي دار الكتب المصرية ، وهؤلاء هم مَنْ نقل للأزهر فكرة الجمع بين المطبوعات والمخطوطات في مكان واحد بنفس التصنيف الذي وضعته دار الكتب في إخراج فهارسها .

من الأمور التي تحتاج إلى تحديد « تصنيف المجاميع » ، هل توضع تحت مجاميع بمفردها أو حسب العنوان الأول من المجموع ؟

في ما يتعلق بالتساؤل الذي أثاره د. الطاهر مكي حول أنه لم يشر أحد من الحضور إلى كيفية فهرسة القدماء للمكتبات . الحقيقة أن لدينا سجلاً لجامع القرويين نشره جامع القيروان صنعة إبراهيم شبّوح في مجلة معهد المخطوطات وهو سجل لمحتويات مكتبة جامع القيروان في نهاية القرن السابع . ولدينا فهرس آخر اكتشفه رمضان ششن ولم ينشر بعد ، وكذلك فهرسة القبة الأشرفية الموجودة في دمشق .

وسبق لي أن أشرت إلى ثلاثة كتب كانت في خزانة الفاطميين عليها بخط مفهرس واحد الطريقة التي كان يفهرس بها الكتّاب : تكتب كلمة فهرس على يمين

الصفحة . وفي وسطها : في قوائم الأدب أو في المفردات أو في النواقص . لقد وصلتنا من خزانة الفاطميين ثلاثة كتب ، أحدها جزء من كتاب « الأغاني » المجلد العاشر، كتب في القرن الرابع وكتب عليه فهرسة النواقص ، وكتاب آخر في الأدب هو «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري ، وكتب عليه فهرسة الأدب . وكتاب آخر في النسب وهو نسب قريش وكتب عليه : فهرسة النسب . وأنا قدمت بحثًا إلى مجلة معهد المخطوطات عنوانه : خزانة كتب الفاطميين هل بقي منها شيء ؟ وأشرت إلى هذه النسخ التي وصلت إلينا من خزانة كتب الفاطميين .

كما أن المصادر نفسها تشير إلى طريقة تصنيف المكتبات . مثلاً ابن الفوطي (٧٢٣هـ) يصنف مكتبة المدرسة المستنصرية في بغداد ويقول إنه رتبها أحسن ترتيب مفصلاً لفنونها ، ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها . وكيف نتصور مكتبة فيها مليون أو نصف مليون كتاب دون فهرس لهذه الكتب . بل هناك بالإضافة للفهرس الكراسات التي ذكرت في مكتبة الحكم ، فالمؤلفون مثل الحافظ ابن عساكر أو المقريزي وهو يكتب « المقفى الكبير » كيف رتب المادة الكبيرة لهذه الموسوعة وكيف يمكن أن يحيل من مكان إلى آخر دون أن يكون عنده قصاصات أو جذاذات مرتبة ترتيبًا ألف بائيًا وموجودة في صناديق يمكن أن يستخدمها ويرجع إليها حتى يسهل له الربط بين المعلومات .

■ د. أحمد شوقي بنبين :

أشكر الأساتذة الثلاثة ولدي بعض الجزئيات التقنية إن صح التعبير .

د. يوسف زيدان تحدث عن توثيق العنوان ، وكنت أتمنى لو أنه أجاب على : ماذا نصنع عندما يكون العنوان ممحوًا . هناك طريقة علمية حديثة تستخدم فيها الأشعة ، يسترجع بها أثر الحروف الممحوّة ، وبالتالي يمكن استرجاع هذه الحروف .

بالنسبة لبحث أ. عصام الشنطي عن أول المخطوطة وآخرها في الواقع ، يعد حاجي خليفة بالنسبة للتراث العربي أول مَنْ وضع هذه الأشياء ، وذكر أول المخطوط وآخره . ولكن قراءة في كتاب « تاريخ العلم » المترجم إلى اللغة العربية تفيد أن هذه الطريقة عرفت في القرن الثالث قبل الميلاد .

في ما يخص حاجي خليفة وأنه أول مفهرس حسب قول المنجد ، أقول إن كتابه « كشف الظنون » ليس فهرسًا بالمفهوم التقني الحالي ، بل هو كتاب ببليوغرافي ، ولا يمكن أن يقال علميًا إنه أول كتاب عالج الببليوغرافية الدولية العامة بثلاث لغات : العربية والتركية والفارسية . فقد صنع قبله هذا النوع من الببليوغرافيةالدولية العامة في أوربة عالم سويسري (**فينكا**) في القرن ١٦ ، ووضع ما يشبه المكتبة الدولية ، وتعرض لثلاث لغات : اليونانية واللاتينية والعبرية . وحاجي خليفة طبعًا هو أبو الببليوغرافيا الدولية العامة في التراث العربي في القرن ١٧ م .

بالنسبة للدكتور فتحي عبد الهادي ، لاشك أن مشكلة التصنيف كبيرة ، ولابد – كما قال – من وجود لجنة لمعالجة هذه المشكلة .

في ما يخص تعقيب د الطاهر مكي ، هناك أخبار تتبعناها في مختلف كتب التراث العربي سواء في المشرق أو المغرب منها أن المأمون نفسه كان يطلب وضع فهارس للكتب ، ولكن لا أحد يذكر ما هي الطرق التي استخدمت في ذلك .

■ د. محمود الطناحي :

أريد أن أصل حديث د. أيمن فؤاد سيد ، وما أقوله ذيل عليه ، فليستمع إلى ذيلي ، وأرجو أن ينتفع به . أثار د. أيمن نقطة مهمة ، وهي أن علماءنا كانوا يستعملون البطاقات ، وهذا لاشك فيه ، فالمعاجم العربية مادتها لابد أن تكون قد رتبت وفق بطاقات ، وكذلك معاجم البلدان فأبو عبيد البكري ياقوت الحموي ،

لابد أن يكون كلاهما قد استعمل البطاقات ، رغم أنهما لم يصرّحا بذلك . وقد اجتهدت كي أعثر على نص يؤكد أنهما وضعا مواد موسوعاتهم هذه في بطاقات فلم أجد . ولكن لا يمكن أن يُتصور عمل مثل عمل ياقوت بدون بطاقات .

■ د. أحمد مختار عمر :

أود أن أتساءل : لماذا لم يشر أحد من المتحدثين إلى كتاب إحصاء العلوم ، وهو من الكتب المبكرة التي فهرست الكتب العربية القديمة وصنفتها ؟

■ د. يوسف زيدان :

العملية التراثية لم تكن منظمة أو منهجية . هذه حقيقة يجب أن نعترف بها . نحن نعمل بالتراث فلابد من فهم الماضي والوعي به ، وهذا الفهم والوعي يستلزم دراسة ، والدراسة تستلزم نصوصًا منشورة نشرًا محققًا ، وهذا النشر المحقق يسبقه اختيار دقيق لما هو نص دال ، واختيار ما هو نص دال في التراث يقتضي وجود فهرس كامل لهذا التراث .

العملية التراثية مرتبة من هذه الخطوات المتراتبة المتراكبة ، وهذه الخطوات قد ارتبكت في ثقافتنا المعاصرة ، ولم يكن سيرها سيرًا منهجيًا ، فقد كان من المفترض منذ مطلع هذا القرن أن توضع الفهارس كاملة لكل المجاميع ، فتأتي الخطوة التالية وهي النشر ، ثم التحقيق والدراسة والفهم . ولكن ما حدث ، هو أننا في نهاية القرن العشرين وبعد صدور المئات من الكتب التراثية نكتشف أن المجاميع الخطية أغلبها - والتي تبلغ نحو ثلاثة ملايين مخطوط كما قيل - لم يفهرس ، ولم يتجاوز ما فهرس منها نحو مئة ألف .

انظر إلى النسبة وهذا التفاوت . ثم إن الأعمال « المضحكة » كثيرة ، فهناك أعمال نقول إنها فهارس ، وننظر فيها فنجدها أشياء أخرى ! . نحن لسنا بصدد نقد

أصحاب هذه الأعمال، لأنه لكل مجتهد نصيب . ويمكن أن يكون ذلك هو قدر الاجتهاد .

وللحق فإن معهد المخطوطات يدقق كثيراً في فهارسه . وما زلت أذكر أن المعاناة التي عانيتها في طباعة خمسة فهارس لدى المعهد . وللحق فإن د. فيصل الحفيان يقوم بمجهودات دءوبة في هذا الصدد .

بالنسبة لحديث د. بنبين عن محو العنوان وأشعة الليزر . نحن لا نملك هذه الإمكانات ، إلا أننا ننظر في مضمون المخطوط المنزوع عنوانه . والمشتغلون بالتراث والمخطوطات يحاولون - وأنا منهم - الاحتفاظ بأوائل المخطوطات ، فنتعرف على بعضها بشكل تلقائي ، وبعضها الآخر نقوم بتخزين بياناته ونجري مطابقة على كل كلمة . مثلاً الحمد لله الذي أوجد الأشياء من عدم ومن عدمه . وعدمه كلمة ليست متكررة كثيراً ، فأبحث عن « وعدمه » فتظهر لي في أي مكان آخر ، طالما أن كل البطاقات ، سواء التي عملتها في مجلس الوزراء أو التي وضعت في معهد المخطوطات أو التي وضعناها في مكتبة الإسكندرية ، مجمعة على أسطوانات واحدة ، وبالتالي نستطيع أن نرى كلمة « وعدمه » ونستطيع أن نطابق الكلمة الناقصة ، وننجح في أحيان كثيرة .

في ما يتعلق بالتصنيف نذكر حنين بن إسحاق بوصفه أول من حاول فهرسة مجموعة مؤلفات وذلك في رسالته في ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وما لم يترجم منها ، وتمت بطلب المأمون أو أحد الأمراء . في الواقع ، يمكن القول إن عملية التصنيف قديمة جداً ، ولدينا نحو ١٠-١٢ كتاباً في تصنيف العلوم الإسلامية، في الغالب نرجع ، أو رجعنا إليها . هذا وأرجو الانتباه إلى أنه حين يعكف عالم على كتاب كالأغاني فيضع عنه شيئاً ، فهذا الشيء هو كشاف وليس فهرساً .

■ أ. عصام الشنطي :

حديثي موجه للدكتور أحمد شوقي بنبين ، وهو ليس ردًا وإنما هو شكر على هذه الملاحظات التي أبداها ، وهي ملاحظات مفيدة . أما ردي فهو على د. أيمن فؤاد سيد ، وأقول له : أنا لم أذكر ما يتعلق بالناسخ أو بالسماعات لأنه خارج عن الكلام في آخر المخطوطة . آخر المخطوطة هو النص ، وكلام المؤلف ينتهي به . أما ما بعد ذلك فله موضعه .

■ د. فتحي عبد الهادي :

بالنسبة لما ذكره د. أيمن عن تصنيف آلوارد ، وأن بروكلمان أخذ عنه ، أقول : لقد أتيحت لي فرصة الاطلاع على كتاب بروكلمان ولكني لم أجد فيه ما يمكن أن يفيد التصنيف بالمعنى الدقيق . في كتاب بروكلمان معلومات كثيرة عن حياة أشخاص ، وعن موضوعات ، وعن كتب ، فهو ليس تصنيفًا للكتب بقدر ما هو تاريخ للإنتاج الفكري العربي أو للتراث العربي ، ولذلك لم أعتمد على ما جاء فيه رغم اعترافي بأنه من الكتب الأساسية في التاريخ للتراث العربي الإسلامي .

أما عن تصنيف المجاميع ، فهو في الحقيقة يعد مشكلة كبيرة . وإذا كانت المخطوطات في موضوعات معينة تتكرر نسخها أحيانًا ، فالمجاميع ليس من السهل تكرار نسخها . وأنا أعتقد أن من الأفضل أن توضع المجاميع في قسم خاص بها ، على أن يحلل هذا المجموع حسب موضوعاته ، وتعد بطاقة لكل موضوع جاء في المخطوط في فهرس منشور . أما مكانها على الرف فلا سبيل إلا وضعها في مجموعة متميزة خاصة بالمجاميع .

وقد تبدو المسألة هينة إذا اعتبرنا في المجاميع الموضوع الغالب . ولكن ماذا بشأن المجاميع التي تناولت الفكاهة والشعر والنثر والفلك وموضوعات متنوعة ؟ هذه مشكلة . وقد يكون حلها بتخصيص الموضوعات في الفهرس ، بحيث يوضع المجموع تحت كل موضوع من موضوعاته في بطاقة خاصة في الفهرس .

أود القول إن ما أردته من هذه الورقة هو إثارة الاهتمام ، بموضوع لا يحظى بالاهتمام ، في حين إنه موضوع مهم ، ويجب أن نأخذه بعين الاعتبار . المسألة ليست فهرسة بيانات وصفية للمخطوط ، بل المسألة ماذا عن المحتوى الموضوعي للمخطوطات ؟

لدي نية أن أرجع للنصوص القديمة بشأن تصنيف المكتبات التي أشار إليها د. الطاهر مكي لعلّي أجد شيئًا يمكن الاعتماد عليه في هذا الموضوع ، لأني وجدت مشكلات عديدة ، أهمها أنه لا توجد مصادر يمكن الاعتماد عليها ومعظم الكتابة فيه تعتمد على الخبرات الشخصية .

وبودي أن أقول للدكتور أحمد شوقي بنبين إن حاجي خليفة ليس أبا الببليوغرافيين العرب . نحن كمكتبيين نعتبر النديم رائد الببلوغرافيا العربية ، لأن كتابه عبارة عن ببليوغرافيا عامة ظهرت في أواخر القرن الرابع الهجري ؛ وهي أول عمل ببليوغرافي كبير ، وهذا العمل الكبير لا يمكن أن يأتي فجأة وإنما هناك فهارس أخرى كثيرة أعدت قبل هذا الفهرس . ثم إننا نتحدث عن الببليوغرافيا العربية لا العالمية ، وعندما نتحدث عن الببليوغرافيا العربية لا نشير إلى الأعمال الأجنبية ، فالأخيرة لها من يدافع عنها ، ونحن ندافع عن تراثنا العربي ، وعن أعلامنا العرب .

نقول ، ونحن نثق بذلك ، إن النديم هو أول من وضع ببليوغرافيا عامة يمكن الأخذ بها ، وسبق **طاش كبري زاده** الذي جاء بعده بقرون عديدة ، أما ما أضافه حاجي خليفة فهو أنه رتب الكتب ترتيبًا هجائيًا . إذن ، الترتيب الهجائي لعناوين الكتب لم يؤخذ به عند النديم ولا عند **طاش كبري زاده** .

هناك نقطة أثارها د. أحمد مختار عمر تتعلق بتصنيف العلوم العربية . وأقول : إن تصنيف العلوم العربية هو من الموضوعات التي حظيت بتآليف كثيرة

وإسهامات عربية وإسلامية جيدة للغاية ؛ وقد أسهم عدد من العلماء العرب والمسلمين المشهورين بإسهامات بهذا المجال : ومن هؤلاء : الفارابي والخوارزمي وابن حيان وابن سينا وابن خلدون . وكل هؤلاء لهم إسهامات في تصنيف المعارف والعلوم العربية . ولكن نريد أن نميز بين نوعين من التصنيف : تصنيف العلوم مجرداً من الكتب ، إنه موضوع من التخيل لتصنيف المعرفة البشرية كعلوم ، وهذا يدخل في باب الفلسفة أو الفكر أي أن يتصور أحد العلماء أن المعرفة البشرية يمكن أن تنقسم إلى كذا وكذا ، بغض النظر عن وجود كتب في هذه العلوم .

أما النوع الآخر من التصنيف والذي نُعنى به ونتحدث عنه فهو التصنيف الذي يُطبق على كتب موجودة ، وليس مجرد تصور أو تخيل للمعرفة البشرية .

* * *

الجلسة الرابعة

مســـائل أخـــرى

ثقافة المفهرس

د. محمود محمد الطناحي

أ. محمد إبراهيم الشيباني (رئيس الجلسة) :

يتحدث في هـذه الجلسـة الدكتور محمود الطناحي عن « ثقافة المفهرس » ، والدكتور عادل سليمان جمال عن « جهود المستشرقين في فهرسة المخطوطات ومناهجهم » . أما المعقبون فهم : د . عدنان درويش و أ . عصام الشنطي و د . محمود علي مكي .

ويشرفني أن أترأس هذه الجلسة وأنا صاحب البضاعة القليلة ، وهي جلسة فيها علماء وأساتذة قضوا في العلم سنين عديدة وأوقاتًا مديدة ، ولهم من المؤلفات التي نفعت المسلمين والغربيين وطلاب العلم في مشارق الأرض ومغاربها الكثير .

* * *

الفـهْرست ، بكسـر الفـاء وسكون الهـاء وكسـر الراء وسكون السين ، ثم تاء أصلية ، تكتب مبسوطة ومعقودة (فهرست - وفهرسة) وهي كلمة فارسية ، تدل عند الفرس على جملة العدد لمطلق الكتب ، ثم عرَّبتها العرب ، وجمعتها على فهارس ، وكلّ ما عرّبته العرب بألسنتها فهو من كلام العرب ، ثم اشتقت منها فعلاً واسم فاعل واسم مفعول ومصدراً ، فقالت : فهرس فلان الكتاب فهو مفهرِس ، والكتاب مفهرَس ، والعمل نفسه فهرسة .

وقد أصبح الفهرست أو الفهرس يدلُّ على أربعة معان :

١ - كتاب يضم أسماء الكتب والتقاييد والرسائل المقروءة ، مثل : الفهرست لابن النديم (ت ٤٣٨هـ) .

٢ - كتاب يحتوي أسماء المشايخ المستفاد منهم ، والمتلقَّى عنهم ، وأسماء الكتب التي سُمعت عليهم مثل : فهرست ما رواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) .

٣ - قائمة في أول الكتاب أو في آخره ، تتضمن ذكر أبواب الكتاب وفصوله ومباحثه وأعلامه واستشهاداته ، وكل ما يكشف عن كنوزه ، ويعين على الإفادة منـه .

٤ - بطاقة تتضمن عنوان الكتاب وموضوعه واسم مؤلفه وعدد صفحاته ومكان وزمان الطبع إن كان الكتاب مطبوعاً ، واسم المكتبة ثم إضافات أخرى خاصة في توصيف الكتاب إن كان مخطوطاً . وهذان المعنيان الأخيران هما الشائعان المعروفان في أيامنا للفهرسة .

* * *

ولم يعد خافياً الآن الفرق بين فهرسة الكتاب المطبوع وفهرسة الكتاب المخطوط ، ففهرسة الكتاب المطبوع تخضع لمواصفات وضوابط قياسية معينة ثابتة ، وكأنها القوالب لا تتغير من كتاب إلى كتاب ، مثل : عنوان الكتاب ، وموضوعه ، واسم مؤلفه، وعدد صفحاته ، ومكان وزمان الطبع . والهدف الأساسي لفهرسة الكتاب المطبوع : وصف النسخة التي بين يدي المفهرس بوضوح يؤدِّي إلى جعل أي فرد آخر لديه نسخة أخرى من الطبعة نفسها يقرر بما لا يدع مجالاً للشك أنها هي نفسها[١] .

ولا يحتاج مفهرس الكتاب المطبوع إلى أكثر من خمس عشرة دقيقة للفراغ من فهرسة الكتاب الذي بين يديه ، وبخاصة أن لجاناً كثيرة قد هيأت لذلك المفهرس أدواته لفهرسة ذلك الكتاب المطبوع ، بما وضعت له من قواعد وبيانات (وخانات) ما عليه إلا أن يملأها .

(١) فهرست المخطوطات العربية ، ص ٢٢ ، عابد سليمان المشوخي . مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

أما فهرسة الكتاب المخطوط ، فشيء آخر تماماً ، إنها ميدان رحبٌ واسع - وقد تستغرق فهرسة كتاب واحد مخطوط يوماً أو بعض يوم - ومع أن هيئات كثيرة بمعاونة أفراد أهل اختصاص وخبرة قد أعدُّوا للمفهرس أدواته ، وهيأوا له أسباب الفهرسة وموادَّها وحدودها ، فلا يزال الأمر في فهرسة الكتاب المخطوط أخطر من تحرير بطاقة تتضمن ذكر عنوان المخطوط ، واسم مؤلفه ، ثم إثبات شيء من أوله وآخره ، وسرد الأوصاف المادية للمخطوط ، من حيثُ عددُ أوراقه وسطوره ومقاسه ، وذكر تاريخ النسخ ، ونقل ما على المخطوط من إجازات أو سماعات أو تملكات ، وما قد يكون على حواشيها من مقابلات ومعارضات وتصحيحات ونحو هذه الأشياء التي اصطلح المفهرسون على إثباتها . . إن الأمر أجلّ من ذلك كله وأخطر .

وينبغي أن يكون واضحاً أننا حين نتحدث عن « مفهرس المخطوطات » فإننا لا نعني به فقط ذلك المفهرس الذي تقدّم له مجموعة من المخطوطات الورقية ، أو المصوَّرات الميكروفلمية ، ليضع لها بطاقات على الحدِّ الذي رسمه له علماء فن الفهرسة ، ولكننا نضع أمام أعيننا ذلك المفهرس الذي يُدْفَع به إلى خزانة من خزائن المخطوطات ، ثم يراد منه أن يحسن النظر ثم يحسنَ الاختيار والانتقاء والتقييم[1] .

ولذلك نقول : لابدَّ لمفهرس المخطوطات من ثقافة واسعة ، وإدراك واسع بتاريخ الكتاب العربي ، وبداية التدوين ، ثم معرفة عامة - ولا أقول تامة - بمسار

---

(١) وذلك في حالة ما إذا كان أمام المفهرس وقت ضيّق محدَّد لاختيار بعض المخطوطات لتصويرها كما كان الأمر في بعثات معهد المخطوطات التي كانت تخرج من القاهرة إلى أماكن المخطوطات في العالم، فهناك لابدّ من تحكيم معايير الانتقاء ، وتقديم بعض المخطوطات على بعض . وسيأتي الحديث عن بعض هذه المعايير .

التأليف من زمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) إلى زمن الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، وستتضمن هذه المعرفة الوقوف على طرائق المصنفين ومناهجهم ، والإلمام بمصطلحات العلوم والفنون ، وإدراك العلائق بين الكتب والمؤلفين : تأثراً أو نقداً أو شرحاً أو اختصاراً أو تذييلا ، ثم من وراء ذلك كله معرفة تاريخ الكتاب المطبوع ومراحل نشر التراث وسماتها . وواضح ، إن شاء الله ، أن عُدَّة المفهرس هي عدّة المحقق ، وأن ثقافة أحدهما هي ثقافة الآخر ، وليس في ذلك إعنات أو مشقة ، فهذا هو الحدّ الذي لا ينبغي تجاوزه ، إذا أريد للمخطوط العربي أن يُفهرس على نحو جادٍّ لا هزل فيه .

أما كيف يحصِّل مفهرس المخطوطات هذه المعارف ، وكيف يُعَدُّ ذلك الإعداد، فهذا هو موضوع الحديث ومجال الكلام .

* * *

العلم توجُّه ورغبة وإرادة ، وإذا كان الحبُّ شرطاً في ممارسة أي عمل والنجاح فيه ، فإن هذا الحبَّ ألزم ما يكون للمشتغل بعلم المخطوطات ؛ فهرسةً أو نسخاً أو تحقيقاً ، وهو الحب الطاغي الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويستولي على أقطار النفس ، بل هو العشق الذي يذْهَل فيه المرء عن نفسه ، ينسى به حظه من الراحة والدَّعة ، وطريق المخطوطات شاقٌّ عَسِرٌ ، والسالك فيه لابدَّ أن يروض نفسه على الصبر والمجاهدة ، على ما قال علي بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - : من أحبَّنا أهل البيت فليعدّ للفقر جلبابا[1] .

وإذا كنت قد انتهيت إلى أن عدّة المفهرس هي عدة المحقق ، فما قاله شيخنا عبد السلام هارون - بردَّ الله مضجعه - عن التحقيق يقال أيضاً عن

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ١٨/ ٢٧٥ ، والنهاية لابن الأثير ١/ ٢٨٣ .

الفهرسة ، قال - رحمه الله : « التحقيق نتاج خُلقي لا يقوى عليه إلا من وُهِب خلَّتين شديدتين : الأمانة والصبر ، وهما ما هما ! »[1] .

* * *

فأول ما يجب على المفهرس معرفته والاهتمام به : اللغة ، وواضح أن المراد باللغة هنا ليست هي اللغة التي يتخاطب بها الناس ويقضون بها حوائجهم ، أو ينشئون بها مكاتباتهم ، بل المراد تلك اللغة العالية التي كانت تكتب بها عنوانات الكتب ، ثم مادة الكتاب المخطوط ، ويُحتاج لمثل هذه اللغة لتحرير عنوان المخطوط ، ثم لإثبات شيء من أوله وشيء من آخره ، على وجه الصحة والصواب .

وأنبه هنا إلى أن بعض العنوانات يقع فيها التصحيف والتحريف ، ومن ذلك كتاب : « السَّبْق والنِّضال » ، تتصحَّف إلى : « السيف والنصال » ، وكتاب « نحو القلوب » ، للقشيري بالحاء المهملة ، يصحفه بعضهم أحياناً إلى : «نجو القُلوب» ، بالجيم ، وكأنه توهمه من المناجاة ، وكتاب « معجم السَّفَر » للحافظ السِّلَفي ، يأتي في بعض فهارس المكتبات : « معجم الشِّعر » ، وكتاب « الشَّاء » ، يتصحف إلى : « النِّساء » ، وكتاب «السلّ والسرقة » للأسود الغندجاني[2] ، يتصحّف إلى : « الشكّ » ، وكتاب « الخيل » ، له أيضاً ، يتصحف إلى : « الخليل » . وكتاب « تحريم العينة » بالعين المهملة المكسورة ، بعدها ياء مثناة من تحت ثم نون ، يأتي

(١) تحقيق النصوص ونشرها ، ص ٤٤ ، عبد السلام هارون . مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م .

(٢) مقدمة تحقيق كتاب « فُرْحة الأديب » ، للغندجاني . تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني . دار قتيبة ، دمشق ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

مصحفاً إلى « الغيبة » بالغين المعجمة ، والباء الموحدة التي هي قرينة النميمة . والعِينة : نوع من أنواع البيوع وهي أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به[1] .

وهذا المثال الأخير من تصحيف العنوان يقودنا إلى أمر هام في ثقافة المفهرس ، وهو : معرفة مصطلحات العلوم ، فلكل علم مصطلحات تدور فيه وتدلّ عليه ، ومعرفة هذه المصطلحات ضرورية للمفهرس ، وتظهر ثمرة هذه المعرفة في فهرسة تلك الكتب المنزوعة الأغلفة ، أو التي فقدت أوراقاً من أوائلها أو أواخرها ، فلا يعرف عنوانها أو مؤلفها ، فيكون على المفهرس أن يعرف الفنّ أو الموضوع الذي تدور في فلكه هذه الكتب ، فيكون حسْبُه وغاية جهده أن يقول : كتاب[2] في علم كذا .

وقد يكون في هذه المخطوطات المعمَّاة أشياءُ ذات أهمية قصوى ، ومن تجاربي في هذا الميدان : أني رأيت مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط - حرسها الله - مجهولة العنوان واسم المؤلف ، فقرأت شيئاً منها ، ثم قلت في بطاقتي : كتاب في الشعر والبلاغة ، لعله « العمدة » لابن رشيق ، وحين عدت إلى القاهرة فحصت عن أمره ، فإذا هو هو ، أوفإذا هو إياه .

وفي مكتبة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر بالمبرَّز - الأحساء - بالمملكة العربية السعودية ، وجدت كتاباً في إعراب القرآن الكريم لمجهول ، فلم تصرفني جهالة مؤلفه عن اختياره وتصويره ، وبخاصة أن نسخته كانت بقلم نسخي مضبوط

---

(١) انظر النهاية ٣/ ٣٣٣ ، والمصباح المنير (ع ي ن) ، وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢٧ ، ٨١ .
(٢) إذا كان هذا الموجود كبيراً قال المفهرس : كتاب في كذا ، وإذا كان صغيراً قال : رسالة في كذا، أو تصنيف أو تأليف في كذا .

جيد ، سنة (٦٢٦هـ). وحين عدت إلى القاهرة ظهر أنه « مشكل إعراب القرآن » لمكي بن أبي طالب[1].

وفي مكتبة جامع المظفر بتعز باليمن ، استنقذتْ بعثة معهد المخطوطات من قَبْو بأسفل مئذنته مجموعة من أنفس المخطوطات ضَرَب عليها الزمان بجرانه ، فغفل عنها الناس ، وقد وجدت في هذه المجموعة كتاباً في النحو مجهول المؤلف ، فدفعت به جذلان إلى مصوِّر البعثة ، وقلت في وصفه يومئذ : « كتاب في النحو ، مجهول المؤلف والعنوان، ولعله أحد شروح الجمل للزجَّاجي . نسخة بقلم نسخي جيد ، من خطوط القرن الثامن تقديراً - ٢٤٨ ورقة ». وحين عدت إلى القاهرة عكفت عليه فإذا هو : «شرح جمل الزجاجي لابن عصفور » وهو الشرح الكبير .

على أن هذه المخطوطات المجهولة العنوان والمؤلف ينبغي أن تغري المفهرس ببذل شيء من الجهد لمحاولة معرفة اسم الكتاب أو اسم المؤلف ، أو تقريب زمنه . وقد اجتهد بعض أهل العلم في شيء من ذلك وأصابوا نجاحاً وأحرزوا أجراً . وأذكر أنه قد وقع في يدي في أثناء عملي بالخزانة العامة بالرباط مخطوط مجهول العنوان واسم المؤلف ، فنظرت فيه فإذا هو يدور في علم الكلام ، فقلبت صفحاته ، ثم كتبت في البطاقة : « كتاب في علم الكلام لمؤلف مجهول ، ولكنه من رجال القرن الخامس ؛ لأنه يحدِّث عن أبي الوليد الباجي ، كما جاء في صفحتي ٤٤٠ ، ٤٧١ ، وأبو الوليد الباجي توفي سنة (٥٤٠هـ) . وهذا ما سمح به الوقت يومئذ ، ولو اتسع المجال لمددت في البحث يداً ، فنظرت في تلاميذ الباجي ومصنفاتهم .

---

(١) وقد أدرك هذه النسخة في أثناء طبع الكتاب محققه الأستاذ ياسين السوَّاس ، فقال في مقدمة الطبعة التي أخرجها مجمع اللغة العربية بدمشق : « وهي من النسخ الجيدة ، وبينها وبين نسخة الظاهرية تشابه كبير ، ولكنه تمتاز عنها بجودة ضبطها وصحة عباراتها ونُدرة أخطائها ».

ومما ينبغي التنبّه له والتنبيه عليه أن عدم معرفة اللغة – وبخاصة الغريب منها – وكذلك عدم معرفة المادة العلمية في المخطوط ، يوقعان في تخليط شديد ، ووضع الكتب في غير فنونها ، ومن ذلك ، وهو كثير :

١ – كتاب إصلاح المنطق ، لابن السكِّيت ، يضعه بعضهم في علم المنطق ، وإنما هو في صميم اللغة ، فإن « المنطق » هنا هو النطق ، أي الكلام المنطوق ، وهو مستعمل كثيراً في كلام الأوائل ، يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى عن قولهم « أكلوني البراغيث » ، يقول : « سمعتها من أبي عمرو الهذلي ، في منطقه »[1] .

٢ – كتاب المُرْدفات من قريش ، لأبي الحسن المدائني . وموضوع الكتاب : النساء القرشيات اللاتي أرْدَفْنَ زوجاً بعد زوج ، أي تزوَّجْن واحداً بعد واحد ، ولم يكتفين بزوج واحد . فهذا وجه عنوان الكتاب ، ولكني سمعت أستاذاً جامعيًا كبيراً يفسّره على معنى النساء ذوات الأرداف ، أي الأعجاز ، ويقول ذلك في معرض التمدّح بأن المؤلفين العرب طرقوا موضوعات في الحضارة[2] .

٣ – المثلثات لقُطْرب . موضوعه الألفاظ التي تُضبط أوائل حروفها بالحركات

---

(١) مجاز القرآن ١/ ١١٠١١ .

(٢) نشر شيخنا عبد السلام هارون هذه الرسالة ضمن « نوادر المخطوطات » ١/ ٥٨ ، وقد ذكر في المقدمة أنه نشرها عن نسخة وحيدة بالمكتبة التيمورية ، وكان عنوانها : « رسالة المتزوجات من قريش » ولكنه شكك في هذا العنوان ، وأثبت كلمة « المردفات » مما وجده من كتب مناكح الأشراف وأخبار النساء ، وقد رأى أن هذه الكلمة هي التي تنطبق على موضوع الكتاب أتم الانطباق .

هكذا ذكر في مقدمة الرسالة ، ولكنه أخبرني مشافهة بعد ذلك أن كلمة « المتزوجات » هي الصواب ؛ لأن معنى « المتزوجة » الكثيرة الزواج ، وأن هذا قد ورد في كلام للجاحظ . انتهى كلامه لي – رحمه الله – ولكنه لم يدلني على موضع هذا الكلام في كتبِ الجاحظ ، ولكني وجدته في رسائل الجاحظ ٢/ ١٢٩ ، قال : «كانت عائشة بنت طلحة من المتزوِّجات» وعائشة هذه مذكورة في رسالة «المردفات» ص ٧٠ .

الثلاث باتفاق المعنى ، مثل « الرغوة » ، أو باختلافه مثل « الجد » فهو في اللغة ، ولكن بعضهم اعتبره في علم الحساب والهندسة .

٤ - المعجم الكبير للطبراني ، من دواوين السُّنَّة ومصادرها الأصيلة ، وقد رأيته في بعض كشافات مجلة « عالم الكتاب » في علم اللغة ، وذلك لوجود كلمة « معجم » .

٥ - التعريف بالمصطلح الشريف ، لابن فضل الله العمري . والمراد بالمصطلح هنا : مصطلح الكتابة الديوانية ، والقوانين التي تراعى في المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء ، وبعضهم يضعه في فهرس الحديث النبوي ، لوجود كلمة «المصطلح» وهو علم الحديث (دراية) وهو العلم الذي يُعرف به حال الراوي والمروي ، من حيث القبول والردّ ، وما يتبع ذلك من كيفية التحمّل والأداء والضبط .

٦ - تفسير التصريف للمازني ، وضعه بعض المفهرسين في فهرس علم تفسير القرآن الكريم . والتفسير في عنوان هذا الكتاب يراد به المعنى اللغوي، وهو الشرح، وهو كتاب : المنصف في شرح تصريف المازني ، لأبي الفتح بن جني ، وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء .

* * *

ومعرفة مصطلحات العلوم التي نُلزم بها مفهرس المخطوطات ، ونَعُدّها من ثقافته ، تقودنا أيضاً إلى ذلك المدى الرحب الواسع الذي ينبغي على المفهرس أن يستشرفه ثم يغوص فيه إلى أطراف أذنيه ، كما يقول الناس ، أعني عالم المخطوط العربي : ماضيه وحاضره ومستقبله .

ولما كان هذا البحث قائماً على الوَجازة والاختصار ، ولما كنت أتغيّا به غايةً

تعليمية ، فواجبٌ عليَّ أن أكبح جماح القلم ؛ لأخلص إلى قضايا من علم الفهرسة، ترسم الطريق، وتوضّح معالمه وصُواه :

والقضية الأولى هنا التي ينبغي أن يشتغل بها المفهرس ، هي أن يعرف قصة المخطوط العربي من بدايتها ، أعني : متى بدأت الكتابة - وأعني كتابة المخطوط العربي ، ولست أريد تاريخ الكتابة العربية بوجه عام فهذه قضية أخرى ، وإن كان يجب الإلمام بها .

فعلى المفهرس أن يعرف تاريخ التدوين ، ومتى انحسرت الرواية الشفوية ، وأخذ الناس يقيدون معارفهم وعلومهم على الورق ، واختصاراً من منتصف القرن الثاني الهجري[1] . وماذا أبقت لنا الأيام من مخطوطات ذلك الزمان ، وما أبقته من مخطوطات القرون التالية ، وفي هذا الصدد يتحدث أهل الخبرة عن المخطوطات الأولى في تلك الأيام، فيذكرون :

الرسالة للإمام الشافعي ، مخطوطة قبل سنة (٢٠٤هـ) ، وعليها خط الربيع ابن سليمان تلميذ الشافعي سنة (٢٦٥هـ) .

تاريخ العرب الأولية ، المنسوب للأصمعي . نسخة بخط عالم اللغة ابن السكّيت سنة (٢٤٣هـ) أي قبل وفاته بعام .

غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام سنة (٢٥٢هـ) .

مسائل أحمد بن حنبل ، سنة (٢٦٦هـ) .

كتاب السِّير لأبي إسحاق الفَزاري ، سنة (٢٧٠هـ) .

---

(١) كتب في ذلك كثير من أهل العلم قديماً وحديثاً . انظر مثلاً : مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد ، وتاريخ التراث العربي لمحمد فؤاد سزجين ، ثم انظر ما حكاه السيوطي عن الذهبي ، في تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ (خلافة أبي جعفر المنصور) ، والمخطوط العربي للدكتور عبد الستار الحلوجي .

كتاب المأثور فيما اتفق لفظه واختلف معناه ، لأبي العميثل سنة (٢٨٠هـ) .

المدخل في أحكام النجوم ، لأبي معشر البلخي ، سنة (٣٢٧هـ)[١] .

ولمعرفة مخطوطات هذه الحقبة من تاريخ المخطوط العربي ، يقرأ المفهرس هذه الكتب :

١ - نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها ، لأحمد تيمور .

٢ - أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم ، لكوركيس عواد .

٣ - الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات . للدكتور أيمن فؤاد سيد ، وهو كتاب نافع جداً .

* * *

ثم تتابع قضايا المخطوطات التي يجب على المفهرس أن يحيط بها ويتدارسها ، ويجعلها مناط اهتمامه ، بل يجعلها شغله الشاغل .

ومن هذه القضايا : واقع المخطوط ، من حيث وجوده وعدم وجوده ، أو وجود قطعة منه أو جزء من أجزائه ، ثم من حيث كثرة نسخه في المكتبات وقلتها .

وبيان ذلك أن المخطوط قد يذكر في ترجمة الرجل من كتب التراجم ، أو في تلك الكتب التي ترصد حركة التأليف العربي ، مثل « الفهرست » لابن النديم ، و « كشف الظنون » للحاج خليفة ، وبعد ذلك قد نجده في مكتبة من المكتبات ، وقد لا نجده ، فيكون من المفقودات ، ومن ذلك مثلاً : تاريخ نيسابور للحاكم ، وتاريخ

---

(١) هذه المخطوطات على الولاء محفوظة بمكتبات دار الكتب المصرية ، ومكتبة هايدلبرج بألمانيا ، والمكتبة الأهلية بباريس ، ومكتبة ليدن بهولندا ، والمكتبة الظاهرية بدمشق ، وخزانة القرويين بفاس ، ومكتبة ولي الدين ، ومكتبة جاد الله ، كلاهما باستانبول .

مصر لابن يونس . ولا يكون الحكم بكونه مفقوداً قاطعاً باتّا ، فكم من كتب أظهرتها لنا الأيام ، وكنا نعدُّها من المفقودات ، والأمثلة من ذلك كثيرة ، من أقربها كتاب « الروضة الزاهرة في خطط القاهرة » لابن عبد الظاهر ، فقد كان يظن أن هذا الكتاب مفقود حتى نشر صديقنا الدكتور عبد الله يوسف الغنيم كتابه «المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني» وفي هذا الكتاب ذكر لمخطوطة الروضة الزاهرة التي جاء ضمن مجموعة أولها : كتاب إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى . وقد التقط صديقنا الدكتور أيمن فؤاد هذا الكتاب من كتاب الدكتور عبد الله الغنيم ، ونشره نشرة علمية جيدة .

ومن الأمثلة القريبة أيضاً : كتاب « البسيط » في النحو ، لابن العِلْج ، وهو كتاب يتردد في كتب النحاة المتأخرين ، من أمثال أبي حيان والسيوطي ، ولم تُعرف منه نسخة حتى ظفر الدكتور صالح بن حسين العايد بقطعة منه تقع في (١٨٤) ورقة محفوظة بمكتبة غوتا بألمانيا ، ولعل الذي صرف الناسَ عن هذه المخطوطة ما جاء على صفحة العنوان «كتاب البسيط في الطب» وكان اكتشاف الدكتور العايد لهذه النسخة سنة ١٤٠٩هـ .

وقد تظهر مخطوطة لعالم لا ذكر لها في ترجمته ، ولا في أي مرجع آخر ، ومن ذلك كتاب « المختار من شعر بشار » اختيار الخالديّيْن ، وشرح أبي الطاهر التُّجيبي ، وقد نشره السيد محمد بدر الدين العلوي ، وقال العلامة عبد العزيز الميمني في تقديمه : « وهذا الاختيار من شعر بشار لم يذكره أحد ممن ترجم لهما ، ولا أحال عليه أحد من متأخري المؤلفين » .

ومن ذلك : « التحفة الوفية بمعاني حروف العربية » ، لأبي إسحاق الصَّفاقُسي ، منه مخطوطة وحيدة بمكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية . نشره الدكتور صالح العايد ، ولم يشر إلى هذا الكتاب أحد ممن ترجم للصفاقسي .

ومن ذلك شرح لامية العرب للشنفرى ، تأليف ابن الشجري النحوي ، لم يذكره أحدٌ من الذين ترجموا لابن الشجري قديماً وحديثاً . لكن العلامة البغدادي ذكره في الخزانة ٣/ ٣٤١ ، وذكر أنه لم يره . وقد وقفتُ على نقل عنه في كتاب الإكسير في علم التفسير ، لنجم الدين الطوفي الحنبلي ، في الصفحة ٤٨ منه .

ومن الكتب الشهيرة جدًا التي لم يذكرها المترجمون ، أو الكتب الببليوجرافية : فهرست ابن النديم وكشف الظنون : كتاب « ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري ، مما جعل أستاذنا الدكتور بدوي طبانه يرجح أن هذا الكتاب هو الذي يذكره مترجمو أبي هلال باسم « معاني الأدب » .

قلت : لئن سكتت كتب التراجم والببليوجرافيا عن ذكر هذا الاسم « ديوان المعاني » ، فقد جاء التصريح به في مفتتح أبواب الكتاب الاثني عشر ، وليس هذا من صنيع الناشر حسام القدسي - رحمه الله ، لأنك تراه في صورة صفحة من نسخة المتحف البريطاني المخطوطة التي أثبتها الناشر في ص (٣٦٨) في نهاية الجزء الأول ، وأصرح من هذا وأدعى إلى الطمأنينة في اسم الكتاب أن البغدادي ذكر هذا الاسم « ديوان المعاني » في أربعة مواضع من الخزانة[1] ، وقال في الموضع الثالث منها : « وله عندي كتاب الفروق في اللغة ، وكتاب ديوان المعاني ، وهما دالان على غزارة علمه » .

وقد يوجد من الكتاب قطعة أو جزء أو بعض أجزاء ، وهذا كثير جداً ، وأمثلته كثيرة أكتفي منها ببعضها :

كتاب التعازي والمراثي ، لأبي الحسن المدائني ، وجد منه قطعة في جزأين

(١) الخزانة ١/ ٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ١٠/ ٣٥١ ، وانظر مقالة لي حول هذا الموضوع في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول من المجلد السادس والستين ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

صغيرين من الأجزاء الحديثية[1] . وقد نشره ببغداد ابتسام مرهون الصفار وبدوي محمد فهد .

ومن ذلك ما نشره المستشرق ج. هيوارث دن ، مما وجده من كتاب أبي بكر الصولي «الأوراق» وقد نشر ثلاث قطع منه تتضمن أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، وأشعار أولاد الخلفاء[2] .

ومنه كتاب « النبات » لأبي حنيفة الدينوري الموجود منه : الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس ، ثم قطعة من الجزء الخامس[3] .

و « تهذيب الآثار » لأبي جعفر الطبري . الموجود منه ثلاثة أسفار : سفرٌ فيه قسم من « مسند عمر الخطاب » ، وسفر فيه الجزء الآخر من « مسند علي بن أبي طالب » ، وسفر فيه قسم من « مسند عبد الله بن عباس » رضي الله عنهم[4] .

ومنه كتاب « الاختيارين » للأخفش الصغير علي بن سليمان ، الموجود منه الجزء الثاني فقط[5] .

ومنه كتاب « الحلبيات » لأبي علي الفارسي ، الموجود منها قطعة[6] .

(١) الأجزاء الحديثية : مصطلح يراد به الأجزاء الصغيرة .

(٢) مطبعة الصاوي بمصر ١٩٣٤ - ١٩٣٦م .

(٣) القطعة الأخيرة نشرها المستشرق ب. لوين . مطبعة بريل بليدن ١٩٥٣ ، والقطع السابقة نشرها في مجلد واحد المستشرق برنهارد لڤين . النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية . مطابع دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

(٤) نشرها شيخنا محمود محمد شاكر - رحمه الله - بمطبعة المدني بمصر ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

(٥) نشره أولاً الدكتور السيد معظم حسين ، جامعة دكة ، بنجالة ، دهلي ، الهند ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٨م . ثم نشره الدكتور فخر الدين قباوة بمجمع اللغة بدمشق ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

(٦) نشره الدكتور حسن هنداوي باسم : المسائل الحلبيات ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

ومنه « معجم الشعراء » للمرزباني ، لا يوجد منه إلا الجزء الثاني فقط ، ويبدأ في أثناء حرف العين (ذكر من اسمه عمرو)(١) .

ومنه « تاريخ إربل » ، لابن المستوفي ، وجد منه جزء(٢) .

ومنه « المحمدون من الشعراء » للوزير القفطي ، وما وجد منه يقف عند حرف السين « محمد بن سعيد » . ومن الطريف أن هذا الكتاب لم يذكره المتقدمون الذين ترجموا للقفطي ، وإنما ذكره المتأخرون ، مثل جرجي زيدان وبروكلمان والزركلي(٣) .

ومن ذلك كتاب « المُقَفَّى الكبير » لتقي الدين المقريزي ، والذي وُجد منه وصل إلينا مبتور الأول والآخر ، يقول محققه الأستاذ محمد اليعلاوي : « والمقفى وصل إلينا ناقصاً مبتوراً ، في خمسة أجزاء تتضمن بعض حروف المعجم دون البعض »(٤) .

ومن أشهر الكتب التي طبعت وبها نقص : معجم الأدباء ، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموي ، ففي ما طبع منه نقصٌ ظاهر ، وبخاصة في

---

(١) نشره أولاً المستشرق كرنكو ، بمطبعة القدسي بمصر ١٣٥٤هـ ، ١٩٣٥م . وقد رأيته منسوخاً بخط المستشرق كرنكو ، بمكتبة معهد الدراسات الشرقية بلندن ، في صيف عام ١٩٩٤م ورأيت على صفحة العنوان : « استفاد من هذا المعجم الجليل داعياً لصاحبه وناسخه الأستاذ سالم الكرنكوي - وهو كرنكو - بطول البقاء ، ومحبّراً له حلل الثناء ، العاجز عبد العزيز الميمني فيما كتبه على اللآلي . وكتبه بخطه غرة رمضان سنة ١٣٥١هـ ، ديسمبر ١٩٣٢م ، ثم أعاد نشره عبد الستار فراج بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م .

(٢) نشره سامي الصقّار ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٠م .

(٣) انظر نشرة رياض عبد الحميد مراد بمجمع اللغة بدمشق ، ١٩٣٥هـ ، ١٩٧٥م .

(٤) طبع في ثمانية أجزاء بدار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

تراجم العين ، وقد كتب الأستاذ مصطفى جواد سلسلة مقالات بعنوان « الضائع من معجم الأدباء» ثم جمعت بعد وفاته في كتاب[1] .

ومن ذلك « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، ففي أثناء المطبوع منه نقص واضطراب ، وقد رأيت وصورت منه أربعة أجزاء نفيسة ، على بعضها سماعات ، أقدمها سنة (٥٠٣هـ) أي بعد وفاة المؤلف بأربعين عاماً وهذه الأجزاء الأربعة من مقتنيات المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام[2] .

* * *

أما حديث كثرة مخطوطات الكتاب وقلتها ، فهو حديث طريف وعجيب : فهناك كتب سعيدة الحظ ، ترى نسخاً منها كثيرة أنّى قلّبت في خزائن المخطوطات وفهارسها ، مثل « الصحاح » للجوهري ، و « الغريبين » لأبي عبيد الهروي ، ومنها كتب سيئة الحظ بقلة نسخها ، فمن خلال أسفاري وتجوالي لم أر من « أساس البلاغة » للزمخشري إلا الجزء الثاني والأخير من نسخة مكتوبة سنة (٧٢٨هـ) وهي محفوظة بمكتبة آيا صوفيا بالسليمانية باستانبول ، برقم (٤٦٥٨) .

ومن الكتب القليلة النسخ أيضاً : لسان العرب ، لابن منظور ، ومعجم الأدباء ، الذي ذكرت حديثه قريباً .

* * *

---

(١) بغداد ١٩٩٠م . وانظر ما كتبه الدكتور إحسان عباس في مقدمة نشرته للكتاب بدار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٣م .

(٢) انظر الاضطراب في مطبوعة تاريخ بغداد ، في ص ٢٣١ من الجزء الخامس .

ومن قضايا المخطوطات أيضاً : النُّسَخ الوحيدة ، وهي ظاهرة معروفة في علم المخطوطات ، فهناك كتب ذوات عدد طبعت عن نسخة وحيدة - أو يتيمة ، كما يقولون ، وليست تسمية دقيقة - ونشر الكتب عن نسخة وحيدة فيه ما فيه من مزلّة القدم ومظنة الخطأ ، فليس أمامك إلا نصٌّ واحد للكتاب !

ولا سبيل إلى ذكر كلّ ما أعرفه عن هذه النُّسخ الوحيدة ، فهي إلى الكثرة ما هي ! فأكتفي ببعض الأمثلة :

كتاب الهوامل والشوامل : لأبي حيان التوحيدي ومسْكويْه . نشره السيد أحمد صقر وأحمد أمين ، عن نسخة وحيدة ، محفوظة بمكتبة آيا صوفيا باستانبول ، ويعود الفضل في اكتشافها إلى محمد بن تاويت الطنجي .

والبرصان والعرجان ، للجاحظ ، ونسخته الوحيدة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، وقد نشرها شيخنا عبد السلام هارون ، وصاحب الفضل في اكتشافها هو محمد إبراهيم الكتاني ، مع مجموعة أخرى نفيسة ، استنقذها من الزاوية الناصرية بمدينة تامجروت ، في جنوب المغرب ، ومن هذه المجموعة مخطوطات وحيدة أيضاً ، ونفيسة ، منها : كتاب « حذف من نسب قريش » ، لمؤرِّج بن عمرو السَّدوسي ، نسخة بخط أبي إسحاق النجيرمي ، المتوفى نحو سنة (٣٥٥هـ)[١] .

ومن ذلك كتاب «منال الطالب في شرح طوال الغرائب» لمجد الدين بن الأثير ، ونسخته الوحيدة المكتوبة سنة (٦٠٦هـ) محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، وقد نشرتُ هذا الكتاب عن تلك النسخة الوحيدة ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

* * *

(١) انظر مقالتي عن نوادر المخطوطات بالمغرب ، بمجلة الثقافة الجماهيرية (يناير ١٩٧٦م) ومجلة دعوة الحق المغربية (نوفمبر ١٩٧٦م) .

وهذه النبذة الموجزة التي ذكرتها عن المخطوطات المفقودة والناقصة والقليلة النَّسخ والوحيدة ، أضعها أمام مفهرس المخطوطات ، ليكون على ذُكْر منها ، وتنبُّه لها ، حتى إذا ساقته الظروف إلى خزانة عامرة ، أو فهارس مشحونة بأسماء المخطوطات كانت عينه شاخصة تبحث عن شيء من هذه المخطوطات التي ذكرت أمرها ، فإذا وقع على شيء منها أخذه بكلتا يديه ، وشدَّ عليه يد الضنانة ، وأيضاً عضَّ عليه بالنواجذ ، وقد استصحبتُ هذا الأصل حيث خرجتُ في بعثات معهد المخطوطات أيام أن كنت أعمل به .

ففي عام ١٩٧٢م اتجهت بعثة من معهد المخطوطات - وكنت عضواً بها - إلى المغرب ، وفي مكتبة خاصة بالرباط للشيخ محمد الناصر الكتاني ، رأيت وصورت نسخة من كتاب « السَّماع » لابن القيسراني ، وكانت هذه هي النسخة الثانية منه ، وكان الشيخ أبو الوفا المراغي قد نشره بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة عام ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م عن نسخة وحيدة بالمكتبة الأزهرية .

وفي عام ١٩٧٣م خرجتُ في بعثة معهد المخطوطات إلى المملكة العربية السعودية ، وقد رأيتُ وصورتُ نسخاً ثانية لبعض الكتب ، أذكر منها :

مخطوطة « الوجوه والنظائر في القرآن العظيم » لمقاتل بن سليمان . وهي نسخة مكتوبة بقلم نسخي نفيس سنة (٥٤٦هـ) وهي محفوظة بمكتبة « عنيزة » وكانت يومئذ بالجامع الكبير . وكانت هذه النسخة هي الثانية من الكتاب - في ما أعلم - وقد نشره الدكتور عبد الله شحاته بالقاهرة عام ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م عن نسخة وحيدة محفوظة بمكتبة « عمومية » باستانبول ، كتبت في القرن السابع ، على ما ذكر المحقق .

وفي المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، كنت أقلب مجموعة خطية ، بأولها كتاب « الجمل » للزجّاجي ، وبعد أن

انتهى كتاب «الجمل» وقعت على كنز نفيس ، هو كتاب « المحكم في نقط المصاحف» لأبي عمرو الداني ، وهو في نسخة جيدة مكتوبة سنة (٧٩٧هـ) ، وهي النسخة الثانية من الكتاب إلى الآن ، وكان الدكتور عزة حسن قد نشره بدمشق عام ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م عن نسخة وحيدة محفوظة بين مخطوطات مصطفى جون ، في مكتبة كليات اللغات والتاريخ بجامعة أنقرة بتركيا ، وقال: إنها نسخة فريدة لا أخت لها في العالم .

ومما ينبغي التنبّه له أن مخطوطة كتاب « المحكم » هذه التي اكتشفتها بالمكتبة المحمودية لم تسجل في فهرس المكتبة ؛ لأنها داخل مجموعة ، والذي سَجَّل إنما سَجَّل الكتاب الأول في المجموعة فقط ، وكم من النفائس داخل هذه المجاميع !

وفي مكتبة الشيخ محمد سرور الصبان الخاصة الملحقة بمسجده في أطراف مكة المكرمة رأيت وصورت نسخة نفيسة جداً من خطوط القرن السابع ظنا ، من كتاب « كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب »[1] . لضياء الدين بن الأثير ، ولم يكن معروفاً من هذا الكتاب إلا نسخة وحيدة بالجامعة التونسية ، مكتوبة سنة (٩٩٠هـ) ، وفي خزانة القرويين بفاس رأيت النسخة الثانية من كتاب « خلق الإنسان » لثابت بن أبي ثابت ، من نسخة بقلم أندلسي نفيس ، (سنة ٦٠٠هـ) ، بل إني رأيت نسخة ثالثة بنفس المكتبة ، بقلم أندلسي متقن ، لعله من خطوط القرن السادس .

(١) أحب أن أشير هنا إلى أن هذه المخطوطة مع نفائس أخرى في المكتبة لم تكن مسجلة في فهارس ، ولم تكن كذلك متاحة للقراء ، وإنما هي داخل صناديق مغلقة منذ وفاة الشيخ محمد سرور الصبان ، وفي داخل هذه الصناديق أحمال من المبيدات والمواد الحافظة والطاردة للحشرات ، وقد عانت بعثة معهد المخطوطات كثيراً في استخراج هذه النفائس من تلك الصناديق . ومن هذه النفائس : ديوان ابن التعاويذي (٥٨٥هـ) ، ديوان جرير ، برواية محمد ابن حبيب (٥٩٨هـ) ، ديوان السّريّ الرفاء (٥٢٧هـ) ، تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي للسخاوي ، وبأول النسخة قراءة عليه (٦٣٩هـ) .

وكان عبد الستار فراج قد نشر هذا الكتاب بالكويت عام ١٩٦٥م عن نسخة وحيدة محفوظة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية .

وفي مكتبة القرويين أيضاً اكتشفت النسخة الثانية من كتاب « الفرق بين صفات الإنسان وصفات الحيوان » لثابت صاحب « خلق الإنسان » ، وقد جمعتُ هذه النسخة من أوراق متفرقة مبثوثة في ثنايا مخطوطة « خلق الإنسان » التي ذكرتها .

وهنا تظهر ثقافة المفهرس ، فهذه أوراق متناثرة ، لا عنوان لها ، ولا أول لها ، فكانت الخطوة الأولى أن أعرف فنَّها ، فعرفت أنها في اللغة ، وكانت الخطوة الثانية أن أحدّد موضوعها من فن اللغة ، فعرفت أنها تدور حول أسماء الأعضاء في الإنسان وما يقابلها عند الحيوان ، وهذ هو موضوع الفرق بين صفات الإنسان وصفات الحيوان ، وقد كتب فيه نفر من أوائل اللغويين ، منهم قطرب ، وأبو حاتم السجستاني ، وثابت بن أبي ثابت ، وابن فارس . وبعد شيء من النظر ظهر أنه لثابت المذكور .

وهذا « الفرق » كان قد نشره الأستاذ محمد الفاسي بالرباط ، ضمن مطبوعات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب عام ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م . وقد نشره عن نسخة ذكر أنها النسخة الوحيدة من الكتاب .

فهذه هي النسخة الثانية ، وقد عكفت عليها ، وعلى طبعة الأستاذ محمد الفاسي ، فرأيت هذه النسخة المكتشفة قد أكملت أسقاطاً كثيرة ، في نشرة الأستاذ الفاسي[1] .

---

(١) وقد كتبت في ذلك مقالة سميتها : « كتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت ونسخته الثانية » . وتفضل مجمع اللغة العربية بدمشق ، فنشرها في مجلته الوقورة . جزء ٢ من المجلد ٥١ - ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م . وقد نظر أخي الدكتور حاتم صالح الضامن في مقالتي ، وأعاد نشر الكتاب مستفيداً من هذه النسخة الثانية ، وتكرّم فنسب إليّ اكتشافها .

ومن حديث النسخة الثانية أيضاً أن الدكتور محيي الدين رمضان نشر كتاب «المنهل الرويّ في مختصر علوم الحديث النبوي» لبدر الدين بن جماعة ، بمجلة معهد المخطوطات بالقاهرة - المجلد الحادي والعشرين ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، وقد نشره عن نسخة وحيدة ، ذكر أنه لم يعرف غيرها ، وهي من محفوظات مكتبة دير الإسكوريال بإسبانيا . وهي بخط المؤلف .

وقد عرفتُ أنا نسخة ثانية من الكتاب ، ضمن مخطوطة « الدرة الوسطى في شرح مشكل الموطا » ، لأبي عبد الله محمد بن خلف الألبيري . وهي من مقتنيات المتحف البريطاني بلندن .

* * *

ولست وحدي الذي أكتشف مثل هذه النوادر والنفائس ، فغيري كثير من أهل العلم، وقد ذكرت من قبل اكتشافات محمد إبراهيم الكتاني بالمغرب ، ومحمد بن تاويت الطنجي باستانبول . وقد اكتشف فؤاد سيد مخطوطة « المغني » للقاضي عبد الجبار باليمن، ثم اكتشف أيضاً من تراث عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، واكتشف محمد رشاد عبد المطلب بمكتبة بلصفورة من أعمال سوهاج قطعة كبيرة من كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد المغربي بخطه ، ثم اكتشف أيضاً بمكتبة سوهاج نسخة نفيسة من كتاب « شرح فصيح ثعلب » لأبي منصور الجبَّان ، وقد كتب هذه المخطوطة سنة (٣٩٨هـ) عدا ما اكتشفه في بعثات معهد المخطوطات إلى الهند وإستانبول والمغرب والسعودية ، رحمه الله هو وفؤاد سيد فقد كانا من أعلم الناس بالمخطوط العربي .

أما صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات في الخمسينات فقد اكتشف أشياء كثيرة . واكتشف أخي د. عبد الفتاح الحلو ، رحمه الله ، النسخة الوحيدة

من كتاب « تاريخ العلماء النحويين » لابن مِسْعَر ، وقد استخرجه من مجموعة بمكتبة الأحقاف بتريم ، إحدى مدن حضرموت ، ونشره بالرياض ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

* * *

ومن ثقافة المفهرس أيضاً أن يكون على وعي ومتابعة بما يكتب عن شئون المخطوطات، وبخاصة ذلك الجانب الذي يُعْنَى بنفي نسبة الكتب إلى من نُسبت إليهم ، ثم إثبات نسبتها إلى أصحابها الحقيقيين ، وفي ذلك دُرْبة للمفهرس على أن يناقش الكتب ويستنطقها ، ويعرف مداخلاتها ويأنس بدُروبها وضُروبها . ولا سبيل أيضاً إلى ذكر كل ما أعرفه عن تلك الكتب الي دارت حولها الشكوك . وتردّدت النسبة فيها ، وأكتفي بذكر خمسة أمثلة :

١ - شرح ديوان المتنبي ، طبع مرات كثيرة باسم : التبيان في شرح الديوان ، منسوباً لأبي البقاء العكبري ، صاحب إعراب القرآن ، المتوفى سنة ٦١٦هـ . وقد شكك في هذه النسبة ، ثم ردّها بأسباب كثيرة ، العلامة مصطفى جواد ، ورجّح نسبة الكتاب إلى ابن عدلان الموصلي المتوفى سنة ٦٦٦هـ [(١)] .

٢ - نقد النثر . نشر هذا الكتاب الدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الحميد العبادي ، سنة ١٩٣٩م منسوباً لقدامة بن جعفر البغدادي ، من أدباء القرن الرابع ، وقد شكّ طه حسين في نسبة الكتاب إلى قدامة ، وذلك في البحث الذي قدمه إلى

(١) مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٣٦٦هـ ، ١٩٤٧م ، والعجيب أن هذا الشرح لا يزال يطبع منسوباً للعكبري ، وكذلك تجري نسبته على ألسنة وأقلام المتحدثين والكاتبين ، مع ظهور الحجة في دفع نسبته إلى العكبري ! ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وكأنّ الدرس الأدبي لا يعنى بمثل هذه القضايا !

مؤتمر المستشرقين في ليدن سنة ١٩٣١م ، ثم تكلم العبادي في مقدمة الكتاب على هذه النسبة .

وكان الأستاذان الجليلان قد نشرا الكتاب عن نسخة وحيدة محفوظة بمكتبة الإسكوريال بمدريد . وتمضي الأيام ، وتظهر نسخة ثانية من الكتاب قابعة بمكتبة تشستر بيتي بدبلن (إيرلنده) باسم : « البرهان في وجوه البيان » وقد جاء في ثنايا هذه النسخة اسم مؤلف الكتاب ، وهو « أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب » . وقد نشر الكتاب بنسبته هذه الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثي ببغداد ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م ، وذكرا في مقدمته أسباب نفيه عن قدامة ، ونسبته إلى ابن وهب ، ثم كتب الدكتور أحمد مطلوب في ذلك أيضاً بمجلة معهد المخطوطات بالكويت ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

٣ - إعراب القرآن . نشره الأستاذ إبراهيم الإبياري بالقاهرة عام ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٣م، في ثلاثة أجزاء ، منسوباً لأبي إسحاق الزجاج ، المتوفى سنة (٣١١هـ) وقد أثار الأستاذ الإبياري بعض الشكوك في نسبة هذا الكتاب إلى الزجاج ، وحاول أن يقوِّي نسبته إلى مكي بن أبي طالب ، ثم يأتي العلامة أحمد راتب النفاخ بعد اثني عشر عاماً ، وينشر مقالتين بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م ، فينفي هذه النسبة إلى الزجاج ، ثم ينتهي بها إلى جامع العلوم أبي الحسن الباقولي ، المتوفى سنة (٥٤٣هـ) ، ورجّح أن يكون اسم الكتاب هو « الجواهر » ورحم الله شيخنا النفاخ ، لقد كان جبل علم .

٤ - صنعة الشعر والبلاغة . نشره الدكتور جعفر ماجد ، عام ١٩٩٥م عن دار الغرب الإسلامي ، منسوباً لأبي سعيد السيرافي . وقد شاركني بعض أهل العلم بواعث الشك في نسبة هذا الكتاب إلى السِّيرافي . وقد فرغت له وشددتُ له

حيازيمي ، فنفيت نسبته عن السيرافي ، ثم انتهيت إلى أنه « كتاب في العروض »[1] لأبي الحسن العروضي أحمد بن محمد ، المتوفى سنة (٣٤٢هـ) ، وجمعت ذلك كله وأودعته مقالة نشرت بمجلة معهد المخطوطات ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

٥ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة . نشره عام ١٣٥١هـ ببغداد مصطفى جواد ، منسوباً لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ، المعروف بابن الفُوَطي المتوفى سنة (٧٢٣هـ) .

وبعد نحو (٦٥ عاماً) يأتي صديقنا الدكتور بشار عواد معروف ، ومعه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ، فينزعان عن ابن الفوطي هذه النسبة ، ويردّانها إلى مجهول ، وينشران الكتاب باسم : « كتاب الحوادث لمؤلف من القرن الثامن الهجري » .

وينشر الكتاب عام ١٩٩٧م عن دار الغرب الإسلامي .

فقراءة هذا اللون من البحث والتوثيق يفيد في تكوين ثقافة المفهرس ، وهو أحد الروافد في استواء شخصيته ووضعه على الطريق الصحيح .

ومن هذه البابة أيضاً : الاهتمام بتلك الكتب التي تنشر منسوبة لعلماء لا تُعرف لهم ترجمة . ومن ذلك مما هو تحت يدي الآن ، وأنا به حَفِيٌّ : كتاب الحروف لأبي الحسين المزني . هكذا جاء في صفحة العنوان ، وقد حقق الكتاب[2] الدكتور محمود حسني محمود ، والدكتور محمد حسن عواد ، وكلاهما بالجامعة الأردنية . وقد ذكر المحققان أنهما لم يعرفا « أبا الحسين المزني » هذا مع شدّة البحث والتحري .

(١) وقد استنصرت في ذلك بكلام لأخي الدكتور عياد بن عيد الثبيتي ، أحسن الله إليه .
(٢) صدر عن دار الفرقان بعَمّان ، الأردن ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

وقد وضعت الكتاب في دائرة اهتمامي ، ثم شُغلت عنه ، حتى كان هذا العام ١٩٩٨ ، وذات يوم منه كنت أقرأ في مادة (خلط) من تهذيب اللغة ، وفي صفحة (٢٣٦) من الجزء السابع وقفت على قول الأزهري ، عن أبي عبيد القاسم ابن سلام : « ثم ألف كتاب « الأموال » وقرأه عليَّ أبو الحسين المزني ، روايةً عن علي بن عبد العزيز ، عن أبي عبيد » . وهنا تذكرت ذلك المؤلف صاحب كتاب «الحروف» بعد خمسة عشر عاماً من النسيان ، فذهبت أبحث عنه ، فرأيت الأزهري يذكره في مقدمة التهذيب ، في الصفحة العشرين من الجزء الأول ، فيقول وهو يتحدث عن «غريب الحديث» لأبي عبيد : « ثم سمعت[1] الكتاب من أبي الحسين المزني ، حدَّثنا به عن علي بن عبد العزيز ، عن أبي عبيد» .

فعرفنا إذن أن « أبا الحسين المزني » هذا من علماء القرن الرابع لا محالة ، وفي ذلك تقريبٌ لزمنه ، ويبقى في الأمر بحث ، أرجو أن يوفقني الله لإتمامه .

* * *

ومما يفيد جدًا في تكوين ثقافة المفهرس : قراءة مقدمات أثبات المحققين ، وتأمل وصفهم للنسخ المخطوطة التي ينشرون عنها تحقيقاتهم، وإثبات ما على النسخ من قراءات وإجازات وتملكات وبلاغات . ومن النماذج الجيدة في ذلك ما ذكره شيخنا محمود محمد شاكر - رحمه الله - في مقدمة « جمهرة نسب قريش » للزبير بن بكار .

وكذلك متابعة ما يُنشَر من الكتب المحقَّقة وقراءة مقدماتها ، وستُظهره هذه القراءة على فوائد جليلة . وقد وقع في يدي بأخرة كتاب « أخبار فخ وخبر يحيى

(١) وبهذا النص الواضح يصحح ما في التهذيب ، مادة (خ ل ط) فيكون سياق الكلام هناك : « وقرأتُه على أبي الحسين المزني » .

ابن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله » لأحمد بن سهل الرازي ، من علماء القرن الرابع ، وقد نشرته دار الغرب الإسلامي عام ١٩٩٥م ، وفي حديث محقق الكتاب د. ماهر جراد وقعتُ على فائدة جليلة ، وهي أن نسخة برلين من الكتاب تقع ضمن مجموعة منسوخة سنة (٦٣٨هـ)، وفي ضمن هذه المجموعة كتاب «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصبهاني . وهذا شيء في غاية الأهمية ، فإن شيخنا السيد أحمد صقر - رحمه الله - كان قد نشر الكتاب عام ١٣٦٨هـ ، ١٩٤٩م عن طبعة طهران السَّقيمة ، ثم عن مخطوطة تاريخها سنة (١٠٧٤هـ) ، ثم وقفت أنا منه على نسخة بمكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء ، كتبت سنة (١٠١٧هـ) ، ومعنى هذا أن الكتاب لا تُعرف منه نسخة مخطوطة قبل الألف ، حتى كانت هذه النسخة المطوية داخل مجموعة منسوخة سنة (٦٣٨هـ) .

وعلى المفهرس أيضاً أن ينظر في فهارس المكتبات ، ويقرأ الدوريات التي تعنى بشئون المخطوطات ، مثل مجلة معهد المخطوطات ، ومجلة المورد العراقية ، ومجلات المجامع اللغوية ، وبخاصة مجلتا مجمع دمشق ومجمع بغداد ، ثم الاستفادة من المؤتمرات والندوات التي تعقد لبحث شئون المخطوطات .

* * *

ومن ثقافة المفهرس إدراك العلائق بين الكتب ، فبعض الكتب بينها وشائج وقرابات، لا تظهر إلا بقراءة مقدماتها ، وهذه العلائق قد تكون ظاهرة في عنوان الكتاب ، كعبارات : شرح - تكملة - ذيل - صلة - اختصار - تهذيب[1] .

---

(١) قد يكون « التهذيب » عنواناً قائماً برأسه ، وليس تهذيباً لكتاب آخر ، مثل تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري .

ومن أظهر الأمثلة على العلائق بين الكتب، وتناسُلها كتناسُل الحيّ من الحيّ : كتاب « الكمال في أسماء الرجال » ، للحافظ عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ) ، فقد تناسل منه :

تهذيب الكمال ، للحافظ المزّي (٧٤٢هـ) ، وتذهيب التهذيب للحافظ الذهبي (٧٤٨هـ) ، وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) ، وتقريب التهذيب ، لابن حجر أيضاً ، وخلاصة تهذيب التهذيب ، للخزرجي (٩٢٣هـ) ، وهناك كتب أخرى غير هذه تناسلت من « الكمال »[1] . ومن ذلك كتاب « المشتبه في الرجال : أسمائهم وأنسابهم» للحافظ الذهبي ،تناسل منه كتابان عظيمان : أولهما : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، للحافظ ابن حجر ، وتوضيح المشتبه ، للحافظ ابن ناصر الدين (٧٤٢هـ) .

وهذا النوع من العلاقة بين الكتب أسمِّيه : علاقة قرابة العَصَبَة ، وهناك علاقة قرابة أخرى ، أسميها : علاقة ذوي الأرحام ، وأعني بها تلك الكتب التي تدور في فلك بأعيانها ، دون أن يذكر ذلك في عنواناتها :

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر ، في مقدمة كتابه «إنباء الغُمْر بأنباء العُمر» قال : « وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً على ذيل تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير [يعني البداية والنهاية] ، فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه السَّنة ، ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلاً على « الوفيات » التي جمعها الحافظ تقي الدين بن رافع ، فإنها انتهت أيضاً إلى أوائل هذه السنة » .

---

(١) انظر كتاب : العلاقات بين النصوص في التأليف العربي ، للدكتور كمال عرفات نبهان ، ص ١٦٣ ، وهو كتاب نافع جدًا ، ثم انظر مقدمة تحقيق تهذيب الكمال للدكتور بشار عواد معروف ١١/ ٥١ .

ومن ذلك ما ذكره شمس الدين القرشي الكِيشي ، في مقدمة كتابه « الإرشاد إلى علم الإعراب » قال : « ورأيت أن أدمج فيه جميع مسائل « الإيضاح » فروعه ومبانيه » يعني إيضاح أبي علي الفارسي ، ومعنى ذلك أن كتاب الكيشي هذا يُعَدُّ على نحو من الأنحاء نسخةً من كتاب الإيضاح .

ومن ذلك أيضاً : كتاب « إعراب الحديث النبوي » للعكبري ، فالكتاب معقود على إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث الشريفة ، ولكنه ليس على الأحاديث مطلقاً ، وإنما أراد العكبري الأحاديث الواقعة في كتاب «جامع المسانيد» لابن الجوزي ، ليس غير .

وهذه القرابات بنوعيها ينبغي أن تراعى في الفهرسة ، فتُذكر هذه الكتب كلها عند ذكر الكتاب الأصلي ، فإذا كان المفهرس يفهرس كتباً تتصل بكتاب «الكمال» ، فيقول في حرف الكاف : الكمال = انظر تهذيب الكمال وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب . . . إلى آخر هذه السلسلة ، وكذلك يقول : الإيضاح = انظر الإرشاد إلى علم الإعراب . وفي جامع المسانيد ، يقول : وانظر إعراب الحديث النبوي . . . وهكذا .

* * *

وبعد : فهذا غَيْضٌ من فيض ، وقطرة من بحر ، مما ينبغي على مفهرس المخطوطات أن يتعهده ويأخذ به نفسه ، وواضح - إن شاء الله - أن مدار الأمر كله على التحصيل والقراءة ، وهي قراءة ينبغي أن تكون مثابرة ذكيّة ، تضمّ الشبيه إلى الشبيه ، وتقرن النظير إلى النظير ، وإذا كنت قد وجَّهت إلى العناية ببعض قضايا المخطوطات ، فإني لم أستقص ولم أستوعب ، لأن ذلك محوجٌ إلى وقت وإلى كتابة كثيرة ، قد تدفع إلى الملل وتصد عن القراءة .

على أني - وأنا أُجاذب الإيجاز - لا أستطيع أن أبرح مكاني هذا حتى أوصي بقراءة بعض ما تركه علماؤنا الأوائل ، مما يعدّ أصلاً في تحصيل العلم ، وتوجيه النظر إلى بعض القواعد والضوابط في تكوين العقل العربي ، وسترى أيها القارئ الكريم أن هذه الكتب التي أوصي بقراءتها وتأملها تدور حول علم الحديث النبوي «دراية ورواية» ، واللهمّ نعم ؛ فإن ما كتبه علماء الحديث حول القبول والردّ والتجريح والتعديل ، وطرُق التحمُّل والأداء ، إنما هو أسٌّ وأساس لاستواء طرائق الفكر ، واستقامة منهجية العلوم في وجهيها النظري والعملي .

على أن مضامين هذه الكتب ليست بعيدة عن مجال فهرسة المخطوطات ، ففي مباحثها وفصولها ما يحتاج إليه المفهرس لا محالة . وهذه الكتب هي : المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي ، للرامهرمزي (ت٣٦٠هـ) ، والحثّ على طلب العلم والاجتهاد في جمعه[1] ، لأبي هلال العسكري (كان حيًا سنة ٣٩٥هـ) ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، والكفاية في علم الرواية ، وتقييد العلم ، وشرف أصحاب الحديث ، والرحلة في طلب الحديث ، الخمسة لحافظ المشرق الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، وجامع بيان العلم وفضله ، لحافظ المغرب ابن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ) ، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، وأدب الإملاء والاستملاء ، لأبي سعد السمعاني (٥٦٢هـ) .

* * *

(١) طبع طبعتين : الأولى بالمكتب الإسلامي ببيروت ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، بتحقيق الدكتور مروان قباني ، والثاني بمصر ، بدار التراث بطنطا ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م بتحقيق الأستاذ يوسف محمد فتحي ، وفي كلتا الطبعتين نقص ، وإن كان في طبعة بيروت أكثر . وقد غابت عن المحققين نسخة نفيسة جدًا من الكتاب ، من خطوط القرن السادس ظنا ، وقد رأيتها بالمكتبة السليمانية باستانبول ، ورقمها (١٤٦٤ - الحميدية) ، وقد أشار المحقق المصري إلى هذه النسخة ، وذكر أنه أرسل في طلبها فلم يستجب له .

وهـذا الذي ذكرته كلُّه من أدوات ثقـافة المفهرس ، يأتي من قبله ومن بعـده رافدٌ من روافـد العلم ، هو سلطان الروافـد وإمـامـهـا : وهو مجالسـة أهل العلم ومذكراتهم ؛ لاستخراج الخبء من علومهم ومعارفهم ، وهذا أصل من أصول ثقافتهم العربية ، فقد كانت الرواية الشفوية هي أولى مراحل نشر العلم ، وهي كذلك عند كل الأمم ، لكنها عندنا أظهر وأبين . ومع شيوع التدوين وكثرة التأليف ، فقد بقيت وجوه كثيرة من الرأي عند أهل العلم لم يسجّلوها في كتب ، وإنما يظهر منها الشيء بعد الشيء بالمساءلة والمفاتشة والمذاكرة ، ومهما اجتهد المرء في القراءة والتحصيل فسيظل في حاجة إلى مجالسة أهل العلم والانتفاع بثمرات تجاربهم ومخزون قراءاتهم ، وفي إشارات العلماء ما يؤكد ذلك ويحقّقه : يقول ابن جني : « سألت أبا علي - الفارسي - وقت القراءة عن هذا ، فقلت : هلاَّ حُذفت الواو من « يَوْطُؤُ ويَوْضُؤُ » لوقوعها بين ياء وضمّة ، كما حُذفت في « يَعد » لوقوعها بين ياء وكسرة ؟ فقال : إنما جاء هذا تامًا ولم يحذف واوه ؛ لأن باب « فَعُل » لا يأتي مضارعه إلا على بناء واحد ، وهو « يَفْعُل » نحو ظَرُف يَظْرُف وشَرُف يشرُف ، وما كان على « فَعَل » فإن مضارعه يختلف ، نحو ضَرَب يضرب وقتل يقتُل وسأل يسأل ، فلما كان مضارع » فَعَل » يختلف ، جاز حذف الواو فيه ، نحو : يَعدُ ، ولما كان مضارع « فَعُل » لا يكون إلا على « يَفْعُل » لم تُحذف فاؤه لئلا يختلف الباب » .

يقول ابن جني : « وقد لوَّح أبو عثمان - المازني - إلى هذا المعنى بقوله : فهذا يجري مجرى « ظَرُف يظرُف » أي لا يختلف كما لا يختلف « ظرُف يظرُف وشرُف يشرُف « ولكنه لم يلخصه أبي علي ، ولمثل هذه المواضع يُحتاج مع الكتُب إلى الأستاذين »[1] .

(١) المنصف ، شرح تصريف المازني ١/ ٢٠٩ ، ٢١٠ .

وحكى ابن قيّم الجوزية ، قال : « وسمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية يقول : يستحيل دخول لام العاقبة في فعل الله ، فإنها حيث وردت في العلوم فهي لجهل الفاعل لعاقبة فعله ، كالتقاط آل فرعون لموسى ، فإنهم لم يعلموا عاقبته ، أو لعجز الفاعل عن دفع العاقبة ، نحو « لِدُوا للموت وابنوا للخراب »[(١)] ، فأما في فعل من لا يعزُب عنه مثقال ذرّة ، ومَن هو على كلّ شيء قدير ، فلا يكون قطّ إلا لام كي ، وهي لام التعليل » .

يقول ابن القيم : « ولمثل هذه الفوائد التي لا تكاد توجد في الكتب يُحتاج إلى مجالسة الشيوخ والعلماء »[(٢)] .

أقول هذا وأنا أتذكر ذلك القدر الهائل من علم المخطوطات الذي تلقيته وحصّلتُه من أفواه الرجال : فؤاد سيد ومحمد رشاد عبد المطلب بمصر ، وفي أثناء عملي بمعهد المخطوطات وخروجي في بعثاته ، عرفت طائفة جليلة من علماء المخطوطات ، جالستهم وأفدت منهم ، أذكر منهم ، من علماء المغرب : محمد العابد الفاسي ، ومحمد المنوني ، ومحمد إبراهيم الكتاني ، وعبد الله كنون ، وسعيد أعراب ، والفقيه التطواني ، ومحمد داود ، وعبد الوهاب بن منصور ، وعبد السلام بن سودة ، ومحمد بن شريفة . ومن تونس : محمد الحبيب ابن الخوجة ، والحبيب اللمسي ، وإبراهيم شبوح . ومن السعودية : الشيخ حمد الجاسر ، وأحمد بن محمد بن مانع ، وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، وعبد الله العسيلان .

---

(١) ينسب إلى أبي العتاهية ، وإلى أبي نواس ، وتمامه : فكلكم يصير إلى تباب. ويروى : تراب - ذهاب .

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٠٠ ، ١٠١ .

ومن اليمن : القاضي إسماعيل الأكوع ، وأخوه القاضي محمد ، وعبد الله الحبشي . ومن الكويت : عبد الله بن يوسف الغنيم .

ومن العراق : عدد كبير من أهل العلم ، أذكر منهم : هلال ناجي وقاسم السامرائي وأسامة النقشبندي .

ومن تركيا : الورّاق الحاج مظفّر ، والدكتور رمضان ششن .

ثم ذاكرت واستفدت من طوائف العلماء الذين كانوا يترددون على معهد المخطوطات، في أثناء عملي به ، بل إني كنت أستفيد من صغار الطلبة الذين كانوا يعدّون رسائل الماجستير والدكتوراه ، ويا لها من أيام !

فعلى مفهرس المخطوطات أن يبحث عن أهل العلم ، يجلس إليهم ، ويأخذ منهم ، ويصبر عليهم ، ولا يملّ من سؤالهم ، وليتمثل بقول الشاعر :

أعْنِتِ الشيخَ بالسؤال تجِدْه سَلِساً في يديك بالراحتَيْنِ
وإذا لم تَصِحْ صِياحَ الثكالى رُحْتَ عنه وأنت صِفْرُ اليدينِ(١)

* * *

وتبقى كلمة :

لقد أخلصت كلماتي السابقة لثقافة المفهرس وعُدَّته وأدواته التي يستقبل بها المخطوطة التي يريد أن يفهرسها ، لكني لم أتعرض لصنعة الفهرسة نفسها أو حرْفيّتها ، فإن الكلام في هذا الجانب كثير ، وأنا إنما أردت بكلماتي تلك أن أُعِدَّ عالِماً ، لا مالئَ بطاقة .

---

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ٣٠١ ، والبيتان ضمن وصية لتقي الدين السبكي ، وهي مما أوصي بقراءته أيضاً .

وعلى أن هذا الموضوع قد كُتب فيه كثيراً ، ومن أنفع ما كُتب فيه ، ما وضعه الأساتذة: صلاح الدين المنجد في كتابه : « قواعد فهرسة المخطوطات العربية[١] ، وعبد الستار الحلوجي في كتابه : المخطوط العربي[٢] ، وعابد سليمان المشوخي في كتابه : فهرسة المخطوطات العربية[٣] . وكان رسالة ماجستير بإشراف عالم المخطوطات قاسم أحمد السامرائي ، وأيمن فؤاد سيد في كتابه الجامع : الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات [٤] . ثم ما كتبته أيضاً بعنوان : الفهرس الوصفي لبعض نوادر المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض[٥] . . . إلى ما كتبه الأساتذة المعنيون بالفهرسة بمجلة معهد المخطوطات ، ومجلات الاستشراق ونحوها ، ثم كانت الفهارس التي أذاعها معهد المخطوطات بدءاً من سنة ١٩٥٤م في الفنون المختلفة نماذج يجب أن تُحتذى في فهرسة الكتاب المخطوط .

لكنَّ هناك نقطتين في صنعة الفهرسة لا أحب أن أدع مكاني هذا حتى أذكر كلمة فيهما :

النقطة الأولى تتصل بمعايير الندرة والنفاسة في المخطوط العربي ، والنقطة الثانية تتصل بخطوات النُّسَخ .

ففي ما يتصل بالنقطة الأولى ، فمعلوم أن الندرة في عالم المخطوطات ترجع إلى عدَّة أمور ، منها :

(١) دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٦م .

(٢) مكتبة مصباح ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

(٣) مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

(٤) الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، القاهرة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٥) عمادة شئون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣ .

أ - أن يكون المخطوط بخط المؤلف ، وهي الغاية التي ليس وراءها غاية ، ولكن من الملاحظ أن هذه الظاهرة قليلة في تاريخ النَّسْخ ، فقليلاً ما نصادف مخطوطة مكتوبة بخط مؤلفها ، ولعل سبب هذا أن المؤلفين كانوا مشغولين بالإملاء ، وكأنهم رأوا أن النَّسْخ يأكل أوقاتهم ، فتركوه لطائفة التلاميذ المُسْتملين ، أو النُّسَّاخ المحترفين .

ب - أن يكون المؤلف قد أملاه على أحد تلاميذه فكتبه ، وأثبت هو عليه خطه بصحة القراءة عليه ، أو السماع منه ، أو إجازته له .

ج - أن يتملكه أحد العلماء المشهورين ، ويثبت عليه خطه بالقراءة أو التملُّك .

د - أن يكون المخطوط وحيداً ، لا توجد منه إلا هذه النسخة التي بين يدي الناسخ .

هـ - أن يكون المخطوط قديم النَّسخ ، هذا هو المعيار العام في قدم المخطوط ، واعتباره نادراً ونفيساً وهو القدَم والقرب من وفاة المؤلف ، أو يكون قد كتب في حياته . ولكن هذا المعيار لا ينبغي اعتباره مطلقاً فقدَم النسخة وحده لا يكفي ، فقد تكون النسخة الأقدم ناقصة ، والنسخة الأحدَث تامة ، وقد يكون ناسخ النسخة الأقدم جاهلاً كثير السَّقط والغلط .

فمن أمثلة الحالة الأولى كتاب «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام ، توجد منه نسخة بمكتبة الإمبروزيانا بميلانو ، إيطاليا ، تاريخ نسخها (٣٨٤هـ) ، وتوجد منه نسخة أخرى بالمكتبة الوطنية بتونس تاريخ نسخها (٤٠٠هـ) ، وواضح أن نسخة الإمبروزيانا هي الأقدم ، ولكن نسخة تونس تفضُلها وتقدَّم عليها ، لأن الأولى ناقصة بمقدار (٢٣) ورقة .

ومن أمثلة الحالة الثانية كتاب : تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة . منه ثلاث نُسخ ، تواريخ نسخها هكذا على الوِلاء (٣٧٩هـ ، ٥٣٢هـ ، ٥٥٨هـ) ، وظاهره أن

الأولى هي الأقدم ، فهي الأحق بالتقديم ، ولكن شيخنا السيد أحمد صقر - رحمه الله - اجتواها وأعرض عنها ، يقول غفر الله له : « ولئن كانت هذه النسخة أقدم النُّسخ عهداً ، فإنها أقلهنّ وزناً ؛ لأن كاتبها يجتوي الشعر ، فكان إذا مرَّ بشعرٍ حذفه ، ولم يفلت منه إلا القليل ، وهي كذلك تنقص كثيراً من النصوص » .

وعلى العكس من هذا ، ينبغي ألا ينخدع المفهرس بالنسخة التي تزيد في مادَّتها على أخواتها ، فقد تكون هذه الزيادة دخيلة على أصل الكتاب وإن كانت ملتحمة به وداخلة في نسيجه . ومثال ذلك نسخة مخطوطة من كتاب «إصلاح المنطق» ، لابن السِّكيت منسوخة سنة (٧٨٥هـ) ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية ، وهذه النسخة بها كثير من الزيادات التي ليست من أصل الكتاب ، كما أنها تحوي في أثنائها مقابلات لنسخ مختلفة من أصول الكتاب ، يُشار إليها برموز مختلفة ، كما يوجد فيها عناية خاصة بنسبة الأشعار والأرجاز إلى قائليها .

وكانت هذه النسخة جديرة بأن تخدع قارئها والمطَّلع عليها ، لولا أنها وقعت في يد خبيرة صَناع ، هي يد شيخنا عبد السلام هارون ، قال - رحمه الله - في مقدمة تحقيق الكتاب : « وهي مع صحتها ودقَّة ضبطها تُعدّ نسخة هجينة ، إذا لم يتنبه القارئ إلى ما أدته في تضاعيفها من التعليقات »[1] .

* * *

(١) معلوم أن شيخنا عبد السلام هارون قد شارك ابن عمته محدِّث العصر الشيخ أحمد محمد شاكر في إخراج هذه النشرة من « إصلاح المنطق » ، وقد اعتمدا على أصول خطية جيدة ، منها مخطوطة تحمل سماعاً على ابن فارس صاحب « مقاييس اللغة » سنة (٣٧٢هـ) وقد وجدا هذه المخطوطة الجليلة في مدينة المنصورة من بلاد مصر .

وهذا الكتاب محظوظ جداً في نسخه النفيسة ، فقد رأيتُ منه ثلاثاً عُتُقاً في مكتبة كوبريلي باستانبول ، تواريخ نسخها (٤٤٧هـ ، ٤٨٨هـ ، ٥٥٧هـ) ويلاحظ أن النسخة الأولى غاية في النفاسة ، وعلى حواشيها تقييدات وإضافات . وما زلت أذكر جمالها وبهاءها !

والمعيار الأول - وهو أن تكون النسخة بخط المؤلف - له قيمته التوثيقية والتاريخية ولكن ينبغي أن يُعلم أن بعض المؤلفين خطوطهم سيئة ، ومن أشهرهم في ذلك بدر الدين الزركشي صاحب « البرهان في علوم القرآن » ، المتوفى سنة (٧٩٤هـ) وقد عانى كثيراً من سوءخطه الأستاذ سعيد الأفغاني ، حين نشر رسالته التي بخطه « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة »[١] وقد أورد الزركلي في ترجمته من الأعلام نموذجاً لبعض مسوَّدات كتبه ، وفيها يظهر سوء خطه .

ومن أصحاب الخطوط غير الحسنة أيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني[٢] .

والحديث عن سوء خط ابن حجر يجرُّنا إلى عدم التسليم تماماً بما يقال عن الخط القديم (القرون الأول) من أن ، من سماته تجرُّدَه من النقط والشكل ؛ فإن هذا ليس على إطلاقه، لأن خط ابن حجر كان مجرداً من النقط والشكل[٣] ، وهو من علماء القرن التاسع (٨٥٢هـ) ، وكذلك كان خط تاج الدين السبكي (٧٤١هـ) صاحب طبقات الشافعية . فالمعيار الحقيقي في تفضيل نسخة على نسخة هو الصحة والسلامة والتمام ، وليس خط المؤلف على إطلاقه ، ولا قِدَم النسخة على إطلاقه ، ولا سمات الخط القديم وحده .

* * *

وهذا الحديث عن سوء خط بعض المؤلفين أو حُسْنه يُسْلمنا إلى الحديث عن النقطة الثانية ، وهي الحكم على خطوط النُّسَخ ، فنحن نسمع عن علماء الفهرسة

---

(١) نشرها بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٩٤هـ ،

(٢) وانظر شيئاً عن سوء خط بعض العلماء في : الكتاب العربي المخطوط لأيمن فؤاد سيد ص ٢٢٩ ، لكن هناك بعض المؤلفين أصحاب الخطوط الجيدة ، و منهم صلاح الدين الصفدي . انظر المرجع السابق ص ٣٤٨ .

(٣) نبَّه على هذا شيخنا عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ص ٤٠ .

هذه الأوصاف : نسخة بخط حسن ، وبخط جيد ، وبخط جميل ، وبخط نفيس . فما هي حدود هذه الأوصاف ؟ وما هو الملاك العامُّ لها ؟

والمسألة في نظري وتقديري ، ومن واقع تجربتي : أننا أمام نوعين من الخط : الخط الجميل أو الحَسَن ، والخط النفيس .

فالخط الجميل أو الحسن هو الخط الذي يُعْنَى بجمال الحروف واستوائها ، مع مراعاة أصول فن الخط وزينته ، وهو يخضع لقواعد شبه محدّدة ، اجتهد في بيان حدودها وتقديم نماذجها علماء هذا الفن ، من أمثال ابن مقلة ، وعلي بن هلال المعروف بابن البواب، وياقوت المستعصمي ، ومن بعدهم وفي زمان متأخِّرٍ عنهم : حمد الله الأماسي، والحافظ عثمان ، ثم الخطاطون الفنانون من المدرسة التركية والمصرية والفارسية . وقواعد هذا الفن تقوم على مقادير ونسَب معيَّنة ، ومن هنا قيل : إن فلاناً كان يكتب الخطَّ المنسوب، أي الخطّ ذا النِّسَب المحدَّدة ، أو المنسوب إلى طريقة خطاط من الخطاطين الكبار . وهذه الطائفة من الخطاطين الفنانين لم تكتب إلا المصاحف الشريفة ، ودواوين بعض الشعراء المقلِّين ، أو بعض الرسائل الصغيرة[1] ، أما أن يكتب واحد من هؤاء الخطاطين الفنانين كتاباً كبيراً أو دون الكبير ، فهذا ما لم يُعْهد وما لم نره ، وتعليل ذلك واضح ؛ فإن تحسين الخط وتزيينه وإيراده على مقادير ونسب مُحْوِج إلى وقت طويل تنقطع دونه الآمال في تسجيل تراثنا الضخم وتدوينه ، وأحسب أن هؤلاء الخطاطين الفنانين لو أرادوا كتابة خط على نحو ما يكتب الناس من اليُسْر والسهولة والليونة والاسترسال لتعثَّرت أقلامهم . وقد رأينا في عصرنا بعض الخطاطين المهرة إذا كتبوا مثل كتابتنا جاء خطهم مضطرباً غير مبين .

(١) كما كتب ابن البواب مثلاً « ديوان الحادرة » وكما كتب هو أيضاً « رسالة من نُسب إلى أمه من الشعراء » لابن حبيب ، و « رسالة الجاحظ في مدح الكتب والحثّ على جمعها » . انظر الكتاب العربي المخطوط لأيمن فؤاد سيد ص ٢٠٨ ، ٥٧٣ .

فهـذه هي حـدود الخـط الجميل أو الحسن ، وهذا ملاكُه ، لا طاقة لكل الناس به ، ولا شأن لنا به في علم المخطوطات .

ومن جانب آخر فقد سمعنا من شيوخنا في علم المخطوطات أنك إذا رأيت نسخة مخطوطة بخط حسن ، تأنَّق كاتبه فيه وأعطاه حظه من الحسن والجمال ، فلا تثق بالمادة المكتوبة ؛ لأن الظن بمثل هذا الخطاط أن يُشغل بموازين الحسن والجمال ، عن معايير الإتقان والكمال ، يؤكد هذا ما ذكره الصفدي في ترجمة « محمد بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي النساخ ، قال : وخَطُّه كثير السَّقم مع حُسْنه »(١) .

* * *

وأما الخط النفيس فمداره على الصحة والسَّلامة والوضوح ، ونستطيع أن نقول باختصار : إن الخط النفيس هو الذى يحرص كاتبه على تأدية النص تأدية صحيحة سليمة ، من حيث الدقة في رسم الحروف ، والحرص على التمييز بينها ، بوضع علامات الإعجام والإهمال ، ثم عدم التصحيف والأسقاط ، وهما من أكبر الآفات في علم الكتابة والنسخ ، ولنترك أمارات الخط النفيس إلى حين ، لنقول : إن الناسخ الجيد هو الذي يحرص على الصحة لا على الجمال ، وقديماً نبَّه أهل العلم على ذلك ، فيقول بدر الدين بن جماعة (٧٣٣هـ) : « ولا يهتم المشتغل في تحسين الخط ، وإنما يهتم بتحصيله وتصحيحه»(٢) .

ثم جاءت نصوص أهل العلم والخبرة بالكتب والمخطوطات مؤكِّدة لهذا المعنى ومنبِّهة عليه ، فيقول ياقوت في ترجمة « أحمد بن أحمد بن أُخَيّ الشافعي ، ورّاق

(١) الوافي بالوفيات ٢/ ١٣١ ، وقال عنه الذهبي : « وخطُّه مليح فيه سقم ، ولم يكن بثقة في نقله . . ولم يكن عليه أنس أهل الحديث . الله يسامحه » . العبر في خبر من عبر ٥/ ٣٣١ .
(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص ١٦٧ ، وهذا كتاب جيد ، نوصي بقراءته .

ابن عبدوس الجهشياري » : « رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ، ورأيت خطه وليس بجيّد المنظر ، لكنْ متقن الضبط »[1] . ويقول القفطي في ترجمة « أبي يعقوب النجيرمي » : « وله خط ليس بالجيد في الصورة ، وهو في غاية الصحة . . . وللمصريين تنافسٌ في خطه إذا وقع ، ولقد رأيت بخطه نسخة من « ديوان جرير » وقد أبيع بعشرة دنانير ، ورأيت « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحي ، وقد أبيعت بقريب من ذلك ، وكنت أحضر حَلَق الكتب عند بيعها ، فإذا قال المنادي : كتاب كذا بخط النجيرمي رُفعت نحوه الأعناق »[2] .

ويقول القفطي في ترجمة « أحمد بن الحطيئة أبي العباس المغربي » : « وكان خطه - رحمه الله - خطا صحيحاً ، وخطه مرغوبٌ فيه من أئمة العلم بمصر ، لصحته وتحقيقه »[3] .

ويقول القفطي أيضاً في ترجمة « سلامة بن عياض » : « وكان رحمه الله حسن الضبط والخط . . وله رسالة في فضل العربية والحث على تعليمها ، وقعت إليَّ بخطه ، وهي في غاية الجودة والصحة »[4] .

ويقول كذلك في ترجمة « أبي سهل الهروي النحوي » : « وله خط صحيح يتنافس فيه أهل العلم »[5] .

---

(١) معجم الأدباء ١/ ١١٨٨ ، وقد أبانت لنا الأيام شيئاً من خط (ابن أُخيّ) هذا في تلك القطعة من «ديوان الفرزدق » التي نشر صورتها الدكتور شاكر الفحام ، بمطبوعات مجمع اللغة بدمشق سنة ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م . وبآخرها مقابلة على الناسخ المذكور كتبها علي بن عيسى الرماني النحوي بخطه سنة (٣٣١هـ) ويظهر خطه متقناً مضبوطاً كما وصفوه ، ورحم الله أئمتنا ، ما كان أصدقَهم !

(٢) إنباه الرواه ٤/ ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) إنباه الرواه ١/ ٣٩ .

(٤) إنباه الرواه ٢/ ٦٨ .

(٥) إنباه الرواه ٣/ ١٩٥ .

قلت : وقد رأيت تصديق كلام القفطي هذا ، في صورة نسخة بخطٍّ أبي سهل هذا من كتابه « إسفار الفصيح » - فصيح ثعلب - وفي صدر المخطوطة سماعٌ عليه سنة (٤٢٧هـ) ، والنسخة محفوظة بمكتبة الشيخ عبد القدوس الأنصاري ، رحمه الله ، وكان من أعيان مكة المكرمة وجدة ، وهو صاحب مجلة « المنهل » وقد أثبت العلامة الزركلي صورة عنوان المخطوطة[(١)] .

ومن أجمع وأدق وأحلى ما قيل في وصف الخط بالصحة ، ماذكره القفطي في خط «علي بن نصر بن سليمان البرنيقي النحوي » قال : « وكان خطه خطًا قاعداً عاقلاً بين الخطوط ، كثير الضبط ، في غاية التحقيق والتنقيب والتصحيح »[(٢)] . فتأمل وصف الخط بالقعود والعقل ! وكأنه يريد أن يقول : إنه خط مطمئن مستقر ، لا يشينه صعود أو هبوط أو اعوجاج ، ويشبه هذا ما نقوله في عاميتنا المصرية حين نصف إنساناً بالثبات والرزانة ، فنقول : فلان ده راسِي !

وقد حرَص بعض المترجمين على أن يذكروا شيئاً من أمارات الناسخ الضابط المتقن ، فيقول ابن بشكوال ، في ترجمة « أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي ، المعروف بابن ميمون . من أهل قرطبة » ، يقول : « وكان قد جمع من الكتب كثيراً في كلّ فن ، وكانت جلّها بخط يده ، وكانت منتخبة مضبوطة صِحاحاً ، أمهات لا يدع فيها شبهة مهملة ، وقلّ ما يجوز عليه خطأ ولا وهم ، وكان لا يزال يتبع ما يجده في كتبه من السّقط والخلل ، بزيادة في اللفظ ،

(١) الأعلام الجزء السابع ، صورة رقم ١١٥٣ ٩ بعد ص ١٦٨ .

(٢) إنباه الرواه ٢/ ٣٢٣ ، ولم يذكر القفطي مولده أو وفاته ، وذكر ياقوت أنه قرئ عليه كتاب « الهمز » لأبي زيد الأنصاري سنة (٣٨٤هـ). معجم الأدباء ص ١٩٨٣ . وانظر أمثلة أخرى من وصف الخط بالصحة والضبط في كتاب أيمن فؤاد سيد : الكتاب العربي المخطوط ص ١٧٧ ، ١٨٠ - ١٨٢ .

أو نقصان منه ، فيصلحه حيثما وجده ، ويعيده إلى الصواب ، وكانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم بن محمد أصح كتب بطليطلة »[1] .

* * *

وإذ انتهينا إلى هذا القدر من الكلام الذي فصلنا فيه بين الخط الحسن الجميل والخط المتقن الصحيح ، الذي نصفُه بالنفاسة ، وقلنا : إن امارات الخط الحسن معروفة ، وهو أن يجري على سَنَن الجمال والتزيين والنِّسَب بين الحروف ؛ استواءً وصعوداً وهبوطاً ، وهو خط المصاحف الشريفة وبعض الشعر القديم ، وهاتيك اللوحات التي تراها بكثرة في المتاحف ودور الفنون والمساجد ، وبخاصة هذه اللوحات المدهشة الخاطفة للبصر ، الجالبة للبهجة في مساجد إستانبول وما إليها . وهذا الخط على حَدِّه ورسمه لا علاقة لنا به في علم المخطوطات ونَسْخ الكتب ، ولا يبقى في دائرة اهتمامنا إلا ذلك الخط الصحيح المضبوط ، فلنرصد أماراته ، ولنبحث عن علاماته ، ولنتحدث عن سماته .

وبدءة ذي بدء ، فإني لا أعلم أحداً من أهل العلم بالمخطوطات جَمَع كلّ أمارات وسيمات هذا الخط ، ولكن الشيء بعد الشيء يظهر من هذه الأمارات والسّمات ، على أقلام المفهرسين وواصفي النُّسَخ المخطوطة من المحققين ، وقد مرَّ بك قريباً شيءٌ من وصف هذا الخط في ما نقلته لك عن ابن بشكوال .

ولقد كان الأساس في أمارات هذا الخط عند هؤلاء العلماء الذين كتبوا في علوم الحديث ، وكتب الإملاء والاستملاء ، وكل ما كتبوه ، دائراً حول صحة الخط ؛ بظهور حروفه وبيانها والحرص على عدم تداخلها وتراكبها وتشابكها وتشابهها ، وتمييز المهمل من المعجم ، بوضع تلك الأحرف الصغيرة تحت الحروف

(١) الصلة لابن بشكوال ١/ ٢٧ .

التي يراد إهمالها من النقط ، مثل (ح - ع) حتى لا تختلط بأخواتها المنقوطة ، ثم وضع نقطة (.) تحت الدال المهملة حتى لا تختلط بالذال المنقوطة من فوق ، ووضع ثلاث نقاط (. . .) تحت حرف السين حتى لا تختلط بالشين المنقوطة بالثلاث من فوق ، ووضع دائرة صغيرة تشبه الرقم (٥) تحت الصاد المهملة حتى لا تلتبس بالضاد المنقوطة ، ووضع الحرف (ص) فوق الكلمة دلالة على أنها صحيحة ، ووضع الحرفين « خف » فوق الحرف ليخفَّف في النطق ولا يشدَّد ، ووضع كلمة «معا» فوق الحرف الذي يضبط بضبطين أو ثلاثة .

ومن أنفع ما كتب في ضبط الكلمات وشكلها ، ووضع العلامات المزيلة للإبهام واللبس ، ورموز الاختصار في أسماء العلماء وأسماء الكتب : ما كتبه بدر الدين الغَزِّي (٩٨٣هـ) في كتابه : الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد(١) .

والناسخ المتقن حريص على نظافة الورقة والمكتوب ، فلا يشطب شيئاً ، أو لا يُضبّب عليه بما يشوّه وجه الصفحة ، ولكنه يستعمل الرموز في ذلك ، فإذا أراد أن يحذف شيئاً مما كتب ، كتب في أوله « من » وفي آخره « إلى » أي أن ما بين « من وإلى » يحذَف ، وإذا أراد تقديم كلمة على أخرى بعد ما كتبهما ، يكتب فوق الكلمتين (م - م) يريد : «مؤخَّر ومقدَّم » .

---

(١) نشر الجزء الخاص منه بالضبط والتصحيح ، صديقنا الدكتور محمد مرسي الخولي ، رحمه الله ، بالمجلد العاشر من مجلة معهد المخطوطات ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م . وكذلك عرض الدكتور صلاح الدين المنجد لتلك الرموز الواردة في نسخة كتاب « حذف من نسب قريش » ، وهي نسخة قديمة موثقة ، كتبها إبراهيم بن عبد الله النجيرمي ، من علماء القرن الرابع . وانظر أيضاً فهرست المخطوطات العربية ص ٤٤ - ٤٧ ، فقد جمع مؤلفه عابد سليمان المشوخي طائفة طيبة من هذه الرموز والمصطلحات عند المصنفين .

وقبل ذلك كله ، ومنذ أكثر من خمسين عامًا ذكر شيخنا عبد السلام هارون كثيرًا من رموز ومصطلحات المصنفين ، فعليه رحمة الله !

ومن أطرف الرموز ، ما رأيته في كتاب حذف مِن نسب قريش - المذكور في الحاشية - فقد جاء في ص ٤٧ منه هذا البيت :

ومن يرفِدُ المولى إذا جـاء غارماً ومن يحملُ العِبءَ الثقيل إذا أحَمّ

وكتب الدكتور المنجد في الحاشية ما وجده في هذا الموضع من المخطوطة ، قال : «فوق» « أحم » وضع (ح) وإلى جوارها (ج) أي أنهـا تروى بالوجـهين : « أحمّ » و « أجم » وكُتب تحتها تفسيرها هكذا : أي قُدِّر ، وهذا تفسيرها بالحاء ، وأما بالجيم فتفسيرها : « دنا وحان » .

ومن طريف ما وقع لي من أمارات دقّة بعض النساخ أني حين نشرت « كتاب الشعر » لأبي على الفارسي ، وكنت قد نشرته عن نسختين ، وجدت ناسخ إحدى النسختين[1] يكتب كلمة « فنركوا » هكذا بوضع نقطتي التاء بعضهما فوق بعض ، والمعتاد أن يكتبا متجاورتين هكذا « فتركوا » ، ولكنه خشي أن يقرأها قارئ «فنزلوا» بالنون والزاي ، وكان حَدْسُه صحيحاً ، فقد رأيتها في النسخة الأخرى « فنزلوا » .

وفي نسخة راغب باشا باستانبول من « أمالي ابن الشجري » وفي الورقة (١٠٦) من الجزء الأول جاءت كلمة « الوَرَل » هذا الحيوان المعروف من الزحافات ، الذي يشبه التمساح ، لكنه أقصر منه ، كتب الناسخ في حِجر لام « الورل » لاماً

(١) هذا الناسخ هو « أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي وخطه صحيح متقن ، وقد فرغ من نسخه كتاب الشعر سنة (٥٢٨هـ) وتوفي سنة (٥٤٨هـ) ، وكان شاعراً مشهوراً ، حفظ القرآن الكريم ، وتعلم اللغة والأدب ، وله ديوان شعر مطبوع ، وأورد له أبو شامة مختارات كثيرة من شعره . انظر الروضتين ١/ ٢٩٤ ، وفهارسه ، ثم انظر وفيات الأعيان ١/ ١٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٣ . وهو صاحب البيت الشهير :

وإذا الكريم رأى الخمول نزيلَه في منزل فالحـزم أن يترحَّلا

وله قصيدة طريفة في غلامه (تتر) عدَّتها (٩٣) بيتاً ، فيها شاعرية ظاهرة ، وقد أوردها ابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق ص ٣٢٧ - ٣٣٣ .

صغيرة هكذا «الورل لا»» لأنه خشي أن يقرأها قارئ : « الورك » ولهذا الناسخ أشباه لهذه الدقة في مواضع أخرى من مخطوطة الأمالي . واسم هذا الناسخ : « أسعد ابن معالي بن إبراهيم » وخطه نسخي نفيس جدًّا ، ضبطاً وصحة وإتقاناً ، وقد فرغ من نسخ الأمالي سنة (٥٨١هـ) ومما نسخه أيضاً : التمام في تفسير أشعار هذيل ، لابن جني ، الذي نشر في بغداد سنة ١٩٦٢م بعناية : أحمد ناجي القيسي وأحمد مطلوب وخديجة الحديثي .

وهذه الدقة التي عرفت عند بعض النساخ إنما كانت نتيجة التأثر بمناهج علماء الحديث ، الذين وضعوا أصول الكتابة الصحيحة ، واصطنعوا وسائل أمن اللبس ، وكتبُ علوم الحديث والإملاء مشحونة بمثل هذه الوسائل ، ومنها :

في الرواة التابعين الثقات رجلان ، أحدهما : أبو الحوراء ، بحاء مهملة وراء ، واسمه دبيعة بن شيبان السعدي . وثانيهما : أبو الجوزاء ، بالجيم والزاي ، واسمه أوس بن عبد الله الربعي . فرُوِيَ عن عبد الله بن إدريس الكوفي ، قال : لما حدثني شعبة بحديث أبي الحوراء السَّعْدي عن الحسن بن علي ، كتبتُ أسفلَه « حُورٌ عين » لئلا أغلط ، يعني فأقرأه : أبا الجوزاء ، لشبهه به في الخط »(1) .

قال الذهبي : « لم يكن لهم في ذلك الوقت شكْلٌ بعد »(2) وهذا نص مهم في تاريخ النقط والشكل .

وهنا تصحيف قديم ، سببه نقطتا التاء وتباعدهما وتقاربهما :

رُوِي عن أبي حاتم السجستاني ، قال : « ذُكر شَهْر بن حَوْشَب عند ابن عون ، فقال : ذاك رجلٌ نزكوه ، يعني طعنوا فيه ، كأنهم ضربوه بالنَّيازك - وهي

(1) الإلماع للقاضي عياض ص ١٥٥ ، وتصحيفات المحدثين لأبي أحمد العسكري - مقدمة التحقيق ص ٢٢ .

(2) سير الأعلام النبلاء ٩/ ٤٥ .

الرماح القصار - قال : فصحَّف أصحاب الحديث ، وقالوا : ذاك رجلٌ تركوه »(1) .

ويبدو أن نقطتي التاء هذه كانت مظنَّة تصحيف عند النُّسَّاخ المتقنين ، فكانوا يتنبهون لموضعها وتمييزها :

وقعت في يدي نسخة عتيقة من كتاب : التذكرة في القراءات الثمان ، لابن غلبون (٣٩٩هـ) ، وعند قوله تعالى من الآية (٩٠) من سورة مريم ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ أورد ابن غلبون اختلاف القراء في (يتفطرن) فقال : قرأ الحرميّان - أي نافع المدني وابن كثير المكي - والكسائي وحفص : يتفطرن . . . وقرأ الباقون : ينفطرن » .

فهذا الناسخ المتقن كتب في المرة الأولى « يتفطرن » بوضع نقطتي التاء بعضهما فوق بعض ، حتى لا تلتبس بالقراءة الأخرى « ينفطرن » بالنون . وهذا باب متسع جدّاً ، ولعل أحدهم يفرد له مبحثاً خاصّاً ، يجمع فيه علامات ورموز الضبط والتصحيح ، ورفع اللبس ، مما ذكره علماء الحديث قديماً ، كالرامهرمزيّ والقاضي عياض والخطيب البغدادي وأبي سعد السمعان وبدر الدين بن جماعة ، وبدر الدين الغزي ، ثم ما عالجه نسَّاخ المخطوطات أنفسهم وتصرَّفوا فيه واصطنعوه اصطناعاً من عند أنفسهم .

* * *

(١) تصحيفات المحدثين ١/ ٤٠ ، وتهذيب الكمال للمزي ١٢/ ٥٨٢ ، وانظر ما كتبته عن التصحيف والتحريف ، في كتاب : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص ٢٩٠ .

وبعــد :

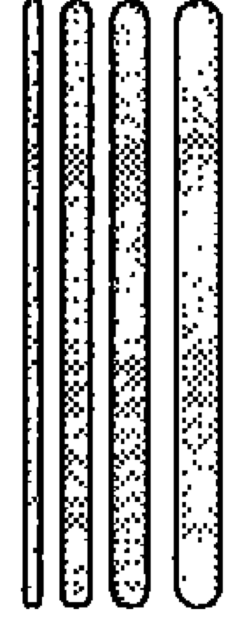
فما أظنني قد شفيتُ النفس ، وأبلغتُها عُذرَها في جمع موادّ ثقافة المفهرس ، وما أظن أيضاً أن ذاكرتي قد أسعفتني في استرداد كلّ ما عرفته وتلقيته عن شيوخ صنعة الفهرسة والتحقيق ، وكل ما رأيته في ذلك العدد الضخم من المخطوطات الذي تعاملت معه ، فالإنسان إلى السَّهو والنسيان والغفلة ما هو ! ولئن فاتني كل ما تلقيته وعرفته ، فأرجو ألا يكون قد فاتني عُظْمه ولُبابُه .

وأخشى بعد ذلك كلّه أن يأتي إليَّ رجلٌ مَلُول ضَجِرٌ متكئ على أريكته ، يقول لي : لقد أبعدتَ النُّجْعة ، وعَوَّرْتَ الطريق ، وأعظمتَ المسألة حتى كدت تزهِّد في العلم وتصدّعه بهذه الأعباء الثقال ، وما نراك إلا مزهُوًا بما عندك ، ناشراً لما طُوِي من أيام !

ويعلم الله ، ما أنا إلا باسطُ تجربة ، ودالٌّ على طريق ، ومُبينٌ عن مَذْهَب ، فإذا جاء في مطاوي الكلام ما يشي بعُجْب ، أو يومئ إلى زَهْو ، فما إلى هذا قصدت ، وما أصدق شيخنا عبد السلام هارون- بَرَّد الله مضجعه - حين بسط تجربته وذكر جهاده في تحقيق النصوص ، فقال في خاتمة كتابه الرائد : تحقيق النصوص ونشرها : « والحديث عن النفس مملولٌ مُطَّرَح ، ولكنه إذا أريد به في الأول والآخر خدمة العلم ورعاية الفن ، فارقته مَسْحة الإملال ، وأوشك أن يكون سائغاً مقبولاً » .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *



جهود المستشرقين ومناهجهم في فهرسة المخطوطات..

د. عادل سليمان جمال

عندما اقترح عليّ أخي العزيز الدكتور فيصل الحفيان أن أتحدث في ندوة المعهد الثانية عن «مناهج المستشرقين في فهرسة المخطوطات» ، قَبلت دون تدبُّر لعواقب الشقّ الأول لهذا الاقتراح . ولما قلبت أمري وراجعت نفسي وجدت أنه مطلب عسير ، بعيد الغور ، متشعب الجوانب ، لعدة أسباب منها :

١ - أن الموضوع كما اقترحه أخي فيصل لا يحده زمان لا أتجاوزه ، ولا يقتصر على مكان واحد لا أعدوه .

ومعنى ذلك أن أنظر في فهارس المكتبات الأوروبية المشهورة التي اهتمت بجمع المخطوطات العربية مثل إيطاليا وإنجلترا وإسبانيا وألمانيا والنمسا وهولندا وروسيا وفرنسا . وأنا لا أجيد إلا ثلاثًا من لغات هذه البلاد ، على تفاوت في درجات هذه الإجادة بطبيعة الحال .

٢ - أن النظر في هذه الفهارس يفرض تتبعا تاريخيًا لنشأتها والخطوات التي قطعتها ، وما أضافه اللاحق إلى عمل السابق حتى انتهت إلينا بالشكل الذي هي عليه الآن .

٣ - أن هذه الفهارس لاتوجد مجتمعة في مكان واحد ، ولا تملك جامعة أريزونا التي أعمل بها فهرسًا واحدًا من هذه الفهارس . وبالرغم من أن الاستعارة الداخلية ميسرة بين المكتبات الأمريكية Inter Library Loan ، إلا أن أمثال هذه الفهارس والمصادر الرئيسية References لا تعار . ولدهشتي الشديدة علمت وأنا في إسبانيا أن فهرس مكتبة الإسكوريال لا يوجد إلا فيها

فقط ، ولم يُسْمَح حتى لمكتبة مدريد الوطنية باقتناء نسخة منه [1].

على الرغم من هذه العقبات عزمت على الوفاء بما وعدت مع تعديل في عنوان البحث ، وجعله «جهود المستشرقين في فهرسة المخطوطات ومناهجهم » . وهذا التعديل يتيح لي ما أثرتُه في النقطة الثانية ، وهو التتبع التاريخي لمراحل فهرسة بعض هذه المكتبات ، وهو أمر أشعر ببعض الثقة في القيام به ، فقد زرت المكتبات - التي سأتحدث عنها - جميعًا ما عدا مكتبات روسيا أكثر من عشر مرات ، حيث كنت أقضي أكثر شهور كل صيف خلال العقدين السادس والسابع من هذا القرن متنقلاً بين هذه المكتبات . ولم يكن همِّي آنذاك أن أدرس هذه الفهارس من حيث كونها فهارس ، ومدى جودتها ، وكيفية منهجها ، ولكني كنت أبحث فيها عن نوادر المخطوطات في الأدب واللغة والنحو . على أنني خلال ذلك كنت أدون ما يعنّ لي عن هذه الفهارس ، مثل عددها وسنوات إصدارها ، ومن أعدَّها ، ومن استدرك عليها ، فاجتمع لي من ذلك شيء ليس باليسير ملأ ثلاثة دفاتر تشمل مائتين وأربعين صفحة .

وقد اخترت أن أتحدث عن فهارس بعض المكتبات المشهورة في أوروبا - واقتصرت في هنا على مكتبات إيطاليا وأيرلندا وفرنسا ، وسوف أستكمل الحديث عن بقية المكتبات في بحث آخر إن شاء الله - ومن الوضوح بمكان أن هذا هو

(١) لما تكونت مكتبة دير الإسكوريال ، أمر بابا الڤاتيكان ألا يخرج أي كتاب من هذه الخزانة خارج نطاق الدير . انظر في ذلك مقالاً للدكتور أحمد شوقي بنبين في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، العدد التاسع ، سنة ١٩٨٢ ، ص: ١٢٧ - ١٤٢ ، وعنه في الكتاب العربي المخطوط للدكتور أيمن فؤاد سيد ، نشر الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٧ ، ٢ : ٥١٦ . ويبدو لي أن هذا الأمر البابوي رُوعي عند عمل فهرس لهذه الخزانة ، فلم يسمح لأي مكتبة أخرى حتى في إسبانيا نفسها باقتناء نسخة منه . وأخبرني الأخ فيصل الحفيان أن بالكويت صورة منه على ميكروفيلم .

ما تطيقه المساحة المحدودة لهذا البحث ، لذا كان من المستحيل أن أتحدث عن فهارس جميع المكتبات الأوروبية . وقد بذلت محاولات عدة لا لحصر المخطوطات العربية الموجودة في أوروبا فقط ، بل في العالم أجمع ، فإلى جانب العملين الضخمين المشهورين لبروكلمان وفؤاد سزكين - وعمل الأستاذ نجيب العقيقي المعروف في ثلاثة أجزاء بعنوان : المستشرقون (دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثالثة) - ظهرت ثلاثة كتب تتناول المخطوطات العربية وفهارسها في العالم ، أولها في ما أعلم ألفه Huisman ، بعنوان : المخطوطات العربية في العالم[1] ، والثاني لكوركيس عواد في جزءين بعنوان : فهارس المخطوطات العربية في العالم [2] . والثالث عمل ضخم تقوم به مشكورة مؤسسة الفرقان . وقد صدر باللغة الإنجليزية في أربعة مجلدات ضخام تربو عدد صفحاتها على ألفين وخمس مائة صفحة وتشمل مائة وسبع دول ، وصدرت هذه المجلدات بين سنة ١٩٩٢ ، ١٩٩٤ ، ومن الجدير بالذكر أن المجلد الرابع هو ملحق اشتمل على أربع عشرة دولة لم تذكر في المجلدات الثلاثة الأول . وأشرف على تحرير هذه المجلدات الأربعة الأستاذ Geoffrey Roper من قسم الببليوجرافيا الإسلامية بمكتبة كمبردج بإنجلترا[3] . وتقوم المؤسسة الآن بترجمة هذا العمل الضخم إلى

(1) A.J. Huisman. **Les Manuscrits Arabes Dans Le Mond : Une Bibliographie Des Catalogues** (Leiden : Brill, 1967).

(٢) كوركيس عواد . فهارس المخطوطات العربية في العالم ، نشر معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٩٨٤ .

(3) Geoffrey, Roper. **World Survery of Islamic manuscripts** cloudon : al-Furqan Islamic Heritage Fonndation 1992-1994.

اللغـة العـربية ، ونشـر حـتى الآن ثلاثـة أجـزاءمـن الترجـمـة العـربيـة[1] .

أما في ما يختص بالمخطوطات في أوروبا وأمريكا الشمالية فلعل أهم ثلاثة كتب في تقديري هي كتاب J.D. Person بعنوان : المخطوطات الشرقية بمكتبات بريطانيا العظمى وأيرلندا[2] وكتابه الآخر بعنوان : المخطوطات الشرقية في أوروبا وأمريكا الشمالية [3]، أما الكتاب الثالث فهو من تأليف Stephan Roman ، وعنوانه ، كما جاء في صفحة العنوان بالعربية : تطوير مجموعات الكتب للمكتبة الإسلامية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية[4] .

وبعد البحث على شبكة المعلومات بالكمبيوتر (Internet) ، وجـدت أن ثلاثة فهارس فقط موجودة بالمكتبات الأمريكية وهي فهرس البارون (De Slane) ، وفهرس آلورد (Ahlwardt) ، وفهرس مكتبة Chester Beatty . ولما كنت في القاهرة خلال شهور صيف سنة ١٩٩٨ استطعت بمساعدة أخي الدكتور أيمن فؤاد سيد الحصول على أرقام الفهرسين الأولين بمكتبة دار الكتب المصرية . ولكني فوجئت وأنا في قاعة المخطوطات بأن فهرس De Slane مفقود منذ جرد سنة ١٩٧١ ، وهو يقع في عشرة أجزاء . ولكن أثلج صدري بعض الشيء أن فهرس البارون De Slane

---

(١) انظر شرحًا تفصيليًا لهذا المشروع في مقال الدكتور عبد الستار الحلوجي ، نشر معهد المخطوطات، من : ٣٢١-٣٣٢ . كما كتب الدكتور قاسم السامرائي نقدا للمجلدين الأولين في مجلة عالم الكتب ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثالث (مايو - يونيو) ، ١٩٩٤ ، ص٢٣٥ - ٢٦٥ .

(2) Pearson, James Douglas. **Oriental Manuscript Collections in the libraries of Great Britan and Irland.** (London : Royal Asiatic society, 1954) .

(3) Pearson , J.D. **Oriental Mannscripts in Europe and North America.** Inter Documutation Company, 1971), Biblioteca Asiatic Series, no.7.

(4) Roman, Stephan . **The Development of Islamic Library Collections in Western Europe and America** (London and New york : Mansell, 1990).

ما زال موجودًا. ولما أحضروه إلي أصابني هم واكتئاب بسبب الحالة الرثة المزرية التي آل إليها هذا الفهرس الهام ، فغلافه متهرئ يكاد ينفصل عن متن الكتاب . وقام شخص ما - من محبي الكتب في ما أرجح - بسرقة الخمس مائة صفحة الأولى منه . وهنا تذكرت كلام شيخنا العلامة محمود شاكر طيَّب الله ثراه ، فهو كما يعلم الجميع يبغض الاستشراق وأهله . ولكنه كان يرى لهم رغم ذلك فضيلة واحدة ، وهي أنهم حافظوا أشد المحافظة على المخطوطات التي استقرت عندهم . ولحسن الحظ وجدت الفهرس كاملاً وفي حالة ممتازة بالمعهد الفرنسي بالقاهرة ، وتفضل أخي الدكتور أيمن فؤاد بتصوير الصفحات المعينة التي طلبتها . ولحسن الحظ أيضًا وجدت فهرس Ahlwardt في مكتبة جامعة أوهايو ، فأنفقت أسابيع أنقل منه ما شئت . أما فهرس مكتبة Chester Beatty فوجدته في مكتبة جامعة Arizona State University . وهي تقع على مسافة مائة وعشرين ميلاً من جامعة أريزونا التي أعمل بها ، فذهبت إليها وقضيت يومين كاملين تفحصت خلالهما أجزاءه الثمانية .

وقبل عرض بعض هذه الفهارس لابدّ من مهاد تاريخي مختصر ، هو بالبديهيات أشبه ، لأنه معروف مشهور . جميعنا يعلم أن أكثر الدول الأوروبية اهتمت بجمع المخطوطات الشرقية ، وخاصة العربية منها منذ أزمان متطاولة . وبدأ ذلك في إسبانيا خلال الحكم العربي حيث تُرجمت كتب (مخطوطات) كثيرة في شتى مناحي العلوم مثل الطب والفلسفة والأدب واللغة والتاريخ وغيرها . وهذا أمر مشهور - كما قُلت - لايحتاج إلى بيان أو إفاضة . وشاع هذا الاهتمام قبل النهضة الأوروبية ، ثم ازداد بعدها واتسع ، فأُنْشئت في أوروبا كراسيٍّ لتدريس علوم العرب ، فكان لزاماً أن تكون لدى مكتبات هذه الجامعات كُتُب لهذه العلوم ، فأرسلت رجالها إلى الشرق لجمع كل ما تستطيع من مخطوطات . واستمرت هذه المكتبات في جمع المخطوطات من شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي حتى بعد ظهور الكتاب المطبوع .

ولما كثُرت المخطوطات لدى هذه المكتبات أصبحت الحاجة ماسّة إلى تصنيفها وفهرستها . وسوف أعرض هنا لجهود المستشرقين في هذا المجال عرضا موجزا هو بالتسجيل والرصد أشبه ، ولكن فيه نَفْع إن شاء الله ، وهو عرض يهدف إلى التذكير والتعريف بهذه الجهود المختلفة في شتى البلاد الأوروبية على مدى الأزمان ، حتى إذا انتهيت من تقديم هذه الصورة العامة عن اقتناء المخطوطات العربية وفهرستها خصصت اثنين من بينها بالتفصيل والتحليل ، مقارنا بين مناهج مفهرسيها وبين مناهج بعض المفهرسين العرب ، وهما فهارس مكتبة Chester Beatty بأيرلندا ، وفهارس المكتبة الوطنية في باريس La Bibliotéque Nationale ، لأن المجال هنا لا يتسع لأكثر من هذا. وسوف أُفْرِد إن شاء الله دراسة مستفيضة عن فهرس المخطوطات الذي وضعه Ahlwardt في عشرة أجزاء بعنوان : Verzeichniss der Arabischen Handschriften .

وفي ما يلي عرض لأهم أربع مكتبات أوروبية تحتوي على مخطوطات عربية وإسلامية والجهود التي بذلت لفهرسة هذه المخطوطات .

١ - مكتبات إيطاليا :

تُعَدّ إيطاليا في تقديري من أسبق الدول الأوروبية إلى الاهتمام بتراث الشرق، ويتضح ذلك من تاريخ أقدم جامعاتها إنشاءً ، وهي جامعة Bolojna سنة ١٠٧٦م ، والمدارس المختلفة التي أنشأها الرهبان . وفي الحقيقة ترجع صلة إيطاليا بالعالم الإسلامي إلى تاريخ أقدم من هذا من خلال صقلية التي فتحها العرب سنة ٨٣١م ، ومن المعروف أيضاً أنهم احتلوا جنوب إيطاليا وكادوا يدقون أبواب روما ، ولكنهم لم يمكثوا هناك طويلا وانسحبوا إلى صقلية التي أصبحت مركز حضارة مزدهرة تضارع حضارة الأندلس الإسلامية ، ووصلت إلى قمتها خلال حكم الكلبيِّين . وبالرغم من أن الحكم العربي انهار بزحف النورمانديين

سنة ١٠٦١م ، ثم انتهى تماما سنة ١٠٩٢م ، فإن الثقافة العربية الإسلامية امتدت وراء ذلك قرونا ، ومن المتعالَم المشهور أن الإدريسي الجغرافي العربي الذائع الصيت كتب كتابه الفذّ « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، وهو مقيم في بلاط الملك روجر الثاني (١١٣٠ - ١١٥٤) ، وفيه رسم خريطة العالم المعروف آنذاك . وهي أدقّ خريطة ظهرت حتى زمن الإدريسي . وقد توقّف ابن جُبَيْر الرحّالة المعروف بأهمّ مدن صقلية وهي بالرْمُو Palermo في القرن الثاني عشر الميلادي ووصف ما رآه من التقاليد والثقافة العربية بهذه المدينة . وكانت هذه المدينة ، بجانب كونها مركزا للحضارة العربية ، مركزا تجاريا هاما لا تفوقها في ذلك أي مدينة أخرى في حوض البحر الأبيض المتوسط . وبعد انتهاء الحضارة العربية واختفائها تماما من صقلية بقيت هذه المدينة الرابطة الوطيدةَ التي تربط إيطاليا بالعالم الإسلامي ، وعن طريقها استقر عدد من التجار بالمدن الإسلامية [١] .

إلى جانب اتصال إيطاليا بالعالم الإسلامي عن طريق التجارة ، شكّلت البعثات التبشيرية جانبا مهما آخر خاصة بعثات مذهب الفرنسيسكان Franciscans ، حتى إن سان فرانسيس نفسه قصد إلى الأراضي المقدسة لمحاولة تنصير حاكمها . وكان لهذه البعثات التبشيرية أثر فعّال في ظهور الاستشراق في إيطاليا ونُموّ عدد المخطوطات العربية بمكتباتها . ولما قامت النهضة الأوروبية زاد اهتمام إيطاليا بالعالم الإسلامي وحضارته ووصل إلى ذروته في منتصف القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي قامت فيه حركة Risorgimento لتوحيد إيطاليا ، يقول Bausani عن ذلك : « من غرائب المصادفات أن تاريخ الاستشراق في إيطاليا يواكب تاريخ الكفاح السياسي ضد التقاليد القديمة ، وضد السلطة المطلقة للكنيسة ، وضد الرجعية

(١) انظر القسم الخاص عن صقلية وبالرمو من الفصل الرابع للدكتور محمد كامل حسين رحمه الله ، في كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ .

الأرستقراطية ، وبمعنى آخر فإن عهد مازيني Mazzini وغريبالدي Garibaldi هو أيضا الزمن الذي انبعث فيه من جديد الاهتمام بصقلية الإسلامية» [1]. فلا عجب إذن أن يكون أوائل هؤلاء المستشرقين من صقلية نفسها وهم : ميشيل أماري Michele Amari ، وله كتاب مشهور عن « تاريخ المسلمين في صقلية » History of Moslems of Sicily ، ظهر الجزء الأول منه سنة ١٨٥٤م ، وفيه هاجم الكنيسة وسياستها التعسفية المتسلطة ورجعيتها المطلقة ، ومدح الإسلام لأنه على نقيض ما تعتنقه الكنيسة ، ووصفه بأنه « نظام سياسي وديني رائع ، يمتاز بآفاقه الرحبة وبساطة شعائره » ، ثم أكد أن الحضارة الأوروبية استمدت أصولها من الحكم العربي في إسبانيا وصقلية ، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٨٦٨ ، والثالث سنة ٨٧٢ ، وقد أدّى هجومه على الكنيسة ودفاعه عن الإسلام إلى نفيه إلى باريس سبعة عشر عاما . وثاني هؤلاء العلماء هو سَلْفاتُور كوسا Salvator Cusa (١٨٢٢ - ١٨٩٣) ، وكان أستاذا بجامعة بالرْمو Palermo ونشر كتابا في جزءين عن « الوثائق الإغريقية والعربية في صقلية » Greek and Arabic Documents of Sicily ، وثالث هؤلاء العلماء بارتلوميو لاجومينا Bartolomeo Lagumina (١٨٥٠ - ١٩٣١) ، وكان مسؤولا عن المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في مدينة بالرْمو Palermo ، كما نشر كتاب «النَّخْل» لأبي حاتم السجستاني . غرس هؤلاء الثلاثة الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي في نفوس الأجيال التي تلتهم ، وأهمهم سلستينو شيابرلي Celestino Schiaparelli (١٨٤١ - ١٩١٩) الذي وضع معجما ممتازا للهجات العربية الإسبانية خلال العصور الوسطي بعنوان Vocabulista in Arabico . ثم إجنازيو جويدي Ignazio Guidi (١٨٥٥ - ١٩٣١) ، وهو كما هو معروف

(1) Bausani, A. " Islamic studies in Italy in the xix - xx centuries, " **East and West**, vol.8, 1957, pp. 146 - 155.

من أشهر المستشرقين الإيطاليين ، ثم جيوسبِّي جَبْريلي Giuseppe Gabrieli (١٨٧٢ - ١٩٤٢) ، ثم يوجينيو جريفيني Eugenio Griffini (١٨٧٨ - ١٩٢٥) وغيرهم[١] .

والمخطوطات العربية والإسلامية توجد في مكتبات مدن شتى ، لأن المدن الإيطالية لم تجمعها وحدة شاملة إلا في أواسط القرن التاسع عشر ، وأصبحت روما العاصمة سنة ١٨٧٠ ، فلم يكن هناك إذن مكتبة شاملة وطنية . وتوزعُ هذه المكتبات بين المدن الإيطالية المختلفة وعدد ما تحتويه كلٌّ منها من مخطوطات يُبين عن مدى اتصال كلٍّ من هذه المدن بالحضارة الإسلامية ، وأهم المخطوطات وأكثرها عددا توجد في روما ، ونابولي Naples ، وفلورنسا Florence ، وبلونيا Bologna ، وميلانو Milan ، وفنيسيا Venice ، أما تورينو Turin ، وجنوة Genoa ، وبالرمو Palermo فتحتوي على عدد ضئيل من المخطوطات . وسأخص في ما يلي اثنتين من هذه المكتبات بشيء من التفصيل .

أولا : مكتبة الڤاتيكان[٢] Biblioteca Apostolica Vaticana أنشأ البابوات مكتبة الڤاتيكان في القرن الثالث عشر ، ولكن لم تزدد محتوياتها من الكتب والمخطوطات بدرجة كبيرة إلا في منتصف القرن الخامس عشر ، ثم انتقلت إلى مبناها الحالي بين سنة ١٥٨٥ و ١٥٩٠ حين ضاق المبنى القديم عن استيعاب ما اقْتُني من الكتب والمخطوطات . وترجع أقدم المخطوطات تاريخا في إيطاليا إلى سنة

(١) لهؤلاء المستشرقين الإيطاليين انظر : نجيب العقيقي ، المستشرقون ١ : ٣٦٠ - ٤٠٥ (نشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ . ط. ثالثة) . وانظر أيضًا : Roman, Stephan. **The Development of Islamic library Collections in Western Europe and North America** (london & New York : Mansell, 1990).

(٢) لمكتبة الڤاتيكان انظر نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ١ : ٣٥١ - ٣٥٣ ، وكتاب استفان رومان ، المذكور في الهامش السابق ، وأحمد شوقي بنبين ، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوجرافي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سلسلة بحوث ودراسات رقم : ٧ ، الرباط ١٩٩٣ ، ص : ٩٧-٩٨ .

١٤٣٩ عندما أنشئ المجمع العام للكنائس الشرقية والرومانية الكاثوليكية في فلورنسا تحت رعاية الدوق كوسيمو ميتسي Cosimo Medici صديق البابا يوجنس الرابع [١] Pope Eugenius IV . وكان أحد الوفود التي حضرت هذا المجمع وَفْدَ الكنيسة المصرية برئاسة الأب أندرياس رئيس دير سانت أنتوني وسانت بول الذي أهدى البابا مجموعة من المخطوطات القبطية والعربية ، وهي محفوظة الآن في مكتبة لورنزيانا Laurenziana في فلورنسا ، والمجموعة العربية منها هي أقدم مجموعات المخطوطات في أوروبا جمعاء خلا إسبانيا . وبالرغم من أن هذه المجموعة لم تستقر في مكتبة الفاتيكان إلا أن إهداءها للبابا أثار اهتمامه بالمخطوطات العربية والإسلامية خاصة وأن البعثات التبشيرية الإيطالية كانت نشطة في الأراضي المقدسة بالذات ، ويرى ستفان رومان أن مهمة هذه البعثات التبشيرية كانت السبب المباشر وراء نموّ المخطوطات العربية بمكتبة الفاتيكان ، لأن أعضاء هذه البعثات إذا فهموا تعاليم الإسلام كانوا أقدر على مجابهتها لإقناع المسلمين باعتناق المسيحية[٢] .

ولعل أقدم المخطوطات العربية التي اقتنتها مكتبة الفاتيكان هي المجموعة التي استولى عليها الامبراطور شارلز الخامس حين غزا تونس سنة ١٥٣٥ ، وهي مجموعة من المصاحف كُتبت في إسبانيا وشمال إفريقيا[٣] . وفي سنة ١٥٨٣ أرسل البابا جرجوري الثامن (١٥٧٢ - ١٥٨٥) رجالا من الكنيسة إلى الشرق الأوسط لجمع المخطوطات الشرقية فعادوا بمجموعات كبيرة خاصة ليوناردو أبل

(1) Hibbert, C. **The Rise and Fall of the House of Medici** (London : Allen Lane, 1974).

(2) Roman, Stephan, op. cit, p. 146 .

(3) Della vida, G. L. , **Riserche Sulla Formazione del piu Antico Fondo dei Manoscritti orieutali della Biblioteca Vaticana** (Citt'a de Vaticana: Biblioteca Apostolica Vaticana, 1939).

Leonardo Abel ، وهو رجل من مالطة كان يجيد العربية إجادة تامة[1] ، مكث أربع سنوات في مدن الشرق المختلفة ، وأكثر المخطوطات التي أتى بها جمعها من القاهرة وحلب . وفي السنوات الأولى من القرن السابع عشر أرسل الحاكم العام لمالطة (تولى بين سنة ١٦٠٧ ، ١٦٠٩) ليتّو دلا كوربارا Loenetto della Corbarra مجموعة من المخطوطات الشرقية استولى عليها « فرسان مالطة » Knights of Malta من سفينة رحّالة مسلمين في البحر الأبيض المتوسط . وأكثر المخطوطات العربية في هذه المجموعة هي نسخ من مصاحف كُتِبَت في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر[2] .

وفي ٩ أغسطس سنة ١٦٢٣ وصلت إلى مكتبة الڤاتيكان مجموعة من الصناديق يبلغ عددها ١٩٦ صندوقا ، أرسلها ليون ألاسي Leone Allaci من مدينة هيدلبرج الألمانية ، كان بين محتوياتها عدد من المخطوطات العربية إلى جانب كتب كثيرة كانت في مكتبة بلاتينا Biblioteca Palatine ، التي أنقذها ليون من الدمار عقب الغزو البڤاري لمدينة هيدلبرج بإرسالها إلى مكتبة الڤاتيكان[3] .

في عام ١٦٢٢ أنشأ البابا جرجوري الخامس عشر « التجمّع المقدّس لنشر الدعوة» Sacred Congragation for the Propgation of the Faith . وكان الغرض من إنشاء هذا التجمع توحيد جهود البعثات التبشيرية وجعلها تحت سلطة البابا مباشرة .

(1) Fraze, C.A. **Catholics and Sulatans : the church and the Ottoman Empire** 1453 - 1923 (Cambridg : CUP, 1983).

(2) Della vida, op. cit. , pp. 240 - 262 .

(3) Yates, Frances, **The Resorucian Enlightenment** (london : routledge & kegan Paul, 1972).

ومن الجدير بالذكر أن بين مجموعة المخطوطات الإسلامية هذه خمسة عشر مخطوطًا جمعها العالم الفرنسي المتصوف جيوم بوستل Guillaume Postel أثناء إقامته في إستانبول وسوريا وفلسطين من سنة ١٥٣٤ إلى سنة ١٥٥٠ .

وضُمَّت مكتبة هذا التجمع إلى مكتبة الڤاتيكان سنة ١٩٠٢ ، وهي تعرف بمجموعة بورجيا Borgia نسبة إلى عائلة بورجيا التي تولّت تمويل هذه المكتبة ، والفضل في تكوينها يرجع إلى الكاردينال ستفانو بورجيا في أواخر القرن الثامن عشر ، وهي تضم مائة وأربعة وأربعين مخطوطا إسلاميا من بينها خمسة وثلاثون مخطوطا عربيا[١] .

وخلال عهد أُرْبان الثامن (١٦٢٣ - ١٦٤٤) أُنْشئت مكتبة أخرى مشهورة ، وهي مكتبة عائلة بربريني Barberini ، أشرف على تكوينها أحد أفرادها وهو فرانسيسكو بربريني وكان مشرفا عاما على مكتبة الڤاتيكان من سنة ١٦٢٦ إلى سنة ١٦٣٣ . وتحتوي مكتبة عائلة بربريني على ستة وخمسين مخطوطا عربيا ، واثنين وثلاثين مخطوطا تركيا ، وستة مخطوطات فارسية ، وضُمَّت هذه المكتبة أيضا إلى مكتبة الڤاتيكان عام ١٩٠٢[٢] .

(1) Rossi, E, **Elenco dei Manoscritti Periani della Biblioteca vaticana** (vatican city : Biblioteca Apostolica vaticana, 1948).

ومن الجدير بالذكر أن هذه المجموعة الإسلامية تضم - إلى جانب المخطوطات الفارسية وعددها خمسة وعشرون مخطوطًا - أربعة وثمانين مخطوطًا تركيًا وترجع كثرة المخطوطات التركية هنا إلى أن التجمع المقدس كان يقوم بالتبشير في أراضي الإمبراطورية العثمانية .

(2) Odicr, Jeanne, **La Bibliotéque sur l'Histoire des Collections de manuserits** (Vatican City : Biblioteca Aposlica Vaticana, 1973), p.109

يلاحظ أن مجموعة المخطوطات الفارسية كانت قليلة حتى ذلك الوقت . ولكن أوائل القرن الثامن عشر شهدت توسعا في اقتناء المخطوطات الفارسية بمكتبة الڤاتيكان ، حيث أهدي البابا كلمنت الحادي عشر (١٧٠٠ - ١٧٢١) سبعة وسبعين مخطوطًا فارسيًا ورثها عن المركيز رينالدو دي بفالو Rinaldo de Bufalo ، وكان بيترو دلا ڤالي Pietro della valle (١٥٦٨-١٦٥٢) قد جمعها خلال رحلته إلى فارس . كما اقتنت مكتبة الڤاتيكان مجموعة المخطوطات الفارسية التي كانت في حوزة أدريان رلاند Adrian Reland (١٦٧٦ - ١٧١٨)، وهو مستشرق هولندي . ولعل أكبر مجموعة من المخطوطات الفارسية في الڤاتيكان هي مجموعة السفير الإيطالي في إيران ، وهي تتكون من ١٠٥٥ مخطوطًا شيعيا ، أكثرها كُتب بين سنة ١٧٨٧ وسنة ١٧٩٧ .

وفي مطلع القرن الثامن عشر أوفد البابا الأب - إلياس السمعاني رئيس كهنة أنطاكية إلى دير وادي النطرون بمصر فأحضر منه ستة وثلاثين مخطوطا[١] وظني أنها كلها أو جُلّها مخطوطات قبطية . وفي ١٠ مارس سنة ١٧١٠ عُيّن فَرْدٌ آخر من أسرة السمعاني مفهرسا للمجموعات الشرقية بمكتبة الڤاتيكان ، ثم أصبح نائبا لمدير هذا القسم في سنة ١٧٣٠ ، ثم رئيسا له سنة ١٧٣٩[٢] ، واسم هذا الفرد هو : Giuseppe Simonio Assemani ، وتذكره المصادر العربية باسم يوسف شمعون السمعاني[٣] ، وهو ماروني لبناني ، وبعد ترقيته إلى منصب نائب المدير حلّ ابن أخيه اسطفان السمعاني (١٧١١ - ١٧٨٢) محله مفهرسا ، ثم مديرا للقسم بعد موت عمه . وفي نفس سنة وفاة يوسف عُيّن أيضا أنطونيو السمعاني مفهرسا . وهنا لابد من وقفة قصيرة توضح دور العرب (وأنا لا أفرّق هنا بين مسيحي ومسلم) في تنمية مكتبات إيطاليا بالذات ووضع فهارسها ، وسأتحدث عن دورهم في الفهرسة في ما بعد .

نقل الدكتور أحمد شوقي بنبين في كتابه القيم «دراسات في علم المخطوطات» عن مقال كتبه J. Gaulmier ، بعنوان Volney et la Pédagoyie de L'Arabe ، لم يتيسر لي الحصول عليه ، كلامًا عن دور المشارقة في فهرسة مخطوطات أوروبا خاصة إيطاليا وفرنسا ، فقال : « وفي العصر الحديث فإن فهرسة المخطوطات العربية (وأحب أن أضيف هنا ، وفي تنمية مجموعات هذه المخطوطات أيضا) المحفوظة بالخزانات الأوربية لم تتم ممارستها في البلدان على أيدي المستشرقين الذين اهتموا بدراسة اللغة العربية وتدريسها ، وتأليف الكتب في نحوها وصرفها لتلامذتهم في

(١) انظر المستشرقون ، لنجيب العقيقي ١ : ٣٥٢ .

(2) Odier , J.B. , op. cit ., pp. 161, see also stephan roman , op. cit., p. 150
وقد مرّ ذكر هذين الكتابين .

(٣) انظر المستشرقون ، لنجيب العقيقي ١ : ٣٥٢ ، دراسات في علم المخطوطات لأحمد شوقي بنبين ، ص : ٩٧ ، الكتاب العربي المخطوط ، لأيمن فؤاد سيد ٢ : ٥٣١ .

مختلف الدول الغربية ، بل مارسها المشارقة الذين كانوا يتقنون اللغة العربية بالإضافة إلى اللغات السامية والشرقية واللغات الهندية الأوروبية . وكان هؤلاء المشارقة يتكونون بالدرجة الأولى من الموارنة اللبنانيين الذي سمح لهم اتحاد كنيستهم بالفاتيكان في أواخر القرن السادس عشر (١٥٧٥م) بالنزوح إلى روما لدراسة اللاهوت ، فأصبحوا من العلماء الكبار في الكنيسة الكاثوليكية ، وعاد بعضهم إلى لبنان وأسّس فيها المدارس بمساعدة البابوية واستقر البعض في أوروبا يتعاونون مع الفاتيكان في ترجمة العديد من الكتب اللاهوتية الكاثوليكية إلى العربية . . ولم يقتصر نزوح المشارقة على روما بل رحلوا إلى فرنسا كذلك حيث بني لهم هناك « كلبير Colbert » وزير الملك الفرنسي لويس الرابع عشر مدرسة لتعليمهم بالمجان[١] » . وكانت أسرة السمعاني أبرز الشخصيات العربية في مجال تنمية المخطوطات وفهرستها بمكتبة الفاتيكان ومكتبة أمبرزيانا Biblioteca Ambrosiana ، وقد أهدى السمعانيون خمسمئة مخطوط شرقي إلى مكتبة الفاتيكان ، أكثرها مخطوطات سورية مسيحية[٢] . وسيأتي الكلام عن مساهمة عرب آخرين في تكوين وفهرسة مكتبة الأمبروزيانا .

بعد هذه الوقفة الموجزة عن دور العرب في مكتبات أوروبا نصل ما انقطع من الحديث عن يوسف السمعاني . في سنة ١٧١٥ - أي بعد خمس سنين من تعيينه مفهرسا - ذهب إلى وادي النطرون بمصر ، وأخذ منه مزيدا من المخطوطات ، واستنسخ مجموعة أخرى ، ثم ساح في بلاد الشرق يجمع مخطوطات سريانية وعربية ، وكذلك فعل ابن أخيه اسطفان بعد تعيينه مفهرسا . وخلال القرن التاسع عشر أضيفت عدة مجموعات من المخطوطات الإسلامية إلى مكتبة الفاتيكان ، ففي سنة ١٨٣٨ أهدى المركيز لويجي ماريني Luigi Marini مكتبته إلى الفاتيكان ،

---

(١) انظر ص : ٩٤-٩٥ ، وعنه في الكتاب العربي المخطوط ، لأيمن فؤاد سيد ٢ : ٥٣٠-٥٣١ .

(2) stephan Roman , op, cit. , p. 149 .

وقد مر ذكر هذا الكتاب من قبل ، ص : ٢٢٩ ، هامش : ١ .

كما ضُمَّت إلى المكتبة أيضا مكتبة المستشرق الإنجليزي واطسن Watson الذي كان مقيما بإيطاليا بعد وفاته سنة ١٨٥٧ . وكان بين هذه المكتبة الضخمة التي بلغت بضع آلاف من الكتب والمخطوطات خمسة وثمانون مخطوطا عربيا[١] .

ثم شهد القرن العشرون إضافات أخرى إلى المكتبة ، فبين سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٣٧ أهدى الكاردينال إجنازيو تابوني Ignazio Tappouni بطريقُ أنطاكية مجموعتين من المخطوطات العربية التي جمعها من سوريا ولبنان ، وأكثرها مخطوطات شيعية كُتبت خلال القرون الثلاثة الماضية[٢] . وفي سنة ١٩٦٣ أهدى الدبلوماسي إنريكو سرُولّي Enrico Cerulli عشرة مخطوطات جلبها من الصومال والحبشة ، وهي مخطوطات في غاية الأهمية لدارسي الأدب العربي - الإفريقي ، لأنها تُبين عن مدى أثر الثقافات الإفريقية المحليَّة على الثقافة العربية الإسلامية[٣] .

أرجو أن يكون في هذا التتبع التاريخي لتكوين المخطوطات العربية خاصة والإسلامية عامة - على إيجازه - وافيا إن شاء الله . أما وقد فرغنا من هذا ، فلنتحدث الآن عن فهارس المخطوطات في مكتبة الڤاتيكان .

يذكر أحمد شوقي بنبين في كتابه النفيس أن يوسف شمعون هو « واضع أول فهرست لمخطوطات الڤاتيكان »[٤] . وهذا مُحال ، فقد مرّ بنا أن يوسف شمعون السمعاني عُيّن مفهرسا في مكتبة الفاتيكان سنة ١٧١٠ ، ثم نائبا لرئيس قسم

(1) Odier , op. cit. , pp. 233 and 244 .

وقد مَّر ذكر هذا الكتاب من قبل

(2) Stephan Roman, op. cit., p. 150 .

وقد مَّر ذكر هذا المصدر من قبل

(3) Della vida, G.L. , **Secondo Elenco dei Manoscritti Arabi Islami della Biblioteca vaticana** (Vatican City : Biblioteca vaticana, 1965).

(٤) دراسات في علم المخطوطات ، ص: ٩٥ ، وعنه في ما أرجح أيمن فؤاد سيد في كتابه القيم: الكتاب العربي المخطوط ٢ : ٥٣١ .

المخطوطات الشرقية سنة ١٩٣٠ ، ثم أصبح رئيسا لهذا القسم سنة ١٩٣٩ ، وقد توفي يوسف في روما سنة ١٧٦٨ ، بينما ظهر أول فهرس لمكتبة الڤاتيكان سنة ١٦٦٠م، ففي هذه السنة عيِّن Abramo Echollense [١] مفهرسا للمخطوطات والكتب السريانية والعربية واستعان بابن أخته Giovanni Matteo Naironi [٢] في وضع أول فهرس للمخطوطات الشرقية بمكتبة الڤاتيكان . وكان عددها في ذلك الوقت أربعمائة وثلاثين مخطوطا . ولما مات إبراهيم تولّى ابن أخته متَّى منصبه سنة ١٦٦٤ . صنع أول فهرس إذن للمخطوطات الشرقية سنة ١٦٦٠[٣] ، وهو نادر عزيز الوجود ، لذا لا يلتفت إليه أكثر الباحثين[٤] ، ويذهب بهم الوهم إلى أن واضع أول فهرس هو يوسف السمعاني . وعدد المخطوطات العربية التي فهرسها قليل لا أذكره الآن ، وأكثرها مخطوطات سريانية ، وبعض المخطوطات التركية والفارسية، وقد اطلعتُ على هذا الفهرس في صيف عام ١٩٧٧ بعد جهد جهيد ووساطات كثيرة ، وكنت أحسب أن الوساطة في بلادنا فقط .

ثم جاء يوسف السمعاني واستطاع بمعاونة ابن أخيه اسطفان السمعاني تنقيح الفهرس الأول الذي صنعه إبراهيم وابنُ أخته متَّى ، وأضافا المخطوطات التي اقتنتها مكتبة الڤاتيكان بعد صُنْع الفهرس الأول ، وخرج فهرس السمعاني واسطفان في أربعة أجزاء بعنوان Bibiotcca Orientalia Clemeutino Vaticana وتضمن هذا الفهرس وصفا شاملا للمخطوطات والكتب السريانية والعربية والفارسية والتركية وغيرها كالقبطية واليونانية واليهودية . ومن هنا نري أن عنوان الفهرس

(١) يُذكر في المصادر العربية باسم إبراهيم الحاقلاني ، وهو لبناني ماروني ، انظر المستشرقون لنجيب العقيقي ١ : ٣٥١ .

(٢) ويُذكر في المصادر العربية باسم حنّا متّى نمرون، انظر نفس المصدر والصفحة في هامش السابق.

(3) Stephan Roman, op. cit., p. 150 وقد مرّ ذكر هذا المصدر

(٤) ممن انتبه إلى وجود هذا الفهرس الأستاذ نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون ١ : ٣٥٢ .

وهو المكتبة الشرقية لا يتفق مع محتواه . صدر هذا الفهرس في أربعة مجلدات ضخام نشرت في روما ١٧١٩ حيث خرج الجزء الأول في ستمائة وثمان وأربعين صفحة ، والثالث ، وهو قسمان : نُشر أولهما سنة ١٧٢٥ في سبعمائة وتسع صفحات ، وثانيهما سنة ١٧٢٨ ، أما القسم الرابع والأخير فنشر سنة ١٧٣٦ . وقد مرّ بنا أن اسطفان عواد ذهب إلى الشرق وجمع المخطوطات بمكتبة الفاتيكان الرسولية : Biblioteca Apostolica Vaticanae Codicum Manoscriptorum Catalogus وقد ظهر هذا الفهرس في ثلاثة مجلدات بلغ عدد صفحاتها ١٧٤٣ بين سنة ١٧٥٦ وسنة ١٧٥٩ ، وضم المجلد الأول المخطوطات الشرقية العربية منها والفارسية والتركية ، وكذلك المخطوطات العربية المكتوبة بحروف سريانية[١] . وفي رأيي أنه أول فهرس علمي جمع بين المنهج الوصفي والمنهج التحليلي ، فقد اعتنى اسطفان بوصف المخطوط وصفا تفصيليا ، فوصف محتواه وموضوعاته بطريقة تدل على اطلاع واسع وعلم غزير ، ثم ترجم للمؤلف ما أسعفته المصادر المتاحة في زمنه ، فيكون بذلك - في تقديري - أول واضع لعلم الفهرسة بين المفهرسين العرب في العصر الحديث ، يفوق في دقته وشموله فهرس حاجي خليفة الذي عده صلاح الدين المنجّد واضع علم فهرسة المخطوطات الأول في العالم الإسلامي [٢] كما أنه يضارع فهرس المكتبة الظاهرية ، قسم التاريخ الذي وضعه يوسف العش[٣] وأبان في مقدمته عن منهجه ، وهو لا يختلف عن ما اصطنعه اسطفان .

---

(١) ذكر هذا الفهرس نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون ١ : ٣٥٢ ، وأحمد شوقي بنبين في كتابه دراسات في علم المخطوطات ، ص:٩٨ ، وقد أعادت المكتبة الشرقية في باريس Maison Neuve نشر جميع هذا الفهرس بالتصوير سنة ١٩٢٦ .

(٢) قواعد فهرسة المخطوطات العربية ، لصلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٦ ، ص: ٤٠ .

(٣) يرى أخي الأستاذ عصام الشنطي أن يوسف العش هو أول من وضع خطة لفهرسة المخطوطات من المعاصرين ، وذلك في مقاله القيم بهذا الكتاب بعنوان : أول المخطوطة وآخرها ، وانظر كذلك : الكتاب العربي المخطوط ٢ : ٥٣١ .

ويذكر رومان Roman في كتابه[1] أن فهرسا كان قد أعده اسطفان السمعاني نشر بعد وفاته (توفي سنة ١٧٨٢) سنة ١٨٣٥ وأورد عنوان هذا الفهرس ، وهو طويل جدا :

Catalogus Codicum Bibliotheca Vaticanae Arabicorum, Persicorum, Turcicorum, Aethiopitorum, Armenicorum, Ibevicorum, Slavicorum, Indicorum, Sinensium.

وهو كما يتضح من العنوان فهرس جامع للمخطوطات العربية والفارسية والتركية والأثيوبية والأرمينية ، والإيبرية ، والسلوفاكية والهندية والصينية . ولم أر هذا الفهرس ، ولم يذكره أحد ممن كتبوا عن فهارس المخطوطات الشرقية في أوروبا .

وبوفاة أنطونيو السمعاني - وهو ابن أخي اسطفان السمعاني - في سنة ١٨١٦ ينتهي الدور الفعّال الذي قام به العرب الموارنة في فهرسة المخطوطات في إيطاليا . وتولى المستشرقون صنع فهارس المخطوطات التي اقتنتها مكتبة الفاتيكان بعد صدور فهرس اسطفان ، فصنع دي هامر de Hammer فهرسا لمئتي مخطوط جديد بعنوان : رسالة في المخطوطات الشرقية في المكتبة الفاتيكانية ، نشر في عددين متتالين من فهارس المكتبات الإيطالية ، المجلد ٤٦ ، سنة ١٨٢٧ ، والمجلد ٤٧ ، سنة ١٨٢٨ . وفي سنة ١٨٣١ وضع الكردينال أنجلو ماي Angelo Mai ، وهو من أشهر رجال المكتبات الذي شهدتهم مكتبة الفاتيكان[2] ذيلا لفهرس اسطفان السمعاني في سبع مائة وثلاث عشرة صفحة وصف فيه سبع مائة وسبعة وثمانين مخطوطا عربيا ، وخمسة وستين مخطوطا فارسيا ، وأربعة وستين مخطوطا تركيا . وهو ليس فهرسا لمخطوطات جديدة مثل فهرس دي هامر ، وإنما هو تذييل

(١) ص : ١٥٠ ، وقد مر ذكر كتابه عدة مرات في الهوامش السابقة .
(٢) انظر كتاب Roman ، ص : ١٥١ وقد ذُكر عدة مرات في الهوامش السابقة .

على فهرس السمعاني ، توسّع Mai في وصف ما أوجزه السمعاني . ثم صنع C. C. Monacade فهرسا للمخطوطات التي وردت إلى المكتبة بعد صدور فهرس دي هامر ، ونُشر في بالرْمو سنة ١٩٠٠ . أما المخطوطات العربية التي اقتنتها المكتبة بعد هذا التاريخ فقد وضع فهرسها الكردينال تيسران ونُشر في روما سنة ١٩٢٤ ، وتبلغ المخطوطات العربية في هذا الفهرس مائتين وخمسة وسبعين مخطوطا[١] .
وما استجد من مخطوطات بعد هذا التاريخ صنع له دلا فيدا Della Vidu فهرسين ، نشر أولهما سنة ١٩٣٥[٢] ، وثانيهما سنة ١٩٦٥[٣] ، ووصف في هذا الأخير مائتين وستة وسبعين مخطوطا عربيا . ولم تصدر فهارس لمخطوطات عربية بعد هذا التاريخ في ما أعلم . وأحب أن أشير هنا إلى أمر أهمله الدارسون لفهارس المخطوطات العربية في مكتبة الڤاتيكان وهو أن « المجموعات » التي كانت تملكها بعض الأسر وآلت إلى مكتبة الڤاتيكان صُنعت لها فهارس خاصة بها ، مثل مكتبة عائلة بربريني ومكتبة عائلة بورجيا ، وقد مرَّ ذكرهما من قبل . وقد أكون قد أطلت بعض الشيء في الكلام عن مكتبة الڤاتيكان ، أرجو أن يكون فيه نفع ، فهو ليس كلاما مكرورا مُعادا ، بل أضاف جديدا إلى ما كُتب من قبلُ عن مكتبة الڤاتيكان ، وصحّح أوهاما ، ووضع في سياق زمني صحيح تاريخ مقتنيات المكتبة منذ إنشائها وتاريخ فهارسها ، وسيجد القارئ ذلك مطردا في كلامي عن بقية المكتبات هنا .
والذي آسف له أنني لم أنقل نموذجا لفهرسة أحد المخطوطات من فهرس السمعاني ، فلم يكن قصدي حين اطلعت عليه أن أدرسه من حيث كونه فهرسا كما

---

(١) انظر المستشرقون لنجيب العقيقي ١ : ٣٥٢ .
(2) Elenco dei Manuoscrihi Arabi Islami della Biblioteca vaticana (vatican City : Apostolica vaticana).
(٣) يحمل هذا الفهرس نفس عنوان الفهرس السابق ولكن يبدأ بكلمة Secono ، أي الثاني ، وقد مر ذكر هذا المصدر في الهوامش من قبل عند الكلام عن المخطوطات العشرة التي جلبها إنريكو سرُو لي من الصومال والحبشة .

أشرت من قبل ، ولكنك تجد مصداق قولي في كلام الدكتور أحمد شوقي بنبين[١] عنه ، وكذلك الأستاذ نجيب العقيقي قبله[٢] .

٢ - مكتبة الأمبروزيانا Biblioteca Ambrosianana :

كتب كلٌّ من الدكتور صلاح الدين المنجّد[٣] والأستاذ نجيب العقيقي[٤] عن مكتبة الأمبروزيانا في ميلانو ، والمارسيانا Biblioteca Marciana في البندقية Venice ، والمكتبة الوطنية Biblioteca Nazionale والمكتبة الملكية ، وكلتاهما في مدينة تورينو Turin ، وأهمها جميعا مكتبة الأمبروزيانا . هذه المكتبة أنشأها الكاردينال فدريكو بوروميو Federico Borromeo (١٥٦٤ - ١٦٣١) وسماها باسم القدّيس أَمَبْرُوز Ambrose ، ويرجع السبب في إنشائها إلى رفع مستوى الثقافة بين شعب المدينة لمواجهة التيارات العقلية التي كانت تعجّ بها إيطاليا من جرّاء الاحتلال الإسباني لأكثر أجزائها ، وهي بذلك تُعد أول مكتبة عامة في إيطاليا وفتحت أبوابها للجمهور في ٨ ديسمبر سنة ١٦٠٩ مبتدئة بالكتب التي أهداها بوروميو لها وقوامها ثلاثون ألف كتاب ، واثنا عشر ألف مخطوط في شتى العلوم[٥] . وكفل لها التمويل اللازم لإدارتها واقتناء الكتب والمخطوطات ، وأرسل رجالا كثيرين إلى الشرق خاصة لجمع الكتب والمخطوطات ، فتصادف أن تاجرا لُمْبارديا اسمه جوزيبّي كَبْرُتّي Giuseppe Caprotti عاد إلى ميلانو في نفس هذا التاريخ بعد أن قضى في

---

(١) دراسات في علم المخطوطات : ٩٨ .

(٢) المستشرقون ١ : ٣٥٢ .

(٣) فهرس المخطوطات العربية في الأمبروزيانا بميلانو ، نشر معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، انظر مقدمة الكتاب ، ص : ١-٧ .

(٤) المستشرقون ١ : ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(5) Lobgren, Oscar & Traini Renato. **Catalogue of the Arabic Manuscripts in Biblioteca Ambrosiana** (viceuza : Neri Pozza Editore, 1975) , see the introduction of volume one .

اليمن أربعة وثلاثين عاما تمكن خلالها من جمع ألف وستمائة مخطوط[1] . وحرصا من المكتبة على شراء هذه المجموعة النفيسة من المخطوطات قام أخيل راتي Achille Ratti بمساندة البنك التجاري الإيطالي بحملة جمع تبرعات لدفع الثمن الذي أراده Caprotti[2] وهو ثلاثون ألف ليرة إيطالية ، ونجحا في مسعاهما واستقرت هذه المخطوطات بمكتبة الأمبروزيانا .

لم تكن مجموعة كَبْرُتّي أول المخطوطات التي اقتنتها المكتبة سنة ١٦٠٩ ، فقد ذكرتُ أنه عند إنشاء المكتبة سنة ١٦٠٩ أرسل بوروميو رجالا إلى الشرق خاصة لجمع الكتب والمخطوطات فعادوا ببعض المخطوطات النادرة ، من بينها أقدم نسخة معروفة لكتاب سيبويه ذكرها صلاح الدين المنجّد في مقدمة كتابه المذكور قبلُ[3] ، وقد رأيتُ بها أيضا خريطة فريدة لا توجد في أي مكان آخر رسمت في القرن الرابع عشر الميلادي . وهذه المجموعة تبلغ ٣٦٦ مخطوطا ، وتعرف بالمجموعة القديمة . ويبدو أن جذوة الحماسة التي ألهبت إنشاء هذه المكتبة قد خبت بنفس السرعة التي اتقدت بها ، فلم أجد أي ذكر الإضافات جديدة إلى مجموعة المخطوطات العربية أو الشرقية عامة خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر

(١) تشكل هذه المخطوطات أكبر مجموعة يمنية خارج البلاد العربية ، ويذكر في مقدمته أن جمهرة هذه المخطوطات رديئة الخط ، ولكن محتوياتها مهمة جدًا لدراسة الثقافة اليمنية المحلية المتأثرة بالعقيدة الزيدية ابتداء من القرن التاسع الميلادي . كما تحتوي هذه المجموعة على بعض المخطوطات في شتى العلوم الإسلامية ، كالحديث والفقه والعلوم الأخرى كالحساب والفلك والطب والجغرافيا والسِّحْر .

(٢) يذكر الدكتور صلاح الدين المنجد ما يُشْعر أن كَبْرُتّي أهدى المجموعة إلى المكتبة ، وهو غير صحيح ، كما ذكر أيضًا أن ذلك كان في سنة ١٦١٩ ، وهذا خطأ أيضًا ، لأنه هو نفسه يذكر أن هذه الكتب أهديت إلى المكتبة في عيدها الثالث ، والمكتبة أنشئت سنة ١٦٠٦ ، فعيدُها الثالث إذن لابد أن يكون سنة ١٦٠٩ ، وهي السنة التي فتحت فيها المكتبة أبوابها للجمهور كما ذكرت ، لتصبح بذلك أول مكتبة عامة في إيطاليا .

(٣) فهرس المخطوطات العربية في الأمبروزيانا ، ص: ٤ من المقدمة .

والقرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وأول إضافة كانت في سنة ١٩١٤ حين أهدى لوكا بلترامي Luca Beltrami إلى المكتبة مائة وثمانين مخطوطا عربيا ، ثم أهدى يوجينيو جريفي Eugenio Griffini مكتبته التي ضمت ١٢٢١ كتابا وستة وخمسين مخطوطا إلى الأمبروزيانا وذلك قبل وفاته بمصر سنة ١٩٢٥ ، حيث كان يعمل أمينا لمكتبة القصر الملكي[١] . ويذكر الدكتور صلاح الدين المنجّد أن مجموعة صغيرة من المخطوطات ضُمت إلى المكتبة سنة ١٩٢٧ أحضرها الكاڤلييرو نوزدا Cavliere Noseda من ليبيا[٢] لم يذكر عددها ، وهي بالتحديد عشرة مخطوطات . ومن الجدير بالذكر أن هذه المكتبة أشرف على تنظيمها بعد إنشائها بقليل عرب ماورنة ، فقد عيّن الكردينال بوروميو سنة ١٦٣٤ إسحاق الشدراوي مشرفا علي المكتبة ، وآخر عربي أشرف عليها هو أنطون السرياني ، المتوفى سنة ١٩٠٧ [٣] .

هذا الاهتمام الذي خبا بشأن المكتبة بعد منتصف القرن السابع عشر تراه أيضا في أمر فهارسها ، فلم يصدر أول فهرس لها إلا في أوائل القرن التاسع عشر حين وضع دي هامر أول فهرس[٤] لأهم خمسين مخطوطا بالمكتبة سنة ١٨٢٦ ، ثم فهرسا آخر [٥] وصف فيه ٣٢٩ مخطوطا سنة ١٨٣٩ ، وكلا الفهرسين للمجموعة القديمة Antico Fondo التي حازتها المكتبة بين سنة ١٦٠٦ وسنة ١٦٠٩ ، ثم رأيتُ فهرسا صغيرا وُصف فيه أحد عشر مخطوطا ، وهو يبدأ حيث انتهى فهرس

---

(١) انظر المصدر السابق، ص: ٤-٥ من المقدمة ، والمستشرقون ١ : ٣٥٤ ، وكتاب Roman، ص: ١٥٨ .

(٢) فهرس المخطوطات العربية في الأمبروزيانا ، ص: ٥ من المقدمة وانظر أيضًا كتاب Pearson بعنوان : Oriental Manuscripts in Europe & North America, p.254 وقد مر ذكر هذا الكتاب من قبل .

(٣) المستشرقون ، لنجيب العقيقي ١ : ٣٥٤ .

(4) Lettre su Manoscriti Orientali, **Biblioteca Italiana** , XLII , pp. 27-36.

(5) Catalogo di codici Arabi, Persiani et Turchi della Bibioteca Ambrosiana, **Biblioteca Italiana**, xciv, pp. 22-49, 332-348.

دي هامر الثاني ، أي من رقم ٣٣٠ إلى رقم ٣٤٠ ثم صنع A. M. Ceriani فهرسا[١] استكمالا للمجموعة القديمة ، فبدأ برقم ٣٤١ إلى رقم ٣٦٦ . وتتّسم هذه الفهارس جميعا بالإيجاز الشديد ، بحيث يصعب الانتفاع بها لأنها لا تصف المخطوطة وصفا يجعلها واضحة للدارس الذي يرغب في الاطلاع عليها .

وفي سنة ١٩١٠ بدأ يوجنيو جريفيني في صنع فهرس للمجموعة الجديدة Nouvo Fondo ، وصف فيه ٥٧٥ مخطوطا . وهذا الفهرس أشار إليه الدكتور صلاح الدين المنجّد[٢] ، وكذلك الأستاذ نجيب العقيقي[٣] ، ولكن هذا الفهرس والتقسيم الذي اتبعه جديران ببعض التفصيل الذي يخلو منه هذان الكتابان ، وهو ما دونته منذ أكثر من عشرين عاما أثناء إقامتي في إيطاليا ، ويشاء الله أن أنتفع به وأنفع الآن .

تضم المجموعة الجديدة Nouvo Fondo ألفا وستمائة وعشرة مخطوطات ، وهي أصلا المجموعة التي اشتُريَت من كَبْرُتّي (١٦٠٠ مخطوط) سنة ١٦٠٩ مضافا إليها عشرة مخطوطات . قسّمت هذه المخطوطات إلى ستة أقسام وهي A, B, C, D, E, F ، ثم أُضيف قسم سابع G يضم عشرة مجلدات أهداها الكافالييرو كَبْرُتّي Cavaliere Caprotti ، ثم قسم ثامن H يشمل المخطوطات التي أهداها بلترامي Beltrami .

وقد فهرس جريفيني الأقسام الثلاثة الأول A-C ، فشمل القسم الأول (A)[٤] المخطوطات من رقم ١ إلى رقم ١٢٤ ، ونشر سنة ١٩١٠ ، وشمل القسم الثاني (B)[٥] المخطوطات من رقم ١٢٥ إلى رقم ٢٥٦ ، ونشر سنة ١٩١٢ ، وشمل

(1) Person , op. cit., p. 253 .

(٢) فهرس المخطوطات العربية في الأمبروزيانا ، ص : ٥-٦ من المقدمة .

(٣) المستشرقون ١ : ٣٥٤ .

(4) RSO III , pp 253 - 278 , 571 - 594 , 901 - 921 .

(5) RSO IV, pp 87 - 106 , 1021 - 1048 .

القسم الثالث (C) [١] المخطوطات من رقم ٢٥٧ إلى رقم ٤٧٥ ، ونشــر في سنة ١٩١٤ إلى ١٩١٨ ، ثم جمعت هذه الأقسام الثلاثة ، ونشرت في مجلد واحد[٢] سنة ١٩١٩ ، وهو الذي أشار إليه الدكتور صلاح الدين المنجّد والأستاذ نجيب العقيقي كما مرّ بنا منذ قليل .

وكان جريفيني - قبل أن يضع هذا الفهرس - قد عمل قائمة فيها بعض الوصف للأقسام الستة الأولى (A-F) ، ونشر الجزء الأول منها ، ويشمل اثنين وثمانين مخطوطا من القسم A [٣] ، ثم أتبعه بالجزء الثاني ، ويشمل بقية القسم A وجميع القسمين الآخرين C و B[٤] . أما قائمة الأقسام الباقية A-F فما زالت مخطوطة لم تنشر[٥] .

في عام ١٩٥٧ أرسل معهد المخطوطات العربية بالقاهرة بعثة إلى ميلانو لتصوير نوادر مخطوطاتها وفهرسة ما لم يفهرس منها ، ورأس الدكتور صلاح الدين المنجّد هذه البعثة . واستطاع خلال أربعين يوما أن يفهرس

---

(1) RSO VI , (1914 - 1915) , pp. 1285 - 1316 ;7, parte . (1916 - 1918) pp. 51 - 130 , 565 - 628; 8 (1919) , pp . 241 - 367 .

(2) Catalogo dei Manoscritti Arabi di Nouvo Fondo della Biblioteca Ambrosiana di Milano , vol. 1 , Rome , 1919 .

(3) Manoscritti sudarabici di Milano . catalogo Jella prima collezione. ROS II (1908) , pp. 1 - 38 , 133-166; III (1910), pp. 65 - 104 .

(4) lista dei Manoscritti Arabi Nouvo Fondo della Biblioteca Ambrosiana di Milano .

(٥) نشر جريفيني مقالاً عن هذا القسم وهو يشمل مائة وثمانين مخطوطًا عربيًا وفارسيًا وتركيًا وعبريًا ، ودرس جريفيني في هذا المقال مايقرب من ستين مخطوطًا ، مع صور للمخطوطات رقم ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٣٩ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٤٥ على الترتيب . نشر في مجلة Zdmg ، العدد : ٦٩ ، سنة ١٩١٥ ، ص : ٦٣ - ٨٨ .

القسم D[1] ، وهو يشمل مائتي مخطوط وواحد من رقم ٢٢٠ إلى رقم ٤٢٠ ، وقد ذُكر خطأ[2] في صفحة العنوان أن الجزء المُفَهْرَس وصل إلى رقم ٤٤٠ والصواب ٤٢٠ ، كما هو واضح في آخر صفحة من الفهرس (ص : ١٠٩) . وقد أدهشني منهج الدكتور المنجّد في فهرسة هذا القسم ، فهذا المنهج وإن احتوى على بعض أوصاف المخطوطة أقرب إلى منهج القوائم ، وقد لاحظ ذلك بحق الزميل عصام الشنطي في مقاله « تجربة معهد المخطوطات العربية » [3] . أقول أدهشني منهجه لأنه عالم خبير بالمخطوطات ، وله كتاب ممتاز بعنوان « قواعد فهرسة المخطوطات العربية » وصف فيه المناهج المختلفة : منهج القوائم ، المنهج الوصفي ، المنهج التحليلي ، فهو متمكن من قواعد هذا العلم ، لذا أدهشني أن تتسم فهرسته بمنهج القوائم ، وإن لم يَخْلُ من بعض الوصف . ولعل المدة القصيرة التي قضاها في فهرسة هذه المجموعة دفعته إلى هذا المنهج . وهاك نموذجان من أوائل الكتاب وآخره :

٣٥ – D 425 . ديوان درر الحور في مدح المنصور . للشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلّي (٥٧٠هـ – ١٣٤٩م) . انظر أعلام الزركلي ٤ : ١٤١ و (GAL, S 11 180) . ٣٥ ورقة تقريبا . القرن الحادي عشر .

ومن الجدير بالذكر هنا أن أشير إلى أن معهد العصور الوسطى بجامعة نوتردام بولاية إنديانا أصدر قائمة تشمل ألف مخطوط علمي صُوِّرت من الأمبروزيانا ،

---

(١) فهرس المخطوطات العربية بالأمبروزيانا ، وقد مر ذكره من قبل .

(٢) ونقل ذلك الخطأ الصديق عصام الشنطي في مقاله «تجربة معهد المخطوطات العربية» ، نشر في : التجارب العربية في فهرسة المخطوطات ، من منشورات معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص: ٣٠٧ .

(٣) انظر نفس الصفحة من المصدر السابق .

وعنوانه :

A summary of Catalogue of Microfilms of one thousand Scientific Manuscripts in the Ambrosiana Library, Milan.[1]

وقد قامت هذه الجامعة ، أي Notro Dame بتصوير جميع المخطوطات الموجودة في مكتبة الأمبروزيانا ، وهي موجودة الآن على ميكروفلم ، وحاولت الحصول على نسخة منها دون جدوى . ولكن فهمت أن من الممكن تصويرها للمكتبات فقط ، وقد حصل حقا المتحف البريطاني على نسخة منها لمكتبته .

في سنة ١٩٦٩ بدأ أستاذ سويدي أوسكار لوفجرن Oscer Lofgren ، بمساعدة الدكتور رناتو ترياني Renato Traini في إعداد فهرس شامل لمكتبة الأمبروزيانا بتمويل من البنك التجاري الإيطالي ، وهو نفس البنك الذي ساهم بتمويله في شراء مجموعة Caprotti سنة ١٦٠٩ . وصدر الجزء الأول[٢] من الفهرس سنة ١٩٧٥ والثاني سنة ١٩٨٠ . وصُنِّفت المخطوطات في هذا الفهرس على ثلاثة مجموعات حسب التاريخ الزمني لحيازتها ، وهذه المجموعات هي : المجموعة القديمة Antico Fondo ، والمجموعة المتوسطة Modio fondo ، المجموعة الحديثة Nouvo Fondo . ويضم الجزء الأول المجموعة القديمة والمتوسطة وتتكون من ٤٨٠ مخطوطا . أما الجزء الثاني فيشمل ٨٣٠ مخطوطا من المجموعة الجديدة ، ومن المفروض أن يضم الجزء الثالث بقية المجموعة الجديدة .

أرجو أن أكون قد وفيت هذه المكتبة حقها من الدرس بما زدت على مَن سبقني ، ولهم فَضْلُ السبق .

---

(١) انظر مقالاً عن هذه القائمة في :

The Times Library supplement of November 28 , 1968 , p. 1348 .

(2) The Arabic Manuscripts in the Biblioteca Ambrosiana .

٣ - مكتبات أيرلندا :

لم تهتم أيرلندا [١] بالدراسات الإسلامية إلا منذ عهد قريب جداً بالقياس إلى إنجلترا وأكثر مكتبات أوروبا ، ومع ذلك فإن بها مجموعة من أنفس المخطوطات في أوروبا وهي مجموعة مكتبة تشستر بيتي . ومع أن هذا الرجل Alfred Chester Beatty لم يكن عالمًا ، ولا خبيراً بالثقافة الإسلامية وتراثها ، فإنه تمكن من جمع مخطوطات نادرة في غاية النفاسة ، لذا تستحق حياته وجهوده في جمع هذه المخطوطات وقفة موجزة [٢] . ولد Betty لعائلة أمريكية من أصل أيرلندي سنة ١٨٧٥ . بدأ حياته مهندسًا متخصصًا في المناجم والمعادن ، وفي سن الثامنة والثلاثين أصبح - نظراً لتفوقه وذكائه - مساعداً للمدير العام لشركة جُوجنْهِم للاستكشافات Goggenhiem Exploration Co. في هذه المرحلة من حياته كان قد استقر خارج الولايات المتحدة ، وأخذ في ابتياع أملاك في لندن والقاهرة . وفي عام ١٩١٣ على وجه التحديد وهو في الثامنة والعشرين صادف في القاهرة أول مخطوط مزيَّن منمنم تقع عينه عليه ، فعلق بقلبه وابتاعه ، كان هذا فاتحة تاريخ طويل يمليه الإعجاب بروعة المخطوطات الإسلامية خاصة ألوان المزيَّن منها والمنمنم ، وهو إعجاب قديم بالألوان خلال عمله

---

(١) ليس في أيرلندا مكتبة تضارع مكتبة تشستر بيتي في مقتنياتها من المخطوطات الإسلامية ، وإن كانت المكتبة الأخرى الوحيدة التي بها مجموعة مخطوطات إسلامية أقدم عهداً من تشستر بيتي ، وهي مكتبة Trinity College بدبلن أيضًا وهي تحتوي على أربعة وثلاثين مخطوطًا عربيًا ، وستة وستين مخطوطًا فارسيًا ، وخمسة مخطوطات تركية . وأقدم مخطوطات إسلامية اقتنتها هذه المكتبة أهداها الدكتور هَنْتِنْجدُن Huntingdon ، وهو أستاذ بكلية مِرتُن Merton في أكسفورد سنة ١٦٨٢ . وفي سنةَ ١٧٨٦ أهدى السير جور كوسلي Sir Gore Quseley مجموعة أخرى وهناك وصف تفصيلي لهذه المخطوطات صنعه T. K. Abbott سنة ١٩٠٠ بعنوان Catalogue of the Mnuscripts in the library of Trinity College .

(٢) انظر مقالاً عن حياته كتبه J. Lawton بعنوان The miner and the Manuscript ، نشر في مجلة أرامكو ، العدد : ٢ ، ٣ (مارس ، إبريل) سنة ١٩٨٧ ، ص٣٩ - ٤٠ .

في المناجم والمعادن . ومنذ ذلك التاريخ زاد وفر غناه ، فقد اشترى أسهما في مناجم الرصاص والزنك في سيبَرْيا ، ومناجم الماس في سيراليون ، ومناجم النحاس في زامبيا ، وربح من ذلك كثيراً ، فأنفق أموالاً طائلة في جمع المخطوطات النفيسة المزينة بالصور والمنمنات أو المكتوبة بخط مؤلفيها أو بخط مشاهير الخطاطين كابن البواب مثلاً . ولم تقتصر هذه المخطوطات على المخطوطات العربية فقط ، بل شملت أيضًا الفارسية والتركية والهندية زمن المغول . ولما كانت المجموعة العربية محطّ اهتمام الدارسين ، وقلمّا يلتفتون إلى بقية المجموعات الأخرى وفهارسها ، لذا ندرت الكتابة عن هذه المجاميع غير العربية . لذا رأيت أن أكتب عنها هنا بإيجاز تتمة للفائدة ، وعسى ألا أكون قد أخطأت الطريق .

١ - المخطوطات الفارسية : يبلغ عددها ٣٨٣ مخطوطًا [١]، وجميعها مخطوطات أصلية مزينة بالصور والمنمنات ، يرجع أقدمها إلى القرن الخامس عشر الميلادي ، وبينها مخطوطة في غاية النفاسة من أواخر القرن السادس عشر الميلادي للشهنامة ، كتبت خصيصًا للشاه عباس (١٥٨٢ - ١٦٢٩) .

٢ - المخطوطات التركية : ويبلغ عددها ٩٢ مخطوطًا [٢]، وبينها مخطوط عن تاريخ سليمان العظيم Sulicman The Magnificent مؤرخ سنة ١٥٧٩ ، ويُرجَّح أنه بخط الخطاط الشهير عثمان .

٣ - المخطوطات الهندية : وعددها ثمانية عشر مخطوطًا ، يعود أكثرها إلى عهد المغول خاصة الإمبراطور أكبر (١٥٥٦ - ١٦٠٥) ، وچاهناچاز (١٦٠٥ -

---

(١) قارن ذلك بما ذكر الدكتور أيمن فؤاد سيد (الكتاب العربي المخطوط ٢ : ٥١٩) ، حيث ذكر أن عدد المخطوطات الفارسية ٤٥٤ مخطوطًا !

(٢) وذكر أيضًا أن عدد المخطوطات التركية ١٥٨ ! والحقيقة أن العدد الصحيح هو ١٧٤ ، لأن ٨٢ مخطوطًا تركيا لم تفهرس بعد . وقد شاهدتها بنفسي ، كما ذكر ذلك أيضًا في كتابه المذكور قبلُ . وانظر أيضًا . Oriental Manuscripts in Europ and North America , p. 248 .

١٦٢٨) وشاه چاهان (١٦٢٧ - ١٦٥٨) ، فقد استطاع ثلاثتهم جذب كبار الفنانين إلى بلاطهم ، لذا تمتاز هذه المجموعة من المخطوطات بالتصاوير النادرة التي تميز الثقافة الهندية - الفارسية .

صدرت لهذه المجموعات غير العربية فهارس ، كان أولها تاريخًا فهرس المخطوطات الهندية الذي صنعه توماس أرنولد Thomas Arnold ثم نقحه ونشره J. V. S. Wilkinson في ثلاثة أجزاء ، ضم الجزء الأول وصفًا تفصيليًا للمخطوطات ، بينما اشتمل الجزء الثاني والثالث على لوحات لهذه المخطوطات تبلغ مائة وثلاث لوحات ، من بينها تسع عشرة لوحة بالألوان [١] . أما المخطوطات التركية فقد صنع فهرسها V. Minorsky ، وقدّم له Wilkinson ، وهو يشمل وصفًا تفصيليًا لاثنين وتسعين مخطوطًا (رقم ٤٠١ - ٤٩٣) ، ويضم اثنتين وأربعين لوحة [٢] . أما الفهرس الثالث[٣] فهو يقع في ثلاثة أجزاء للمخطوطات الفارسية والمخطوطات المنمنمة . يشمل الجزء الأول المخطوطات رقم ١٠١ إلى ١٥٠ بالإضافة إلى تسع وثلاثين لوحة ، وقام بصنعه G. Blochet و M. Minovi و A. J. Arberry ونشره بعد المراجعة J. V. S. Wilkinson سنة ١٩٥٩ . ويضم الجزء الثاني المخطوطات رقم ١٥١ إلى ٢٢٠ ، وبه ثلاث وأربعون لوحة ، وضعه E. Blochet و J. V. S. Wilkinson و B. W. R. obinson و M. Minovi ، وحرّره J. A. Arberry ونشره سنة ١٩٦٠ . ويحتوي الجزء الثالث على المخطوطات رقم ٢٢١ - ٣٩٨ ، ويضم ثلاثًا وأربعين لوحة ، قام بعمله J. A. Arberry

(1) Thomas W. Arnold . A Catalogue of indian Manscripts. Revised and Edited by J. V. S. Wilknson. (Oxford University press, 1936) .

(2) V. Minorsky. A Catalogue of the Turkish Manuscripts and Miniatures (Dublin : Hodges, Figgis, 1958).

(3) A Catalogue of the persian Manuscripts and Miniatures (Dublin : Hodges, Figgis, 1959 - 1962) .

و B. W. Robinson و E. Blochet و J. V. S. Wilkinson ، ووضـــع له ثَبـَتـا جـامعا وحـرَّره ونشـره J. A. Arberry سنة ١٩٦٢ . وأكـثـر هذه المخطوطات Jean Watson الشـرقـيـة عـدداً وقـيـمـة هي المخطوطـات العـربيــة وتبلغ ٢٤٩٩ مـخـطـوطـًـا ، بالإضـافة إلى ٢٣٠ مصـحفًا [١]، ويقع في بعض المصـادر أن عـدد المصـاحف هو ٢٤٤[٢]! والذي لا شك فيه أن العـدد الذي فـهرس هـو ٢٣٠ ، كـمـا تذكر هــذه المصـادر نفسـها [٣] أن عــدد مـخطـوطات العــربيـة التي جـمعـها Chester Beatly هو ٢٨٩٦ مـخطوطًا ، بينمـا الثـابت هو ٢٤٩٩، وهــو العـدد الذي يظهــر في فـهرس Arberry [٤]. ويشمل الفهرس ثمانية أجزاء، بيانها كالتالي :

- القسـم الأول : يشمل المخطوطات من رقم ٣٠٠١ إلى رقم ٣٢٥٠
- القسم الثـاني : يشمل المخطوطات من رقم ٣٢٥١ إلى رقم ٣٥٠٠
- القسم الثالث : يشمل المخطوطات من رقم ٣٥٠١ إلى رقم ٣٥٧٠

---

(١) تضم هذه المجموعة مصاحف نفيسة من مختلف البلاد الإسلامية ، من أفريقيا غربًا إلى الصين شرقًا مكتوبة بخطوط غاية في الإتقان ، ويُظَن أن إحداها بخط علي بن هلال البواب ، ومؤرخ سنة ٣٩١هـ ، وهو المصحف الوحيد الذي وصلنا بخط ابن البواب . وإن شاء الله وأذن أفردتُ هذه المجموعة بدراسة مستفيضة ، وقد صنع لهذه المجموعة فهرسًا ضم وَصفًا مقتضبًا لمئتين وثلاثين مصحفًا ، وأعطاها أرقاما من ١٤٠١ إلى ١٦٣١ ، وألحق بالفهرس سبعين لوحة ، منها عشر بالألوان ، والفهرس هو : The Koran illuminated : A Handlist of The Koran in the Chester Beatly Librry (Dublin : Hodges, Figgis, 1967).

(٢) الكتاب العربي المخطوط ٢ : ٥١٩ ، وانظر أيضًا كتاب Pearson الذي مضى ذكره ، ص: ٢ ، ٤ .

(٣) الكتاب العربي المخطوط ٢ : ٥١٩ . ويذكر في كتابه الذي مرَّ ذكره ص : ٥٠ أن عدد المخطوطات هو ٢٥٠٠ .

(4) A. Arberry. The Chester Beatly Library. A Hand List of The Arabic Mnu-scripts (Dublin : Emery Walker, 1955 - 66) .

- القسم الرابـع : يشمل المخطوطات من رقم ٣٥٧١ إلى رقم ٤٠٠٠
- القسم الخامس : يشمل المخطوطات من رقم ٤٠٠١ إلى رقم ٤٥٠٠
- القسم السادس : يشمل المخطوطات من رقم ٤٥٠١ إلى رقم ٥٠٠٠
- القسم السـابع : يشمل المخطوطات من رقم ٥٠٠١ إلى رقم ٥٥٠٠

وقبل أن أذكر الجزء الثامن ، يجدر أن أشير إلى أن كل فهرس من هذه الفهارس السبعة يضم خمسا وثلاثين لوحة مختارة لبعض المخطوطات النفيسة . وقد ألحق بالأجزاء الأربعة الأولى كشافات تفصيلية بأسماء المؤلفين . ثم توقف ذلك في الأجزاء الباقية لأن العزم كان قد استقر على إلحاق كشافات جامعة بالجزء الأخير ، لذا ضم الجزء الثامن والأخير صفحة واحدة للاستدراكات ، ثم كشافًا بأسماء المؤلفين من ص : ١-٦٤ ، ثم كشافًا بعناوين المخطوطات ، ثم نماذج لثلاثين لوحة من نوادر المخطوطات . وهذا الجزء الثامن صنعته[1] Ursula Lyons .

وذكر المشرف على طبع هذه الفهارس - في مقدمة الجزء الأول - أن النيّة كانت معقودة على وصف كل مخطوط وصفًا تفصيليًا ، ولكن ضخامة المجموعة حالت دون ذلك ، إذ لو تم الأمر على الوجه الذي أرادوا لزاد عدد الفهارس على ضعف ما هو عليه الآن .

لم يتبع المفهرس نهجًا واضحًا معينًا في فهرسة هذه المخطوطات ، فهي ليست مرتبة ترتيبًا هجائيًا حسب عناوينها . أو موضوعاتها ، أو مؤلفيها . ولكن الشيء الذي لفت نظري أن كل جزء يضم بعض المخطوطات التي تتميز بشيء يفردها عن غيرها ، وسأعطي مثالاً واحدًا من كل جزء تدعيمًا لما قلت ، فالمخطوط رقم ٣٠٠١

(1) Ursula Lyons. The Chester Beatly Library. A Hand List of The arabic Manuscripts (Dublin : Hodges, Figgis & Co. , 1966) .

في الجزء الأول هو موطأ الإمام مالك، نسخه محمد بن محمد بن علي سنة ٢٧٧هـ، وهو مكتوب بخط مغربي غاية في الإتقان، وكذلك المخطوط الذي يليه رقم ٣٠٠٢ هو أقدم نسخة لكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام، وقد فصّل القول في تاريخها أستاذنا العلامة محمود محمد شاكر رحمه الله في مقدمة الكتاب (١: ١٠-١١).

وفي الجزء الثاني المخطوط رقم ٣٣٧٠ وهو أدب الكاتب بخط الجواليقي وعليه سماعات وقراءة عليه في الصفحة الأخيرة.

وفي الجزء الثالث المخطوط رقم ٣٥٠٧ وهو التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، بخطه، وعلى هذه النسخة سماع، قرأها عليه الشطرنجي البغدادي في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٥٦هـ.

وفي الجزء الرابع المخطوط رقم ٤٠٠٠، وهو المواقف، لمحمد بن عبد الجبار النفري، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، وهو جزء من كتاب في التصوف، يقع في إحدى وثلاثين ورقة، مكتوب بخط كوفي نفيس، كتبه المؤلف نفسه سنة ٣٤٤هـ، ووقفه في الصفحة الأخيرة على أولاده.

وفي الجزء الخامس المخطوط رقم ٤١٧٨ نسخة نفيسة من الكواكب الدّرّيّة، مكتوبة بخط ثلث جميل في القاهرة في شعبان سنة ٧٠٧هـ.

وفي الجزء السادس المخطوط ٤٦٢٥ وهو جامع الأصول لمجد الدين بن الأثير، تام الضبط، وعناوين الأبواب والفصول مكتوبة بخط أسود كبير، كتبه المؤلف بخطه سنة ٥٩٦هـ.

والملاحظ أن هذه الفهارس أشبه بنظام القوائم، فأكثرها في غاية الاقتصار - وقد نبهنا إلى ذلك الأستاذ Wilkinson في تقديمه للفهارس، كما مر - على الوصف المادي للمخطوط. وسوف أعطي أمثلة قليلة مبيّنًا هذا المنهج. قال عن المخطوط رقم ٣٠٠٩ (الجزء الأول، ص: ٣):

« تفسير غريب القرآن ، لأبي بكر محمد بن عمر بن أحمد بن عُزَيْز السجستاني (-٣٣٠/ ٩٤١) . وهو قاموس للكلمات النادرة في القرآن . وأكثر ما يعرف هذا الكتاب باسم نزهة القلوب في غريب القرآن . عدد الأوراق ٧٦ ، المقاس ٢٣,٧ × ١٥,٥ سم . خط نسخ نفيس ، نسخه أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (- ٥٣٩/ ١١٤٥) في ١٦ ذي القعدة سنة ٤٩٩ (٢٠ يوليو ١١٠٦) ».

وهذا الوصف لا يفي هذا المخطوط النفيس حقه ، وقد دوّنت عنه في دفاتري قديمًا ما يلي :

هذه النسخة عليها سماع الجواليقي ، قرأه عليه السلطان المظَّفر ، وأثبت ذلك الجواليقي فقال : «قرأ عليّ السلطان المظفر العالم العادل شرف الدنيا والدين أبو المظفر عيسى ، ابن مولانا السلطان الأعظم الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، نصرهما الله ونصر الإسلام بهما قراءة تهذيب وتصحيح . ورويته له بالإسناد المذكور فوق البسملة بخطي ، وذلك في ربيع الآخر من سنة ست وخمس مائة » . كما نجد في صفحة العنوان قراءة أخرى ، يقول الجواليقي : « قرأ عليّ هذا الكتاب من أوله إلى آخره الشيخ الفاضل زيد بن الحسن الكندي» [1] .

كما أن المفهرس لم يهتم بآخر المخطوطة ، وإذا نقل منها شيئًا فهو لايجدي نقيرًا ، مثال ذلك المخطوط رقم ٣٣٧٠ (الجزء الثاني ص : ٥٢ - ٥٣) :

أدب الكاتب ، لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي (-٢٧٠/ ٨٨٤) . رسالة مشهورة في الخط والمعاجم . عدد الأوراق ١٢٤ . المقاس

---

(١) هو زيد بن الحسن بن زيد ، ينتهي نسبه إلى ذي رُعَيْن الأصغر اليمني ؛ بغدادي المولد والمنشأ، دمشقي دارا ووفاة . حفظ القرآن الكريم في صغره وقرأ بالقراءات الكثيرة وله عشر سنين . قرأ النحو على ابن الشجري وابن الخشاب ، واللغة على الجواليقي . وله مشيخه كبيرة على حروف المعجم . انظر ترجمته في إنباه الرواة ٢ : ١٠-١٤ والمصادر المذكورة فيه .

٢٥,٣ × ١٧,٥سم . خط عالم متقن . الناسخ : عبد الرحمن بن علي الجوزي (-٥٩٧/ ١٢٠٠) . تاريخ النسخ ٥٤٣/ ١١٤٨ . على هذه النسخة تعليقات مثيرة للاهتمام .

وتاريخ النسخ واسم الناسخ منقولان من الصفحة الأخيرة للمخطوط ، ولم ينص المفهرس على ذلك . وهذه الصفحة الأخيرة في غاية الأهمية ، وإليك ما دونتُه عنها أثناء زيارتي للمكتبة : « فرغ من نسخه عبد الرحمن بن علي الجوزي في محرم سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة حامداً لله ومصليا على رسوله محمد النبي وآله أجمعين . قرأ عليّ الشيخ الأجل العالم شمس الدين أبو السعادات محمد بن المبارك بن محمد بن الحسين السلمي ، أحسن الله توفيقه ونفعه بالعلم ، هذا الكتاب معارَضًا بالأصل . وقرأت هذا الكتاب سنة أربع مائة وخمس وخمسين في مجالس آخرها شهر رجب من السنة المذكورة على الشيخ الأجل العالم الأوحد حجة الإسلام أبي محمد إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ، المعروف بالجواليقي رضي الله عنه . وكان قد قرأه على والده . . وكان الفراغ من كتابته سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . فالحمد لله وصلاته على سيدنا محمد وآله وسلامه . كتبه أحمد بن محمد بن عمر الموسوي البغدادي .

فهذه نسخة كتبها علامة عصره وإمام وقته في الحديث ، وعليها قراءة على إمام من أئمة اللغة وهو الجواليقي ، ومعارضة على الأصل .

والأمثلة كثيرة جداً على منهج القوائم في هذا الفهرس ، وعلى إهمال ذكر ما في الصفحة الأخيرة ، ولولا خشية الإطالة لأوردت أمثلة كثيرة . على أننا لا نعدم مصادفة المنهج الوصفي من آن لآخر ، خاصة في وصف المجاميع ، وهاك مثالاً واحداً ، وهو المخطوط رقم ٣٣٢٤ (الجزء الثالث ص : ١١-١٤) ، وهي مجموعة تحتوي على خمسة مخطوطات في الحديث والقرآن . وصف أربعة منها

وصفًا مختصراً هو بمنهج القوائم أشبه ، ولكنه خص المخطوطة الأولى وهي تقع في أربع عشرة ورقة بشيء من التفصيل ، فقال :

تحتوي هذه النسخة على تعليقات نفيسة ، ففي الورقة ٢أ تعليق بخط شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة (-٧٠٨/ ١٣٠٩) كتبه في جمادى الأولى سنة ٦٨٠/ سبتمبر ١٢٨١ . والورقة ١١ب تسجل قراءة على عليّ بن مسعود بن نفيس الموصلي الحلبي (-٧٠٤/ ١٣٠٥) ، وتاريخها الخميس ٢٥ رمضان ٦٨٤/ ٢٤ نوفمبر ١٢٨٥ . وعلى الورقة ١٤أ قراءتان على ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي (-٦٤٣ / ١٢٤٥) كلتاهما بخطه ، الأولى سنة ٦٢٥ ، والثانية سنة ٦٣٣ . أما الورقة الأخيرة ١٤ب فعليها قراءة مؤرخة يوم الاثنين ١٧ محرم سنة ٦٣٣/ ٩ نوفمبر ١٢٦٤ بخط إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الخبّاز (-٧٠٣/ ١٣٠٤) . فهذا منهج وسط يُعْرَف بالمنهج الوصفي أو التوصيفي . ولكنه نادر كل الندرة كما ذكرت . وهذا المنهج في جملته - أعني منهج القوائم - لا يختلف عما اتبعه صلاح الدين المنجد في فهرسة بعض مخطوطات مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا كما شرحت قبل ، وهو منهج مُخِلّ لا يعين الباحث كثيراً في استكناه المخطوط الوارد في فهرس القوائم هذا [1] .

بقيت كلمة أخيرة عن مكتبة تشستر بيتي وكيف استقرت في أيرلندا ، وهي بلد كما نعلم ليس لها أي اتصال تاريخي بالعالم الإسلامي ، ويسودها المذهب الكاثوليكي . كان تشستر بيتي قد عزم على إهداء مكتبته للمتحف البريطاني ، فقد عاش في إنجلترا سنين كثيرة ، ومُنِح الجنسية البريطانية عام ١٩٣٣ ، وأُنْعِم عليه

---

(١) مثال آخر على فهرسة منهج القوائم المخطوط رقم ٣٥٨١ (الجزء الرابع ، ص: ٣٤) : التطفيل ، للخطيب البغدادي (-٤٦٣/ ١٠٧١) ، ٢٨ ورقة ، مقاس ١٩,٥ × ٢٣ سم . خط نسخ مدور . بدون تاريخ نسخ . الترجيح : مكتوب في القرن السادس .

بلقب فارس Knight بعد الحرب العالمية الثانية ، تقديراً لجهوده ومساعداته خلال هذه الحرب . ولكن جرت الرياح بما لاتشتهي السفن ، فمن ناحية رفض المتحف البريطاني أن يفرد مبنى خاصًا لمجموعة تشستر بيتي ، وأن يسمي هذا المبنى باسمه ، ومن ناحية أخرى فرضت الحكومة البريطانية قيوداً شديدة على تحويل الأموال المودعة في بنوكها إلى الخارج ، لذا لم يُسْمَح لتشستر بيتي بتحويل أمواله لشراء ما يحتاج إليه من بلاد أخرى . دفع هذا العاملان تشستر بيتي إلى الهجرة إلى أيرلندا ، وإليها يرجع أصل عائلته كما ذكرت في فاتحة الكلام عنه ، فاستُقبل هناك استقبالاً حافلاً ، ووافقت الحكومة الأيرلندية على طلبه فأودعت المجموعة مبنى في إحدى ضواحي دبلن الهادئة وأطلقت اسمه على المكتبة ، وخُصِّصت لها ميزانية دائمة من مكتب رئاسة الوزراء . ولما مات تشستر بيتي عام ١٩٦٨ دُفن في احتفال مهيب كالذي يقام لرؤساء الدولة (١).

٤ - مكتبات فرنسا :

ترجع علاقة فرنسا بالشرق الإسلامي إلى أوائل القرن الثامن الميلادي وعلى وجه التحديد سنة ٧١١ ، عندما عبرت الجيوش العربية جبال البرنيس Pyrences ، وأقامت أول مستوطنة عربية في الجنوب الشرقي عند مدينة ناربون Narbonne . وتوالى زحف الجيوش العربية شمالاً في وادي الرون Rhone فاستولت سنة ٧٢٥م على كراكسون Caracassonne ونيمز Nimes . وفي سنة ٧٣٢ استطاع عبد الرحمن الغافقي أن يأخذ مدينة بوردو ثم تقدم شمالاً نحو مدينتي تورز Tours وبواتيرز Poitiers ، ولكن الجيوش الفرنسية تمكنت من هزيمة الجيوش العربية واستطاعت أن تستعيد كل المدن الفرنسية . ولم يكتف الإمبراطور شارلمان Charlemagne بطرد

(١) انظر كتاب Stephan Roman ، ص: ٥١ ، وقد مضى ذكر هذا الكتاب في الهوامش السابقة .

الجيوش العربية من جنوب فرنسا ، بل تعقبها داخل إسبانيا ، فشنّ في سنة ٧٧٨ حملة ضد سرقُطة Zaragoza ولكن الجيوش العربية فلّت جموعها ، فعاود الكرَّة مرة أخرى سنة ٨٠١م للاستيلاء على برشلونة Barcolona وانتهى الأمر بعقد صلح بين الجانبين .

والعجيب أنه خلال هذا الصراع وفي القرنين التاليين أقبل الفرنسيون على النهل من منابع الثقافة العربية في إسبانيا حتى قيل : «إن الشمال إذا أراد الاستفادة من أفضل العلوم والطب والزراعة والصناعة ، والحياة المتحضرة فليذهب إلى إسبانيا لتعلم كل ذلك» [1] .

وخلال الصراع العربي - الإسباني أعلن البابا ألكسندر الثاني Alexander II عفواً عامًا عن كل المسيحيين الذين يقاتلون في سبيل الصليب في إسبانيا ، هذا الوعد أعطى الصراع بين العرب والإسبان صبغة مسيحية عالمية ، فاندفعت الجيوش الفرنسية لمؤازرة مسيحيي الإسبان في صراعهم ضد الإسلام لا في إسبانيا وحدها ، وإنما أيضًا لتحرير الأراضي المقدسة من قبضة المسلمين ، وذلك حين دعا البابا أرْبان الثاني Urban II إلى أول حملة صليبية على الأراضي المقدسة سنة ١٠٩٥ ، ولم يتخلف الفرنسيون عن أي حملة صليبية ، ولما كان لمصر دور بارز في صدّ هذه الهجمات الصليبية قاد الملك لويس التاسع بنفسه Louis IX حملة لغزو مصر سنة ١٢٩٤ ، ولكنها باءت بالفشل وانتهت بأسره كما هو معروف .

خلال هذه القرون الثلاثة من الصراع العسكري استفاد الفرنسيون من الحضارة العربية فقد كانت دراسة الطب والعلوم والزراعة والهندسة أكثر تقدمًا من مثيلاتها في الغرب . وكما حمل هؤلاء الصليبيون معارف شتى إلى بلادهم ، فالذين استقروا منهم بالأراضي المقدسة بذلوا محاولات جادة لفهم الإسلام والحضارة العربية ، وكان من نتاج ذلك كتاب يُعدّه الباحثون من أفضل

(1) Heaton, H. Economic History of Europe (2nd ed), New York. 1948, P. 8.

كتب التاريخ في العصور الوسطى وهو كتاب ألفه William, Archbishop of Tyre ، بعنوان : Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum ، أي : تاريخ الحوادث التي جرت في ما وراء البحار .

مما سبق نرى أن احتلال العرب لأجزاء من جنوب فرنسا من ناحية ، والحملات الصليبية ضد ديار الإسلام من ناحية أخرى جعلت العلاقة بين الشرق وفرنسا علاقة عدائية ، ثم ازدادت هذه العلاقة سوءاً بظهور الدولة العثمانية واستيلائها على معقل المسيحية في القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وزحفها على أوروبا الشرقية .

هذا الاتجاه العدائي صاحبه ثلاثة اتجاهات تكاد تكون على النقيض منه ، اتجاه سياسي ، واتجاه اقتصادي ، واتجاه ثقافي . أما الاتجاه السياسي فإن خوف فرنسا من قوة هاسبرجز Hasburgs المتزايدة دفعها إلى التحالف مع تركيا ، فعقد الملك فرانسيس الأول (١٤٩٤ - ١٥٤٧) معاهدة سرية[1] سنة ١٥٢٨ مع السلطان سليمان (١٥٢٠ - ١٥٦٦) تقوية وإعانة على الهاسبرجز ، والقيام بهجوم فرنسي - تركي على إيطاليا إذا استفحل الأمر ، وعرفت هذه المعاهدة أو الاتفاقية باسم Cpitulations ، غير أن هذه المعاهدة أباحت لفرنسا حق التمثيل الدبلوماسي ، فوصل أول سفير فرنسي Jean de La Forét إلى إستانبول سنة ١٥٣٤ وقد عمل على حماية المسيحيين المقيمين لا في تركيا وحدها بل في كل الأراضي التي كانت تحت سلطان الدولة العثمانية . ثم ساعد الاتجاه الاقتصادي على ازدياد العلاقة بين فرنسا وتركيا ومن ثم في أراضي الدولة العثمانية حين وقّع الملك شارلز التاسع Charles IX (١٥٥٠ - ١٥٧٤) اتفاقية تجارية مع السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤) ، ونصت الاتفاقية على أن تتعهد فرنسا ألا يتّحد الغرب المسيحي ضد الإسلام أبداً ، وفي

(1) Fraze, C. A. Catholics and Stultans : The Church and the Ottoman Empire 1453 - 1923 (London : CUP, 1983) , p. 70 .

نظير ذلك تحصل فرنسا على امتيازات تجارية في كل أراضي الدولة العثمانية . هذان الاتجاهان السياسي والاقتصادي زادا الاتجاه الثقافي قوة ، فقد مر بنا أن العلماء الفرنسيين أقبلوا على الثقافة العربية الإسلامية بغية فهم الإسلام وحضارته ، وساعد على ذلك أن فرنسا شهدت نهضة فكرية واسعة في القرن السادس عشر . وعكف بعض فلاسفة فرنسا من أمثال Jean Bodin و Guillaume Postel على دراسة الإسلام من خلال دراسة الكتاب المقدس في محاولة لإيجاد بعض التعاليم المشتركة . وأجاد Postel العربية والفارسية والتركية ، وفي سنة ١٥٧٥ أصدر كتابًا عن تاريخ الإسلام وحضارته ، بعنوان Des Histoires Orientales ، بينما ضمَّن Bodin كتابه Colloquium Heptplomeres خطبة من مسيحي اعتنق الإسلام ، يعرب فيها عن سعادته بما فعل ولا يندم ألبتة على تركه المسيحية . وكان غرض Bodin من استعمال هذه الخطبة حث المجتمع الفرنسي على تقدير الإسلام واحترامه .

لفتت مثل هذه الدراسات أنظار الدولة ، فاهتم ملوك فرنسا شخصيًا بتنمية الدراسات عن الإسلام ، فأرسل الملك لويس الرابع عشرLouis XIV (١٦٦١ - ١٧١٥) بناء على نصيحة وزيره Colbert بعثة إلى بلاد الشرق الأدنى والشرق الأقصى لجمع المخطوطات الإسلامية بقصد الدراسة والتعلم والبحث ، ووطد العلاقات مع الدولة العثمانية فجدّد الاتفاقية التي أشرت إليها سلفًا سنة ١٦٧٣ . على أن ما يميز القرن السابع عشر في اهتمام فرنسا بالإسلام هو ظهور كتاب كان له تأثير عميق لا على فرنسا وحدها ، بل على الغرب المسيحي كله ، ألفهBarthélémy d,Herbelot سنة ١٦٩٧ ، بعنوان Bibliothéque Orientale . ولم يكن هذا الكتاب مجرد تاريخ للإسلام ، ولكنه إلى جانب ذلك يحوي دراسة عميقة للعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية في البلدان الإسلامية [1].

---

(1) Said, Edward. Orientalism (London : Routledge, Kegan and Paul , 1987) p. 110 .
وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية

وبدخول القرن الثامن عشر تزداد صلة فرنسا بالشرق ، وهو أمر معروف لا أريد تكراره ، وإنما رميت هنا إلى بيان هذه العلاقة منذ بواكير الإسلام حتى القرن السابع عشر ، لأنه تاريخ غير مطروق ، فقد درجنا على تأريخ علاقة فرنسا بالشرق بدخول الحملة الفرنسية إلى مصر في سنة ١٧٩٨ ، غير أني أحب أن أشير إلى كتاب ظهر في أوائل القرن الثامن عشر ، وعلى التحديد سنة ١٧٠٤ ، وكان له تأثير كبير على مفهوم الإسلام والشرق لدى الغرب ، وهو كتاب ألف ليلة وليلة الذي ترجمه إلى الفرنسية Antoine Galland ، ومنذ ذلك التاريخ ارتبط الشرق والإسلام في أذهان الغرب المسيحي بعالم السحر والجن ، والحريم والإغراء ، والمؤامرات والمكايد .

لا جرم إذن - بعد ما قدمت في إيجاز - أن تقتني بعض المكتبات في مختلف مدن فرنسا مخطوطات شرقية ، وأكثر المدن اقتناء لهذه المخطوطات هي باريس بطبيعة الحال فنجد فيها المكتبة الوطنية La Bibliotéque Nationale ، ومدرسة اللغات الشرقية الحية L' Ecole des Langue Orientales Vivantes ، والجمعية الآسيوية L Société Asiatique ، والمعهد الفرنسي L'institut de France . وهناك على الأقل خمس عشرة مدينة فرنسية تحتوي بعض مكتباتها على مخطوطات شرقية ، وأهم هذه المدن هي بوردو Bordeux ، وأفجنون Avignon ، وستراسبورج Strasburg ، ومرسيليا Marselle . وليس هناك في فرنسا مكتبة تضارع المكتبة الوطنية في ما تحتويه من كتب ومخطوطات .

٥ - المكتبة الوطنية :

وكانت المكتبة الوطنية[1] في أول الأمر تعرف بالمكتبة الملكية La Bibliotéque de Roi ، وتعود إلى عهد الملك لويس الثاني عشر (١٤٩٩ - ١٥١٥) ، وبعد ثلاث

(١) للمكتبة الوطنية انظر : المستشرقون لنجيب العقيقي ١ : ١٥٥ - ١٥٧ ، دراسات في علم المخطوطات ، للدكتور : أحمد شوقي بنبين ، ص : ٩٩ - ١٠٠ ، الكتاب العربي المخطوط ، للدكتور أيمن فؤاد سيد ١ : ١٥٥ - ١٥٨ ، ٢ : ٥١٢ - ٥١٥ .

سنوات من تولي فرانسيس الأول Francis الحكم ضمت المكتبة ١٦٢٦ مجلدًا بينها مخطوطتان عربيتان[١] . وكان فرانسيس الأول محبًا للعلم شغوفًا بجمع الكتب والمخطوطات ، فضمت مكتبته مخطوطات يونانية ولاتينية وفرنسية وعربية . وفي سنة ١٥٤٤ انتقلت المكتبة الملكية من من بُلُوَا Blois إلى فونتينبلو Fontainebleau ، وأوضح الجرد الذي تم عند النقل أن بالمكتبة ٤٠ مخطوطًا شرقيًا من بينها ستة مخطوطات عربية ، وهذه الستة تحمل الآن في الفهرس الجامع الأرقام ٣٩٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ١٠٥٥ ، ١٠٧٧ وعليها خاتم الملك هنري الثاني[٢] Henry II (١٥٤٧ - ١٥٥٩)، الذي أولى المخطوطات العربية اهتمامًا خاصًا يتضح في إنشائه قسم التجليد بالمكتبة ، لتجليد المخطوطات الإسلامية خاصة[٣] . وفي عهد الملكة كاثرين دي مديتْسي Catherine de Medici (١٥١٥ - ١٥٨٩) أضيفت خمسة مخطوطات عربية إلى المكتبة الملكية[٤] . وفي عهدها نقلت المكتبة الملكية إلى باريس سنة ١٥٧٠ . ومنذ انتقال المكتبة الملكية إلى باريس لم يضف إلى المخطوطات العربية لمدة قرن من الزمان تقريبًا إلا عدد ضئيل جدًا . ولم تكن هذه الإضافة نتيجة شراء أو اقتناء ، وإنما صدر أمر ملكي في ٨ مارس سنة ١٦٢٢ بضمّ مكتبات خاصة يملكها الأساقفة Chartres و Philippe و Hurult إلى المكتبة الملكية[٥] . وهذا أمر مثير للدهشة ، لأن باريس كانت - ولاتزال - قلب فرنسا النابض ، تموج بالعلماء

(1) Hebson, A. Great Libraries (London: Wiedenfeld & Nicolson, 1970), p. 131.

(٢) انظر مقدمة زوتنبرج Zitenberg ، ص: ١ التي صدر بها فهرس البارون دي سلان De Slane ، وسيأتي الكلام عن هذا الفهرس بالتفصيل في ما بعد . وانظر أيضًا : Vajde, G. and Sauvin, y. Catalogue de Mnuscrits Arabes Deuxiéme Parte. Manuscrits Muslimans, Tome II (Paris: Bibliothéque Nationale, 1978), p. x.

(3) Steele, Colin. Major Libraries in the World : A Selective Guide (London : Bowker, 1976) , p. 80 .

(٤) انظر مقدمة زوتنبرج Zotenberg ، ص: ١ لفهرس دي سلان .

(5) Vida, G. and Sauvin, y. op. cit, p. x iv .

والشعراء والفلاسفة والفنانين ، كما كانت - ولا تزال - مقر الحكومة المركزية . والأعجب من هذا أن كثيرًا من المخطوطات العربية فُقد ، لأن فهرس المكتبة الملكية الذي صُنِع سنة ١٦٢٢ ثم سنة ١٦٤٥ لا يثبت إلا تسعة مخطوطات عربية [١].

ولكن ابتداء من عهد لويس الرابع عشر شهدت المكتبة الملكية توسعًا كبيرًا في جميع فنون مقتنياتها . وقد مر بنا أن لويس الرابع عشر كان مهتمًا بالمخطوطات العربية وأنه أرسل بعثات إلى الشرق الأدنى والشرق الأقصى لجمع المخطوطات العربية والإسلامية ، والفضل في ذلك يرجع إلى وزيره المستنير Colbert . فبدأ بشراء خمسة مخطوطات عربية من مكتبة Fouequet عندما عُرضت للبيع ، وفي سنة ١٦٦٧ سعى Colbert إلى ضم مكتبة العالم الشهير والقانوني البارز Gilbert Gaulmin ، وكانت تضم مئتين وثلاثة وثلاثين مخطوطًا عربيًا [٢]. وبعد ذلك بعام جاهد لاقتناء المخطوطات الإسلامية الموجودة بمكتبة Collége des Quqrte - Nations . وهذه المخطوطات جمعها الكاردينال Mazarin (١٦٠٢ - ١٦٦١) ، وأهداها سنة وفاته مع سائر مكتبته إلى مكتبة الكلية التي ذكرتها آنفًا. وبعد مفاوضات طويلة مع الكلية استطاع Colbert الحصول على مائة وأربعة وستين مخطوطًا عربيًا ، مقابل حصول المكتبة على بعض الوثائق المودعة في المكتبة الوطنية[٣] . إلى جانب جهوده الشخصية هذه ، أرسل Colbert بمعاضدة الملك لويس الرابع عشر كما مر بنا بعثات إلى الشرق لشراء المخطوطات الإسلامية . فأرسل Johann Vansleb سنة ١٦٧١ في بعثة إلى مصر والهلال الخصيب ، وفي أواخر هذه السنة قصد Vansleb إلى قبرص وسوريا ، ثم رجع إلى القاهرة مرة أخرى سنة١٦٧٣ ثم ذهب إلى تركيا سنة١٦٧٤ ، وبعد هذه السنوات الأربع عاد إلى فرنسا بستمائة مخطوط إسلامي ، بينها

(١) انظر مقدمة زوتنبرج Zotenberg ، ص: ١ لفهرس دي سلان .
(٢) ذكر Zotenberg في مقدمته ، ص: ١ أن عدد المخطوطات كان ٢٤٧ .
(3) Vida, G. and Sauvin, y. op. cit., p. xv .

ثلاثمائة وخمسة وتسعون مخطوطًا عربيًا[1] . ولم تكن بعثة Vansleb هي الوحيدة التي أرسلها Colbert ، فقد أرسل أيضًا في سنة ١٦٧٠ عالمًا متخصصًا في أمور الشرق الإسلامي ، وهو Jean - Francois Petit de La Croix إلى مصر وفلسطين وإيران وتركيا ، فعاد بأربعة عشر مخطوطًا . وفي سنة ١٦٦٩ أحضر بيير دياب Pierre Diyab ، وهو سوري من حلب خمسة مخطوطات عربية ، ثلاثة منها مكتوبة في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) . كما بعث Colbert أيضًا Antoine Galland – وهو الذي ترجم كتاب ألف ليلة وليلة كما مر بنا– إلى تركيا فرجع بتسعة عشر مخطوطًا . ثم أرسل Jean Foy - Vilant وهو طبيب مشهور (١٦٣٢-١٧٠٦)، لجمع المخطوطات الطبية والإسلامية . وفوق ذلك كله وجّه Colbert نداء إلى كل قناصل فرنسا وتجارها المقيمين بالشرق الأوسط ألا يألوا جهدًا في مساعدة فرنسا على حيازة المخطوطات الإسلامية .

كل هذه المخطوطات التي جمعت وصلت إلى Colbert أولاً ، وقام أمين مكتبته الخاصة Etienne Baluze بفحصها وتصنيفها قبل إرسالها إلى المكتبة الملكية ، وانتقى بعض هذه المخطوطات[2] – وحددها Zotenberg باثني عشر مخطوطًا – وأودعها مكتبة Colbert الخاصة .

مما سبق يتضح الدور الذي قام به Colbert في بناء المجموعة الإسلامية للمخطوطات العربية ، وقبل اعتزاله منصبه أُجري جرد للمكتبة الوطنية ، فوجد بها ٨٩٧ مخطوطًا إسلاميًا . ولم يخلف Colbert أحد يضارعه في حماسته وشغفه بالمخطوطات الإسلامية ، ولكن تعضيد ملوك فرنسا لما بدأه Colbert لم يتوقف على

(١) نفس المصدر السابق ، ص: xvi . وذكر Zotenberg في مقدمته لفهرس دي سلان ، ص: ١ أن عدد المخطوطات الإسلامية هو ٦٣٠ ، بينها ٤٣٠ مخطوطًا عربيًا .

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

الرغم من معاداة Maurice Le Tellier (١٦٤٢ - ١٧٣٧) - أمين المكتبة الملكية [١] - للمخطوطات العربية . وعلى الرغم من أنه أهدى المكتبة سبعة مخطوطات عربية ، فإن هذا الإهداء لم يكن دافعه تنمية المخطوطات الإسلامية ، ولكنه أراد أن يتخلص من هذه المخطوطات حتى تخلو مكتبته تمامًا من أي أثر إسلامي . وعندما أرسل الملك لويس الرابع عشر Galland إلى إستانبول لابتياع نوادر المخطوطات الشرقية ، نصح Le Tellier الملك بعدم شراء أية مخطوطات إسلامية ، ولكن الملك لم يأخذ بنصيحته . وفي خطاب أرسله Galland إلى Huet في ٢١ مارس ١٧٠١ أعرب عن تذمره من موقف Le Tellier ، فلم يتلق منه أية تعليمات بشراء مخطوطات إسلامية [٢] . ولكنه بدافع شخصي اشترى أجمل مخطوط رآه في حياته ، على حد تعبيره . وأنا أظنه يشير إلى مخطوط ألف ليلة وليلة الذي ترجمه كما مر بنا من وقبل . استمرت - كما ذكرت - مساندة لويس الرابع عشر لتنمية مجموعة المخطوطات العربية وشهدت السنوات الأخيرة من حكمه في أوائل القرن الثامن عشر جهودًا متصلة لشراء واقتناء المخطوطات الإسلامية . ففي سنة ١٧٠٠ أهدى طبيب سوري من دمشق واسمه نصر الله جلدا ثلاثة مخطوطات درزيّة إلى الملك لويس الذي أمر بضمها إلى المكتبة الملكية ولما توفي Melchisedech Thévenot سنة ١٦٩٢ - وكان أمينًا عامًا للمكتبة الملكية منذ سنة ١٦٨٤ حتى وفاته - بيعت مكتبته وكانت تضم مائة وخمسة وعشرين مخطوطًا عربيًا [٣] ، فأمر الملك لويس الرابع عشر بابتياع هذه المخطوطات ممن اشتروها لتستقر في المكتبة الملكية .

(١) لم أجد أحدًا حدد سنة تعيينه أمينًا للمكتبة ، وأرجح أنه تولاها بعد موت Thévenot سنة ١٦٩٢ ، ولكن لم يستطع أن يجاهر بعدائه للمخطوطات الإسلامية خلال وزارة Colbert ، فلما اعتزل هذا الأخير سنة ١٧٠٠ كان منه ما كان .

(2) Letter De Galland à Huet, Dtée de Caen, 21 Mars, 1701 (Ms. Francais 6138, p. 151) .

(٣) ذكر Zotenberg في مقدمته لفهرس دي سلان ، ص٢ أن عدد المخطوطات ستة وتسعون .

وبعد موت لويس الرابع عشر تابع Phillippe d' Orléans سياسته في تنمية المخطوطات الإسلامية ، فضم إلى المكتبة الملكية واحداً وعشرين مخطوطاً عربياً جمعها Pul Lucas خلال رحلتين إلى الشام سنة ١٧٠٨ ، ١٧١٨ . وفي سنة ١٧١٩ اقتنت المكتبة الملكية مجموعة المخطوطات العربية والفارسية والتركية التي جمعها Philibert de la Mar ولم يكن de lamar (١٦١٥ - ١٦٨٧) متخصصاً في دراسة الشرق الأوسط ، ولكنه كان مولعاً بكل ماهو قديم نفيس ، فجمع ستين مخطوطاً شرقياً في ما جمع . وكانت هذه المخطوطات مودعة في إحدى مكتبات بلدته Dijon ، فاستأذن أحد أمناء المكتبة الملكية وهو Jen - Paul Bignon (١٦٦٢ - ١٧٤٣) d' Orléans في نقلها إلى المكتبة الملكية فأذن له .

ولما تولى لويس الخامس عشر (١٧١٥ - ١٧٧٤) عرش فرنسا نَهَجَ نَهْجَ مَن سبقوه في تنمية المخطوطات الشرقية بالمكتبة الملكية فأرسل Michel Fourmont و François Sevin في بعثة إلى تركيا سنة ١٧٣١ ، فعادا بستمائة مخطوط[1] أكثرها عربي ، ويرجع الفضل في ذلك إلى جهود السفير الفرنسي في تركيا Marquiz de Villeneave الذي استطاع أن يجدد الاتفاقية المعروفة باسم Capitulations مرة ثالثة مع السلطان محمود الأول في ٢٨ مايو ١٧٤٠ ، وأعطت هذه الاتفاقية ببنودها الثلاثة والثمانين مكانة لفرنسا لا تضارعها فيه أي دولة أوروبية أخرى .

ولما مات Colbert ضُمّت مكتبته الشرقية سنة ١٧٣٢ إلى المكتبة الملكية وقوامها مائتان وستة وأربعون مخطوطاً عربياً وفارسياً وتركياً ، ووصف Vajda هذه المخطوطات بأنها أنفس ما تضم المكتبة الملكية[2] . وقبل وفاته أهدى

(١) انظر كتاب Stephan Roman ، ص: ٨٥ . وذكر Zotenberg في مقدمته لفهرس دي سلان ، ص: ٢ أن عدد المخطوطات هو مائتان .

(٢) Vajda, G. and Sauvin, Y. op. cit. p. xxii وذكر Zotenberg في مقدمته لفهرس دي سلان أن عدد المخطوطات الشرقية بمكتبة Colbert هو مائة وثمانية وثمانون مخطوطاً .

Benoit de Maillet أربعة وأربعين مخطوطًا إلى المكتبة الملكية . وكان Maillet قد شغل منصب القنصل العام لفرنسا والمشرف على المؤسسات الفرنسية بالشام مدة طويلة .

وفي سنة ١٧٧٠ ضُمت إلى المكتبة الملكية خمسة مخطوطات كانت في حيازة Michel Begou (١٦٣٨ - ١٧١٠) .

ولما تولى لويس السادس عشر (١٧٧٤ - ١٧٩٣) عرش فرنسا خبت الحماسة التي اتسمت بها عهود سابقيه ، ولم تقتن المكتبة الملكية إلا مجموعتين من المخطوطات الشرقية ، أهمها المجموعة الثانية[١] وهي مجموعة Etienne le Grand (١٧٢٤ - ١٧٨٤) جمعها خلال عمله كترجمان في إستانبول والإسكندرية وطرابلس والقاهرة وحلب ، ولما عاد عُيِّن مترجمًا للملك لويس السادس عشر في ما يختص بالمخطوطات الشرقية ، ولما مات سنة ١٧٨٤ عرضت مكتبته للبيع في المزاد ، وكان بينها ثلاثة وثلاثون مخطوطًا شرقيًا ، اشترت المكتبة الملكية منها عشرين مخطوطًا ، منها ثمانية مخطوطات عربية . ولا أحد يدري ماذا حدث للثلاثة عشر مخطوطًا الأخرى . وبإعدام لويس السادس عشر بعد أربع سنوات من قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ينتهي ما يعرف في تاريخ فرنسا بالعهد القديم Ancien Régine أو النظام القديم وتعرضت المكتبة الملكية لخطر داهم إبان السنوات الأولى للثورة الفرنسية ، فأُعدم اثنان من أمناء المكتبة ، ونادى بعض السياسيين المتعصبين بهدم المكتبة لارتباطها بالنظام الملكي الفاسد . ولكن المكتبة نجت من هذا الخطر المحيق بها ، بل وازدادت ازدهارًا ، لأن الكتب والمخطوطات التي صودرت من مكتبات الأرستقراطيين والأديرة استقرت في مخازن المكتبة الوطنية[٢] ، وبلغت

(١) ضمت المجموعة الأولى مخطوطات فارسية وهندية وسنسكريتية ، وستة مخطوطات عربية اشتراها للمكتبة الملكية Jean - Baptiste Gentil أثناء عمله في شركة الهند الشرقية في شمال البنغال .

(٢) غيرت الثورة الفرنسية اسم المكتبة الملكية Le Biblioléque de Roi إلى المكتبة الوطنية La Bibiotéque Nationale.

مائة ألف كتاب مطبوع وسبعين ألف مخطوط ، كان بينها مخطوطات عربية عددها ثلاثمائة وخمسون مخطوطًا ، جاء منها ثلاثمائة مخطوط من دير واحد وهو دير L' abbage de Saint - Germain - des - prcs [(١)] .

وبنجاة المكتبة الملكية من التدمير وتغيير اسمها إلى المكتبة الوطنية ، وازدياد مقتنياتها نتيجة للكتب والمخطوطات التي صودرت من مكتبات الطبقة الأرستقراطية وأصحاب المذاهب الدينية ، عاد إلى المكتبة نشاطها السابق في تنمية المخطوطات العربية والشرقية ، ففي سنة ١٧٩٦ أغلقت مكتبة السوربون أبوابها ، وكانت هذه المكتبة تتلقى نفائس المخطوطات الإسلامية ، ومن بينها مجموعة الكاردينال Richclien التي كانت تتكون من ثلاثمائة مخطوط عربي وفارسي ، فأرسلت هذه المخطوطات إلى المكتبة الوطنية .

شهدت السنة الأخيرة من القرن الثامن عشر حملة نابليون على مصر وتكوين معهد مصر Institut d' Egypt كما هو معروف ، ولكن ما يهمني هنا أن أذكر أن أكثر من عشرين مخطوطًا عربيًا وفارسيًا وتركيًا جمعها أعضاء هذا المعهد لأنفسهم أُرْسلت إلى المكتبة الملكية سنة ١٨٠٣ ، كما أرسلت البعثة ٣٢٠ مخطوطًا إلى المكتبة الوطنية . أما الزيادة الحقّة في عدد المخطوطات الإسلامية فكانت في القرن التاسع عشر ، فقد أضيفت تسعة مخطوطات إلى المكتبة في نفس السنة التي احتلت فيها فرنسا الجزائر ، وذلك في سنة ١٨٣٠ ، وفي سنة ١٨٣٤ أهدت إحدى كليات الجزائر ثمانية عشر مخطوطًا إلى وزير الحربية الفرنسي الذي أرسلها إلى المكتبة الوطنية . أما الزيادة التي لم تشهد لها المكتبة

---

(١) لم يذكر أحد عدد المخطوطات الإسلامية التي كانت في سائر الأديرة خاصة مجموعة Rue Saint - Honové أو Cordelier راجع كتاب Vajdaص xxiv من المقدمة .

الوطنية مثيلاً ، فتتمثل في ١٥١٥ مخطوطًا [١] جمعها القنصل الفرنسي في مصر Jean Loins Asselin de Cherville (١٧٧٢ - ١٨٢٢) وأهداها إلى المكتبة الوطنية سنة ١٨٣٣ .

وفي خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر أهدى مدير المدرسة الفرنسية في إستانبول Antoine du Caurray ستين مخطوطًا عربيًا للمكتبة الوطنية . وفي ١٨٣٥ اشترت المكتبة مجموعة من المخطوطات الإسلامية (لم يحدد أحد عددها) من ورثة Frédéric Schultz (١٧٩٩ - ١٨٢٩) وكانت الحكومة الفرنسية قد أرسلته في مهمة إلى الشرق الأوسط سنة ١٨٢٦ ، وقُتل في كردستان سنة ١٨٢٩ .

وفي سنة ١٨٦٦ أرسل Antoine (١٧٩٦ - ١٨٦٨) المعروف بكلُوت بك الذي كان مشرفًا على مستشفيات القاهرة ثمانية عشر مخطوطًا إلى المكتبة الملكية . ومن الجدير بالذكر أن الكاتب الفرنسي المشهور Gustave Flaubert خلال زيارته للقاهرة أثنى على الخدمات الصحية التي اضطلع بها كلوت بك[٢] .

وبعد ذلك بعام واحد ، أي في سنة ١٨٦٧ أهدى Eugéne Poujade ثمانية عشر مخطوطًا عربيًا إلى المكتبة الوطنية ، خمسة عشر مخطوطًا[٣] منها عن عقيدة الدروز . وكان Poujade دبلوماسيًا فرنسيًا وقضى سنينًا عدة بين الدروز في لبنان . وفي سنة ١٨٧١ اقتنت المكتبة الوطنية كتابًا جليلاً في ستة وثلاثين مجلدًا ، وهو قصة حب عنتر وعبلة Antar and Abla . اشتراه Armand Caussin de perceval

(١) ذكر Zotenberg في مقدمته لفهرس دي سلان ، ص: ٢ أن عدد المخطوطات ١٥٠٠ وكذلك ذكر Pearson في كتابه المذكور آنفًا ص : ٢٠٤ .

(2) Steegnuller, f. Flaubert in Egypt (London : Michael Haag , 1986) , p. 20 .

(٣) يذكر Zotenberg في مقدمته لفهرس دي سلان ، ص: ٢ أن عدد المخطوطات سبعة عشر ، وكلها عن العقيدة الدرزية .

(١٧٨٤ - ١٨٧١) ، وكان أستاذًا للغة العربية في Collége de France . وقام Marcel Devic بترجمته سنة ١٨٧٨ بعنوان :

Les Aventures d' Antar, Fils de Chadded. Roman Arab Des temps Ante - Islamiques

وكان لهذا الكتاب - كما كان لترجمة ألف ليلة وليلة - أثر بالغ على الثقافة الأوروبية [١].

شهد العقد الأخير من القرن التاسع عشر إضافتين كبيرتين إلى المكتبة الوطنية ، الأولى في عام ١٨٩٢ ، وقوامها ٥١٨ مجلدًا تضم أربعة آلاف مخطوط من مكتبة أحمد الكبير المدني ، وكان من كبار شيوخ سيجو Segou في غرب أفريقيا ، وكانت تقع في مالي الحالية ، وكانت مركزًا قويًا لاتحاد القبائل المسلمة في غرب أفريقيا الذي أنشأه والد الشيخ أحمد ، الحاج عمر (١٧٩٤ - ١٨٦٤) [٢].

أما الإضافة الثانية فكانت مجموعة Charles Schefer[٣] في سنة ١٨٩٩ ،

(١) يرى Blunt أن آداب الفروسية ، وشخصية الفارس النبيل ، والحب العفيف ، والأخلاق السامية المرتبطة بكل ذلك والتي بدأت في الظهور في الأدب الأوروبي مدينةٌ لسيرة عنترة.

(٢) دعا الحاج عمر اتحاد القبائل المسلمة إلى الجهاد سنة ١٨٥٢ ، واستطاع الاستيلاء على جزء كبير من غرب أفريقيا امتد من النيجر إلى أعالي السنغال . ورأى الفرنسيون في هذه الإمبراطورية الإسلامية خطرًا يتهدد نفوذهم في أفريقيا ، فأرسلوا حملة عسكرية سنة ١٨٩٠ واستطاعوا هزيمة ابنه الشيخ أحمد الكبير ، واستولوا على هذه المخطوطات ، وأرسلها قائد الحملة الكولونيل Lonis Archinard إلى المكتبة الوطنية . وتُعَدّ هذه المجموعة من أكبر المجموعات الأفريقية في أوروبا ، وهي في غاية الأهمية لدارس غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر . ولهذه المكتبة التي انتهبها الفرنسيون انظر :
Ghali, Noureddineg & Brenner, L. Inventaire de la Bibliothéque Umarienne de Segou (paris : Centre Nationale de la Recherche Scientifiqne, 1985).

(3) Derenbourg, H. "Les Manuscrits Arabes de La Collection Schefer à la Bibliothéque National," Journal des Savants. Mars - Juin 1901, pp. 178-209, 299-324, 374-393.

وتتكون من ٧٠٠ مخطوط عربي وفارسي وتركي ، وعدد المخطوطات العربية في هذه المجموعة هو ٤٠٦ مخطوطات . وفي نفس هذه السنة اقتنت المكتبة نسخة نفيسة من مقامات الحريري التي صورها الواسطي ومصحفًا متقن الخط جميله ، وقفه السلطان برقوق في أواخر القرن الثامن الهجري على مدرسته المشهورة ، بالقاهرة [١] .

واستمرت الإضافات إلى المكتبة الوطنية في القرن العشرين ، فأهدى Adolphe Decourdemanche مائة واثني عشر مخطوطًا بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٥ . وبعد وفاته سنة ١٩١٦ أهدت منفذة وصية ديكور دمانش الآنسة Wendling المكتبة ستة وأربعين مخطوطًا . وأكثر مخطوطات هذه المجموعة في الطب والفقه والنحو . ولكن فيها أيضًا نسخة عتيقة من مقامات الحريري ، وكذلك قطعة من الكشاف للزمخشري مكتوبة في أوائل القرن الثامن الهجري [٢] .

وفي نفس هذه السنة ، أي في سنة ١٩١٦ ، حصلت المكتبة الوطنية على مجموعة Georges Marteau (١٨٥٨ - ١٩١٦) . ولم أجد أحدًا ذكر عدد

(١) وانظر أيضا لوصف هذه المجموعة كتاب Vajda الذي سبق ذكره ، ص : xxix .

(٢) انظر وصف بعض المخطوطات النفيسة في هذه المجموعة في : بدون تاريخ Blochet, E. "une Collection de Manuscrits Musulimans," Revue du Monde. Musulmans .

وكان ديكوردمانش متخصصاً في الأدب الشعبي التركي ، وقضى وقتًا طويلاً في تركيا ومصر ، وأكثر مجموعته أتت من مكتبة الوزير التركي محمد كبريزهي باشا . وبين هذه المجموعة - مما لم يصفه Blochet في المقال السابق -مصحف من العصر المملوكي بخط نفيس متقن ، مذهب مزين ، وصفه Blochet في فهرسه لمجموعة ديكوردمانش ، انظر : Blochet, E. Inventaire des manuscrits Arab de la Collection Decourdemanche Bibliothéque Modern, Paris, 1906. ، وانظر أيضًا الكتاب العربي المخطوط للدكتور أيمن فؤاد سيد ٢ : ٥١٤ .

مخطوطات هذه المجموعة، وعظمها مخطوطات فارسية، وتضم مصحفًا بخط ياقوت المستعصمي نسخه سنة ٦٨٨هـ . وفي سنة ١٩٢٢ اقتنت المكتبة الوطنية مجموعة Henry Pogan (١٨٥٣ - ١٩٢١) سفير فرنسا لدى سوريا . وأكثر هذه المخطوطات منسوخة من مخطوطات قديمة، ولم يحدد أحد عددها في ما أعلم .

- **فهارس المكتبة الملكية / الوطنية :**

صنع بيير دياب [(١)]، وهو سوري ماروني، بمعاونة عالم متخصص في شئون الشرق الأوسط Petit de la croix أول فهرس للمكتبة الملكية سنة ١٦٧٧ . ولما كان فهرسها غير كامل ولا دقيق، قام العالمان Barthélemy d' Herbelot (d. 1625) , Eusébe Renaudot (d. 1720) بإكمال الفهرس سنة ١٦٩٠ بعنوان : Catalogue Générale des Manuscrits de La Bebliothéque du Roi [(٢)] . وفي سنة ١٧١٥ صنع باروت Parout السوري فهرسًا للمقتنيات العربية والفارسية والتركية التي وردت إلى المكتبة بعد صُنْع الفهرس السابق[(٣)] . ولما اعتزمت المكتبة الملكية نشر الفهارس عهدت إلى جوزيف أسكاري الماروني عمل وصف تفصيلي لا للمخطوطات الجديدة التي وردت إلى المكتبة بعد عام ١٧١٥، بل لكل مخطوطات المكتبة العربية والسريانية سنة ١٧٣٩ وصف فيه ١٦٢٦ مخطوطًا عربيًا، بعنوان : Catalogus Codicum manus- nuscriptorum Bibliotheque Regiae . وبهذا الفهرس تنتهي الفهارس التي تمت في العهد القديم أو النظام القديم Ancient Régime .

---

(١) من الجدير بالذكر أن بيير دياب (وتسميه المصادر العربية : بطرس دياب) صنع فهرسًا لمكتبة Colbert .

(٢) هذا الفهرس محفوظ تحت رقم ٥٤٠٨ في المقتنيات الفرنسية الجديدة Nouvelles Acquisitions Françaises وفيه وصف لـ ٨٩٧ مخطوطًا عربيًا .

(٣) هذا الفهرس محفوظ تحت رقم ٥٤٠٧ في المقتنيات الفرنسية الجديدة، انظر الهامش السابق للعنوان الفرنسي .

بعد الحريق الذي شب بمكتبة Saint Germain سنة ١٧٩٤ قام سلفستر دي ساسي بجرد كامل لما تبقى من محتوياتها [١]. ولما نُقلت هذه المكتبة إلى المكتبة الوطنية كُلِّف دي ساسي بعمل فهرس للمخطوطات الشرقية بهذه المجموعة ، ولكن إدارة المكتبة عدلت عن ذلك ، ورأت عمل فهرس شامل لكل ما في المكتبة الوطنية من مخطوطات شرقية . ورأى M. J. Reinand المسؤول عن قسم المخطوطات الشرقية نَشْرَ ذلك الفهرس في مجلة الجمعية الآسيوية[٢] ، فصدر في عدد يناير سنة ١٨٤٦ . وكان من الطبيعي أن يبتدئ الفهرس بالمخطوطات التي اقتنتها المكتبة بعد عام ١٧٣٩ الذي ظهر فيه فهرس d' Herbelot . وكان ملحق المخطوطات الفارسية والتركية مُعَدًا منذ وقت طويل ، هذا بالإضافة إلى النشرات التي أعدها Reinand والتي تولى جمعها Deslongchamps وجعلها في مجلدات حتى يسهل على المترددين على المكتبة استعمالها [٣]. وفي نفس السنة التي صدر فيها الفهرس العام ، أي سنة ١٨٤٦ كان دي ساسي قد أتم إعداد نشرات أخرى ، وتمت مراجعة كل ماكُتب وجُمِع . استعداداً لنشر فهرس جديد . في ذلك الوقت كان العالم الإيطالي ميشيل آماري Michele Amari (١٨٠٦ - ١٨٨٩)، قد أنفق سنوات عدة في وصف مخطوطات المكتبة وصفًا تفصيليًا ، ولكنه رحل إلى إيطاليا قبل أن يُتم وصف جميع المخطوطات . وبقي العمل معطلاً حتى سنة ١٨٦٧ ، وفيها أُسْنِد إلى هارتْوِج درنْبُرْج Hartwig Derenbourg (١٨٤٤ - ١٩٠٨) إتمام الفهرس ، ولكنه توقف عن

---

(١) كشف هذا الجرد محفوظ برقم ٥٤٣٩ في المقتنيات الفرنسية الجديدة Nouvelles Acquisitions Françaises .

(٢) مقدمة Zotenberg لفهرس دي سلان ، ص : ٣ .

(٣) نفس المصدر والصفحة في الهامش السابق .

العمل فيه عام ١٨٧٠ ، ولم تكن هذه السنوات الثلاث التي قضاها في المكتبة الوطنية كافية لإتمام الفهرس . وآنذاك كلفت المكتبة أشهر العلماء الفرنسيين في ذلك القرن بتكملة الفهرس ، ذلك العالم هو البارون Mac Guckin de slane (١٨٠٣ - ١٨٧٨) . وبالرغم من أن دي سلان كان قد تقاعد ، فقد أقبل على هذا العمل بتفان منقطع النظير وفاق كل من سبقوه بعمله المتقن المدقق المستوفي ، ولكنه توفي قبل تمامه ، بعد سبع سنين من العمل المخلص ، ولم يبق إلا جزء يسير ، فأتم H. Zotenberg الفهرس ، وصحح بعض الأخطاء التي وقع فيها دي سلان ، وكتب مقدمة أشاد فيها بعمل دي سلان وكل الذين ساهموا في عمل فهارس المكتبة الملكية ثم الوطنية . ويحتوي الفهرس على وصف ٤٦٦٥ مخطوطًا عربيًا ونشر بين سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٩٥ ، بعنوان : Catalogue des Manuscrits Arabes de la Biblio-téque National وسأعود إليه بالتفصيل في ما بعد . وقد مر بنا أن مقتنيات المكتبة توالت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، فعهدت المكتبة إلى (١٨٧٠ - ١٩٣٧) بصنع فهرس للإضافات الجديدة التي أضيفت بعد صدور فهرس دي سلان ، فقام بعمل فهرس وصف فيه ٢٠٨٧ مخطوطًا عربيًا حازتها المكتبة بين سنتي ١٨٨٤ وسنة ١٩٢٤ وبدأ أرقامه حيث انتهى دي سلان ، أي رقم ٤٦٦٦ إلى رقم ٦٧٥٣ ، ونُشر في باريس سنة ١٩٢٥ بعنوان : Catalogue des Ma-nuscrits Arabes de Nouvelles Aqnistsions (1884 - 1924) وكان Blochet قد سبق له صُنْع فهرس للمخطوطات الشرقية : العربية (٢٧٦) ، والفارسية (٢٧٦) ، والتركية (٢٣٩) ، وألحق به كشافًا بعناوين المخطوطات وأسماء مؤلفيها مرتبة على حروف المعجم . وصف في هذا الفهرس مجموعة Schefer ونشره في باريس عام ١٩٠٠ ، وعنوانه : Catalogue de la Collection de Manuscrits orientaux, Arab, Persans et Tuves Formée par M. Charles Schefer et Acquise par l' État. ثم وصف

درنبرج هذه المجموعة أيضًا[1]. وعمل Blochet أيضًا قائمة لمجموعة دكوردمانش[2] بعنوان : Inventaire de la Collection de Manuscrits Musulmans Decourde-manche. Journal Asiatique. sept.- déc. , 1916, pp. 305-370, 381-423 . وفي سنة ١٩٥٣ نشر George Vajda قائمة بالمخطوطات[3] التي اقتنتها المكتبة حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٣ .

ثم نشر أيضًا قائمتين بالمخطوطات التي اقتنتها المكتبة [4]بعد هذا التاريخ سنة ١٩٥٥ ، ثم سنة ١٩٦٥ ، وفي هذه الأخيرة وصف للمخطوطات العربية رقم ٦٧٥٤ (مر بنا أن فهرس Blochet توقف عند رقم ٦٧٥٣) ، ٦٧٥٨ ، ٦٧٥٩ ، ٦٧٧٣ ، ٦٧٩٦ ، ٦٨٠٩ ، ٦٨١٤ ، ٦٨٢٢ ، ٦٨٢٦ ، ٦٨٢٩ ، ٦٨٣٦ ، ٦٨٣٧ ، ٦٨٤٠ ، ٦٨٤٥ .

ثم بدأ Vajde في إعداد فهرس شامل للمخطوطات العربية بالتعاون مع Yvette Sauvin أمينة قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية ، نشر سنة ١٩٧٨ بعنوان Catalogue des Manuscrits Arab [5].

(1) Derenbourg, H. Les Manuscrits Arabes de La Collection Schefer á la Bibliotéque National. Journal des Savants . Mars - Juin 1901 .

(٢) وكان Blochet قد نشر من قبل وصفًا لهذه المجموعة في ثلاث وعشرين صفحة في مجلة Bibliotéque Moderne ، العدد الثالث ، سنة ١٩٠٦ بعنوان : Inventaire des Manuserits de la Collection Decourdemanche.

(3) Index General des Manuscrits Arabes Musulmans de La Bibliothéque National de Paris (Paris : Institut de Recherche et d'Histore des Textes, 1953) . ثم نشر مقالاً في العام الذي يليه صحح فيه بعض الأخطاء التي وقعت في القائمة وزاد فيه إضافات ، وصدر المقال في العدد السابع من مجلة Oriens ، ص : ١٦٢ - ١٦٣ .

(4) Manuscrits Arabes Récemment Entrés á la Bibliotheque National de Paris. Bull. d' Information d' Institut de Recherche et d' Histoire des Textes, 4 (1955) , pp. 73 - 75 ; 13 (1964 - 1965) , pp. 81 - 91 .

(٥) انظر كتاب Stephan Roman ، ص : ٩٠ .

ومن الجدير بالذكر أن Vajda نشر عدة مقالات درس فيها بعض المخطوطات العربية ، فوصف في إحداها المخطوطات من رقم ٦٨٧٤ إلى رقم ٦٨٨٤ ، وهي مجموعة من المخطوطات أضيفت إلى المكتبة سنة ١٩٦٤ ، وأعاد في بعضها الآخر وَصْفَ مخطوطات سبق للبارون دي سلان و Blochet وصفها ، فوصفها Vajda بدقة أكثر ، كما وصف بعض المخطوطات التي عليها إجازات [١] .

- **فهرس دي سلان :**

لاشك أن فهرس البارون دي سلان[٢] أهم الفهارس التي عرضتها في الصفحات السابقة ، لذا سأخصه بشيء من التفصيل ، أصف فيه منهجه في الفهرسة ، مقارنًا بينه وبين بعض مناهج المفهرسين العرب .

يذكر Zotenberg في المقدمة التي صدر بها فهرس دي سلان أن عمله في هذا الفهرس يتسم بالدقة والصحة التي لامزيد عليها لمستزيد . وفي هذا الكلام بعض المبالغة لأن Zotenberg نفسه قد استدرك على دي سلان أشياء وأتم أخرى ، وصحح ثالثة ، وقد ذكرت أيضًا قبل أن Vajda أعاد وصف بعض المخطوطات التي وصفها دي سلان بصورة أتم وأصح ، ولكن من الإنصاف أن يقال إن دي سلان بذل جهدًا شاقًا في فهرسة هذا العدد الضخم من المخطوطات وتحرى الإتقان ما استطاع ، ووضع للفهرس كشافات شاملة تامة الفائدة ، كما أثبت أرقام المخطوطات التي وردت في الفهارس القديمة إلى جانب الأرقام المسلسلة التي وضعها هو لفهرسه ، مثلاً يذكر في آخر وصفه للمخطوط رقم ٤٠٦٨ رقمه في الفهرس القديم فيقول :

---

(١) نشرت جميع هذه المقالات في نشرات المعهد المذكور في الهامش السابق IHRT ، وكلها مذكورة في Index Islamicus .

(2) M. Le Baron de Slane. Catlogue des Manuscrits Arabes (Paris : Imperimerie Nationle 1883 - 1895) .

Ancien Fonds 1291 ، ويذكر في آخر وصفه للمخطوط رقم 4073 : Supplément 1158
وهذه هي الكشافات التي ألحقها بآخر الفهرس :

١ - كشاف بأقسام فهرس المخطوطات والموضوعات التي تتصل بمحتوى كل مخطوط من صفحة ٧٤٣ إلى صفحة ٧٤٦ .

٢ - كشاف بعناوين المخطوطات مرتبة على حروف المعجم من صفحة ٧٤٧ إلى صفحة ٧٦٨ .

٣ - كشاف بأسماء المؤلفين مرتبًا على حروف المعجم من صفحة ٧٦٩ إلى صفحة ٧٩٨ .

٤ - كشاف بأرقام المخطوطات الواردة في الفهارس القديمة وأرقام المخطوطات المذكورة في ملحقات هذه الفهارس مع ما يقابلها من الأرقام الجديدة في فهرسه .

وعمل دي سلان في الفهرس يتأرجح بين المناهج الثلاثة التي اصطلح عليها أهل الصناعة في الفهرسة ، وهي منهج القوائم ، والمنهج الوصفي ، والمنهج التحليلي[(١)] . فمثال منهج القوائم ، وهو كثير غالب في فهرس دي سلان ، وصَفُه للمخطوط رقم ٤٠٦٨ ، وهو كما يلي : ألفية ابن مالك ، تاريخ النسخ سنة ٨٦١ للهجرة (١٤٥٧م) . عدد الأوراق ٣٩ . الطول ١٨سم ، العرض ١٣سم . ١٣ سطرًا في الصفحة ، ثم ١٦ (المجموعة القديمة ١٢٩١) .

ونادرًا ما - في هذا المنهج - أن يذكر فاتحة المخطوط ، وإذا فعل فهو ينقل كلامًا لا يوضح شيئًا ولا يشفي غليلاً كما نرى في وصفه للمخطوط رقم ٤٠٦٢ ،

---

(١) انظر وصفًا تفصيليًا لهذه المناهج في بحث الأستاذ عصام الشنطي : « أول المخطوطة وآخرها » .

فبعد أن ذكر عنوانه وعدد أوراقه ومسطرته وطوله وعرضه وتاريخ نسخه ، مثلما فعل في المخطوط السابق قال : «أوله : اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا إلخ» .

أما المنهج الوصفي ، وهو قليل في فهرسه فنجد له مثالاً جيداً في وصفه للمخطوط رقم ٢٢٧٤ ، ويتسم هذا الوصف بالدقة والعمق ، فإلى جانب الوصف المادي للمخطوط ، كما رأيناه في وصفه للمخطوطين السابقين ، نراه يقارن هذا المخطوط بما ذكره عنه غيره ويحقق الأسماء الواردة فيه ، فبعد أن يذكر عنوان المخطوط ، وهو : أنوار علوّ الأجرام في الكشف [عن] أسرار الأهرام ، يقول : لجمال الدين أبي جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي ، وحسب ما ذكر حاجي خليفة أتم هذا العمل سنة ٦٢٣ (١٢٢٦م) للملك الكامل محمد بن خليل . ولكن والد هذا الأمير اسمه محمد وليس «خليلاً» . وأول المخطوط يبدأ عند حاجي خليفة بهذه الكلمات «الحمد لله الذي جعل ما أبقاه» ، ولكن مخطوطنا يبدأ هكذا « الحمد لله رب العالمين . . . أما بعد ، فهذا كتاب في الأهرام والصنّم المسمى بأبي الهول . كان مكتوبًا على درج قديم قد أخلق كالعظم الرميم . . وزاد عليه البلى حتى كان لا يقرى (يُقْرَأ) . . . فاجتهدت في تصحيحه وتنقيحه » .

ويتفحص دي سلان المخطوطة بعناية فيجد أن المؤلف يقول في الورقة ٢٠ظ أنه عندما كتب هذا الكتاب كانت قلعة القاهرة تسمى قصر الجبل ، وكانت مقر أبي بكر خليل بن الملك الأفضل نجم الدين أمير المؤمنين ، فيعلق على ذلك بقوله : ليس هناك سلطان بهذا الاسم ، كما أنه لم يكن هناك سلطان يلقب بأمير المؤمنين قبل الغزو العثماني ، وبالتالي فإن هذا العمل لابد أن يكون قد كُتِب في وقت تلازم فيه لقب «سلطان» مع لقب «أمير المؤمنين» .

ويجد دي سلان في أعلى الصفحة الأولى للمخطوط ما يفيد أن عالمًا نحويًا ، وهو عبد القادر بن عمر البغدادي استخرج محتوى هذا المخطوط من دَرَج قديم

ومات في القاهرة ١٠٩٢ . ويشكك في صحة هذه الملاحظة ، بقوله : إن هذه الملاحظة مكتوبة بخط نفس الكاتب الذي لم يكتب هذه المخطوطة فقط مرة واحدة بل كتبها أربع مرات ، والنسخ الأربع جميعًا محفوظة بالمكتبة الوطنية بخط كاتب واحد ومؤرخة سنة ١٢٣٢ أو ١٢٣٣ (١٨١٦ أو ١٨١٨) . ثم يبدأ بعد ذلك في وصف المخطوط ، فيذكر أنه يتكون من سبعة فصول هي :

١ – ما قاله القدماء عن الأهرامات .

٢ – القصص التي حكاها العلماء عن عجائب الدنيا .

٣ – تحديد المكان الذي تقع فيه الأهرامات .

٤ – أصل اشتقاق اسم «الأهرامات» ، ووَصْف بنائها .

٥ – الغرض من بناء الأهرامات .

٦ – ما حكاه حكماء المصريين في كتبهم عن عظمة الأهرامات .

٧ – قطع نثرية وأشعار كُتِبت عن الأهرامات .

وهو إن فاته هنا أن يذكر آخر المخطوطة الذي لابد منه في المنهج الوصفي ، فإن ذلك لم يفته في وصف المخطوطة رقم ١٧٧٠ ، وهو عندي أشبه بالمنهج التحليلي منه بالوصفي . وعنوان هذا المخطوط هو : منشأ اللطافة في ذكر من ولي الخلافة ، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (–٨٧٤ هـ) . فبالإضافة إلى الوصف المادي للمخطوط يقول دي سلان : يظهر العنوان على ظهر الورقة الأولى ثم يتكرر في الورقة ٢٤ . أما العنوان الخطأ الذي يظهر في صفحة العنوان وهو : «كتاب تاريخ ابن ملكان» فقد أُضِيف في زمن لاحق ، وهذا العمل – وهو مختلف عن العمل الآخر لنفس المؤلف بعنوان مورد اللطافة – يبدأ بهذه الكلمات «الحمد لله العالم العلام البر السلام» . والقسم الأول من المخطوط يشمل عدة فصول . وأول قسم من الكتاب عن تاريخ مصر القديم ، فيذكر بعض الأنبياء والملوك الذين حكموا

هذا البلد قبل «الفيضان» ، والفراعنة ، والعجائب التي يراها الإنسان في مصر . وفي نهاية هذا القسم يشير الكاتب إلى القارئ بالرجوع إلى كتاب القزويني «كتاب عجائب الدنيا والآخرة» . أما القسم الثاني فيبدأ بفصل عن العرب الذين حكموا مصر قبل الإسلام . ويعقب ذلك كلام مستفيض عن محمد (ﷺ) والخلفاء الأربعة الراشدين والأمويين ، والعباسيين حتى عهد المستكفي ، والفاطميين ، والأيوبيين ، وسلاطين المماليك حتى سنة ٧١٩هـ . ويذكر المؤلف حربًا وقعت بين الفرنجة والمسلمين . ثم يتحدث عن مشاهير الوزراء بدءًا بيحيى بن خالد البرمكي . ثم يكتب أسطرًا قلائل عن السنة الأخيرة من حكم الناصر بن قلاوون ، وعن السنة الأولى من حكم المنصور . وبعد إبداء بعض الملاحظات عن الصحابة الذين عاشوا في مصر ، والفقهاء ، والكتاب ، والشعراء ، يعود المؤلف مرة أخرى إلى تاريخ سلاطين المماليك ابتداء من الملك الصالح إسماعيل بن الناصر . وبعض الصفحات الأخيرة من المخطوط مكتوبة بخط مخالف ، وتحتوي على سرد لسلاطين المماليك حتى الغزو العثماني ، وبعضها الآخر في نهاية المخطوط مكتوب بخط آخر بينها تكملة لتاريخ سلاطين المماليك حتى سنة ١٥٢٥هـ . وتتوقف كتابة المؤلف الأصلي للكتاب عند سنة ٨٤٢هـ ، ويحيل القارئ لما بعد هذا التاريخ إلى كتاب «الذيل على تاريخ المقريزي» .

هذه أمثلة ثلاثة من فهرس دي سلان تتراوح بين المناهج الثلاثة في فهرسة المخطوطات . وفهرس دي سلان ، وإن غلب عليه منهج القوائم ، فهو يتسم بالدقة كما هو واضح من المثالين الأخيرين . ونحن إذا قارنا عمله بعمل المفهرسين العرب في أوائل عهدهم بالفهرسة في العصر الحديث لا نجد كبير فرق ، وإن اختلفت هذه الفروق من فهرس لآخر ، فقد مر بنا مثلاً أن فهرس الأمبروزيانا الذي وضعه الدكتور صلاح الدين المنجد إنما هو فهرس قوائم لا يشفي غليلاً مع سعة علمه بفن الفهرسة .

وإذا كان حاجي خليفة يعتبر في عُرْف بعض الدارسين واضع علم فهرسة المخطوطات الأول في العالم الإسلامي ، فإن فهرسه «كشف الظنون» لايخلو من خلل ، فهو وإن غلب عليه المنهج الوصفي ، فإن منهج القوائم والمنهج التحليلي شائعان فيه ، وهاك مثالاً لمنهج القوائم ، بل هو دونه :

إبراز الأخبار - للشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة الفارقي ، المتوفى سنة اثنتين وستين وسبعمائة . ونباتة بضم النون وتشديد الباء[1] . قلتُ : إن هذا المنهج «دون» منهج القوائم لأنه لا يذكر عدد صفحات المخطوط أو مسطرته ، وكثيراً جداً ما يهمل تاريخ نَسْخه وهي أمور أساسية لابد منها في أي منهج من المناهج الثلاثة وأرى - خلافًا لبعض الدارسين - أنه لم يهتم كثيراً بفاتحة المخطوط فإهمالها أكثر من أن يحصى ، وليس له فيها منهج محدد ، فأحيانا تكون غاية في الاختصار بحيث تصبح لا نفع منها ولا جدوى ، كما في وصفه لكتاب الجوهر الثمين في «سير سلوك الملوك والسلاطين»[2] ، قال : أوله «الحمد لله رب العالمين» ، فأي شيء أفادته هذه الفاتحة ؟ وأحيانًا تكون الفاتحة وسطًا ذات غناء ، يختصر فيها ثناء المؤلف على الله عز وجل ، ثم يقتبس من الفاتحة ما يبين عن فحوى الكتاب ومنهجه . ومثال ذلك كتاب «رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه» لابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ :

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . طبعته بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ١ : ٣ ، وانظر أمثلة أخرى في هذا الجزء : الأبيات السائرة ، ص : ٥ ، أمالي ابن دريد ، ص : ١٦٢ ، التحبير ، ص : ٣٥٥ ، التكملة ص : ٤٧١ ، جزيل المواهب ، ص : ٥٩٠ ، الجوهرة في نسب النبي (ﷺ) وأصحابه العشرة ، ص : ٦٢١ ، الرد على ابن سينا ، ص٨٣٨ ، وغيرها كثير جداً .

(٢) انظر ١ : ٦١٩ ، والأمثلة على ذلك كثيرة كثرة مفرطة ، كقوله مثلاً عن فاتحة كتاب أنوار اللغات (١ : ١٩٥) أوله : «الحمد لله الذي خلق الإنسان إلخ» .

أوله : الحمد لله الذي خلق الأشياء بقدرته إلخ . . . وقال : جمعت منها (أي من الكتب التي أُلِّفت في هذا الموضوع) ولم أقصد إعانة الممتع الذي يرتكب المعاصي ، بل قصدت إعانة من قصرت شهوته عن بلوغ أمنيته في الحلال الذي هو سبب لعمارة الدنيا . ولما كمل قسمته قسمين يشتمل على ثلاثين بابًا يتعلق بأسرار الرجال وما يقويها على الباه من الأدوية والأغذية ، والثاني يشتمل على ثلاثين بابا يتعلق بأسرار النساء وما يناسب زينتهن [1] .

وأحيانًا تكون فاتحة الكتاب مفرطة الطول ، كما لاحظ بحق الصديق عصام الشنطي في مقاله الوارد في هذا المجلد بعنوان « أول المخطوطة وآخرها » ، فقد لخص حاجي خليفة خطبة الكتاب تلخيصًا مطولاً أخذت من صفحات هذه الطبعة أربعا ، وقطع هذه الطبعة كبير ، وصفحاتها مقسمة إلى نهرين [2] .

أما آخر المخطوطة فلم أجد له ذكرًا في فهرسه على كثرة ما تصفحته ، اللهم إلا أن يكون تاريخ نسخ المخطوطة مأخوذًا من آخرها ، ولكن تاريخ النسخ – في علم الفهرسة – لايدخل في ما يجب ذكره في آخر المخطوطة .

ويعتبر بعض الدارسين الدكتور يوسف العش أول من وضع منهجًا محددًا لفهرسة المخطوطات بين المفهرسين العرب في العصر الحديث[3] ، وهو المنهج الوصفي ، وقد فصّل نقاط هذا المنهج في مقدمته لفهرس التاريخ[4] على النحو التالي :

---

(١) انظر ١ : ٨٣٥ .

(٢) انظر ٢ : ١٣٠٦ وما بعدها .

(٣) انظر مقال الأستاذ عصام الشنطي في هذا المجلد ، بعنوان : أول المخطوطة وآخرها .

(٤) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : التاريخ وملحقاته ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٧ ، ص : أ .

١ - ذكر في المقدمة اسم الكتاب والمؤلف ، ونقل اسم الكتاب من طرة المخطوطة ، حاذفًا بعض العبارات التي لاتفيد في التعريف بالكتاب ، ثم أورد اسم المؤلف كما هو في المخطوطة ، وأتبع ذلك بتاريخ وفاة المؤلف والمصدر الذي استقاه منه ، وبالذات تاريخ الآداب العربية لبروكلمان .

٢ - أشار إلى طبع الكتاب إن كان مطبوعًا ، وقابل بين المطبوع والمخطوط وحدد الخلاف بينهما .

٣ - ذكر موضوع الكتاب إن لم يكن مطبوعًا ، وبين فصوله ومكانها من الكتاب .

٤ - نقل من خطبة الكتاب موضوعه أو ما يفسر أمره ، ومن خاتمته ما يفصح عن نهايته .

٥ - وصف النسخة ، فذكر عدد أوراقها وطولها وعرضها بالسنتيمترات وعدد الأسطر مع التنويه بما قد يرد عليها من تعليقات ، وتاريخ نسخها إن عُرِف .

وهذا منهج عَدْل ، على أني لا أدري ما جدوى المقارنة بين المخطوط والمطبوع ، فهو في رأيي تزيُّد يخرج به إلى المنهج التحليلي ، وهو وإن التزم بهذا المنهج ما استطاع ، فإنه حاد عنه أحيانًا ، فمثلاً في وصفه لكتاب ابن الجوزي «صفة الصفوة» أطال جدًا في النقل من خطبة الكتاب ، فنقل صفحة ونصفًا[1] ، ثم أفاض في وصف فصول الجزء الثالث . وأكثر نقاط منهجه اتبعها دي سلان في فهرسه في المخطوطات التي وصفها وصفًا وسطًا ، إلا أنه - منهج العش - يفوقه في اطراده وعدم الخروج عنه إلا لمامًا ، كما أنه يمتاز على منهج دي سلان بالالتفات إلى آخر المخطوطة ، وهو أمر لم يوله دي سلان اهتمامًا كبيرًا ، كما أهمله حاجي خليفة إهمالاً يكاد يكون تامًا .

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٨١ - ٢٨٤ ، وانظر مثالاً آخر ١ : ٣٠١ .

وحسبي ، فقد أطلتُ ، وعسى ألا أكون قد أمللتُ ، مع أني أمسكت القلم إمساكًا ، فاقتصرت على الحديث عن أربع مكتبات أوروبية ، وهي الڤاتيكان والأمبروزيانا في إيطاليا ، ومكتبة تشستر بيتي في أيرلندا ، والمكتبة الوطنية في باريس ، ثم اقتصرت مرة ثانية على اثنتين منهما بالتحليل ، وهما مكتبة تشستر بيتي والمكتبة الوطنية ، ثم اقتصرت مرة ثالثة على مقارنة فهرسي هاتين المكتبتين بثلاثة فهارس عربية ، وهي فهرس حاجي خليفة ، وفهرس صلاح الدين المنجد ، وفهرس يوسف العش ، ولم أذهب إلى ما وراء ذلك فانظر في فهرس مصطلح الحديث الذي أصدرته دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦ ، وفهرس معهد المخطوطات العربية الذي صدر في نفس السنة ، فقد بلغت ما أردت بما أوردت ، وعسى أن أكون قد وُفِّقت .

﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

* * *

مصادر البحث

• المصادر العربية:

١ - أحمد شوقي بنبين ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٧ ، الرباط ١٩٩٣ .

٢ - أحمد شوقي بنبين ، «خزانة مراكشية بالإسكوريال» ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد التاسع ، ١٩٨٢ .

٣ - أيمن فؤاد سيد ، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات - الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٧٧ .

٤ - حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - إستانبول ١٣٦٠ - ١٣٦٢ هـ ، ومصورة بالأوفست ، مكتبة المثنى ببغداد .

٥ - صلاح الدين المنجد ، فهرس المخطوطات العربية بالأمبروزيانا بميلانو - نشر معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٦٠ .

٦ - صلاح الدين المنجد ، قواعد فهرسة المخطوطات العربية - دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٦ .

٧ - عبد الستار الحلوجي ، تجربة مؤسسة الفرقان ، التجارب العربية في فهرسة المخطوطات ، العدد الأول من سلسلة ندوة قضايا المخطوطات - نشر معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ١٩٩٨ .

٨ - عصام الشنطي ، تجربة معهد المخطوطات العربية ، انظر المصدر السابق .

٩ - عصام الشنطي ، أول المخطوطة وآخرها ، بحث في هذا المجلد .

١٠ - قاسم السامرائي ، المسح الدولي للمخطوطات الإسلامية ، مجلة عالم الكتب ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثالث (مايو - يونيو) ١٩٩٤ .

١١ - كوركيس عواد ، فهارس المخطوطات العربية في العالم - نشر معهد المخطوطات العربية ، الكويت ١٩٨٤ .

١٢ - محمد كامل حسين ، الطب العربي وأثره في الغرب ، في : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ .

١٣ - نجيب العقيقي ، المستشرقون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٤ - يوسف العش ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٧ .

* * *

• المصادر الأجنبية :

Arberry, A. *The Chester Beatty Library. A Hand List of the Arabic Manuscripts* (Dublin: Emery Walker, 1995-56).

Bausani, A. «Islamic Studies in Italy in the xix - xx centuries.» *East and West,* vol. 8, 1957.

Blochet, E. «Une Collection de Manuscrits Musulimans,» *Revue de Monde Manuscrits.* n.d.

-------------- «Inventaire des Manuscrits Arab de la Collection Decourdemanche,» *Bibliothèque Modern,* Paris, 1906.

-------------- «Inventaire de la Collection de Manuscrits Musulmins Decourdemanche,» *Journal Asiatique,* Sept. - Déc., 1916.

Della Vida, G. *Reserche sull Formazione del piú Antico Fond dei Manoscritti della Biblioteca Vaticana* (Città de Vaticana : Biblioteca Apotolica Vaticana, 1939).

-------------- *Secondo Elenco dei Mnoscritti Arabi Islami della Biblioteca Vaticana* (Vaticana City : Biblioteca Vaticana, 1965).

-------------- *Elenco dei manoscritti Arab Islami della Biblioteca Vaticana* (Vaticana City : Apostolica Vaticana).

Derenbourg, H. «Les manuscrits Aabes de la collection Schefer à la Bibliotèque National,» *Journal des Savants,* Mars-Juin, 1901.

Fraze, C. A. *Catholics and Sultans : The Church and the Ottoman Empire 1453-1923* (London : CUP, 1983).

Geoffery, Roper. *World Survey of Islamic manuscripts* (London : Al-Furqan Islamic heritage, 1992-94).

Ghali, Noureddin & Brnner, L. *Inventaire de la Bibliothèque Umariene de Seguo* (Paris : Center National de la Reserche Scientifique, 1985).

Griffini, Eugenio. *Catalogo dei Manoscritti Arabi di Nouvo Fondo della Biblioteca Ambrosiana di Milano.* vol. I, 1919.

-------------- «I Manoscritti Sudarabici di Milano. Catalogo della Prima Collezione. *ROS II,* 1908, III, 1910.

De Hammer. «Lettre su Manoscritti Orientali,» *Biblioteca Italiana*, XLII.

--------------- «Catalogo Biblioteca Ambrosiana,» *Biblioteca Italiana*, XLII.

Heaton, H. *Economic History of Europe* (2nd ed., New York, 1948).

[illegible] C. *The Rise and Fall of the House of Medici* (London : Allen lane, 1974).

[illegible] *Manuscrits Arabes dans le Monde : Une Bibliographie des Catalogue* [illegible] Leiden : Brill, 1967) .

Lofgren, Oscar & Tra[illegible] Renato. *Catatlogue of the Arabic Manuscripts in the Biblioteca A[illegible]brosiana* (Vicenza : Neri Pozza Editora, 1975).

Lawton, J. " The Mi[illegible] and the Manuscripts, " *Aramco Magazine*, no. 2 3 (Mars - Apr[illegible] 1978.

I[illegible] *[illegible]ester Beatty Library . A Handlist of the Arabic Manuscripts* [illegible] Hedges, Figges & Co. , 1966) .

[illegible] *[illegible]bliotèque Vaticana de Sixte IV à Pie XI : Reserche sur L'Histoire des Collections des Manuscrits* (Vatican City : Biblioteca Apostolica Vaticana, 1973) .

Pearson, James, D. *Oriental Manuscript Collections in the Libraries of Great Britain and Ireland* (London : Royal Asiatic Society, (1954) .

--------------- *Oriental Manuscripts in Europe and North America* (Zug : Inter Documentation Company, 1971. Biblioteca Asiatic Series, no. 7) .

Roman, Stephan. *The Development of Islamic Library Collections in Western Europe and North America.* (London & New York : Mansell, 1990) .

Rossi, E. *Elenco dei Manoscritti Persiani della Biblioteca Vaticana* (Vatican City : Biblioteca Aposolica Vaticana, 1948) .

Said, Edward. *Orientalism* (London : Routledge, Kegan & Paul, 1978).

De Slane, M. G. *Catalogue de Manuscrits Arabes de la Bibliotèque Nationale* (Paris : Imperimerie Nationale 1883 - 1895) .

Steegmuller, F. *Flaubert in Egypt* (London : Michael Haag, 1986) .

Steele, Colin. *Major Libraries in the World : A Selective Guide* (London : Bowker, 1976) .

Vajda, George. *Index Generl des Mnuscrits Arabes Musulmans de la Bibliotèque Nationle de Paris* (Paris : Institut de Reserchc et d' Histoire de Textes, 1953).

------------- " Manuscrits Arabes recemment Entres a La Bibliotèque National de Paris, " *Bull. d' Information d' Institut de reserche et d' Histoire des Textes*, no. 4, 1955; & no. 13, 1964 - 65.

Vajda, George, & Sauvin, Y. *Catalogue de Manuscrits Arbes, Deuxieme Parte. Manuscrits Musulmans, Tome II* (Paris : Bibliotèquc Nationale, 1978).

Yates, Trances. *The Resoructian Enlightenment* (London : Routledge & Kegan Paul, 1972).

* * *

• الفهارس التي لم تذكر في المصادر :

Abbot, T. , K. Catalogue of the Manuscripts in the Library of Trinity College (Dublin, 1900).

Arrbery, A. *The Koran Illuminated : A Handlist of the Korans in the Chester Beatty Library* (Dublin : Hodges, Figgis, 1967).

Arnold, Thomas. *A Catalogue of the Turkish Manuscripts and Miniatures* (Dublin : Hodges, Figgis, 1959 - 62).

Ascari, Joseph. *Catlogus Codicum Manuscriptorum Biblioteca Regiae.*

Assemani, Stephano. *Biblioteca Orientalia Clementino Vaticana* .

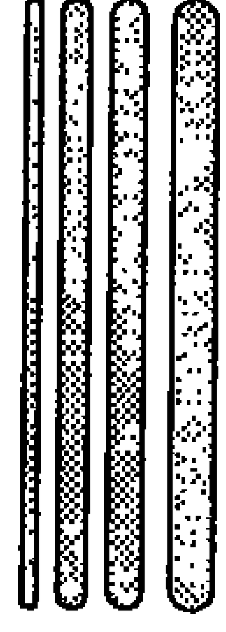
------------- *Biblioteca Apostolica Vaticana Codicum Manoscriptorum Catalogus* .

Blochet, Gabreil. *Catalogue de Manuscrits Arabes de Nouvelles Aquisisions* (Paris, 1925).

D'Herbelot, B. & Renandot, E. *Catalogue Generale des Manuscrits de la Bibliotèque de Roi*.

Minorsky, V. *A Catalogue of the Trurkish Manuscripts and Miniatures* (Dublin : Hodges, Figgis, 1958).

* * *



تعقيبات ومداخلات

■ د. محمود علي مكي :

أتوجه بالشكر لمعهد المخطوطات على استضافته لهذه الندوة حول فهرسة المخطوطات ، وكان عليّ أن أعقب على البحث القيم الذي قدمه د. محمود الطناحي ، وهو رجل له في نفسي مكانة خاصة .

والحقيقة ، أن د. الطناحي مفهرس ينتمي للجيل الذي يجمعه بالمرحوم رشاد عبد المطلب والمرحوم فؤاد سيد . وهو في الوقت نفسه محقق ينتمي إلى جيل الشباب ويسير على الخط الذي كان قد انتهجه من قبل أعظم محققين في مصر ، وهم : أحمد محمد شاكر وأخوه محمود شاكر ، والأستاذ عبد السلام هارون ، رحمهم الله جميعًا . وحين نريد الوقوف على الجهود التي قام بها محمود الطناحي نذكر منها على سبيل المثال : كتاب الشعر لأبي علي الفارسي ، والأمالي لابن الشجري . . . وحينما نرى مثل هذا الجهد في التحقيق نطمئن إلى مستقبل التحقيق .

إنني أتفق معه تمامًا في كل ما ذكره حول ثقافة المفهرس ، فالفهرسة ليست مجرد حديث وصفي عن الكتاب المأثور وعن مقاسه ومسطرته وأوله وآخره ومؤلفه ، وإنما تحتاج الفهرسة إلى أدوات لا تقل عن تلك الأدوات التي يحتاج إليها المحقق .

ونرى في هذا البحث - وإن كان لم يشف ما في صدر محمود الطناحي مما كان يريد قوله - ما يبين هذه الأدوات . وسوف أستعرض بعض النقاط التي أشار إليها معلقًا عليها ببعض ما توافر لي من تجاربي في العمل بالتحقيق .

ذكر د . الطناحي أن هناك عناوين خادعة مثل كتاب « إصلاح المنطق » الذي ظن بعضهم أنه كتاب في المنطق في حين إنه كتاب في اللغة . وبهذه المناسبة ، أذكر أنني عندما كنت أستاذاً زائراً في جامعة قطر ، أردت أن أستعير كتابًا من مكتبة هذه الجامعة ، وهو كتاب «القانون» لابن سينا . ولدى سؤالي عن الكتاب ، قيل لي : إن الكتاب كان موجوداً في المكتبة ، ولكن عند فهرسة المكتبة وجدنا أنه كتاب في القانون ، فتمَّ إرساله إلى كلية الحقوق . هذا مع أن كتاب « القانون » هو كتاب في الطب .

وأذكر أيضًا مثلاً آخر وهو أن مستشرقًا إسبانيًا كتب ترجمة لابن السِّيد البَطَلْيَوْسي ؛ وابن السيد كان عالمًا موسوعيًا وكتب في كل شيء وكان شاعراً وفيلسوفًا وفقيهًا وأصوليًا ولغويًا . ومن كتبه - كما أشار هذا المستشرق - كتاب « الدوائر » ، وكتاب « المثلث » . والحقيقة لا هذا الكتاب ولا ذاك ينتميان إلى علم الهندسة ، فكتاب الدوائر - نشر بدمشق عام ١٩٤٦ - هو كتاب في المنطق ، وكتاب المثلث - ولقطرب (ت ٢٠٦هـ) كتاب بهذا الاسم أيضًا - ينتمي إلى هذا النوع من الكتب اللغوية ، ولعله أضخم كتاب في هذا المجال ، فقد نشر في العراق في مجلدين ضخمين .

وأود أن أنبّه د . الطناحي إلى معلومة صغيرة وردت في بحثه ، لعلها من قبيل السهو ، فقد ذكر أن أبا الوليد الباجي توفي سنة ٥٤٠هـ ، والصحيح أنه توفي سنة ٤٧٤هـ .

وفي حديثه عن الكتب التي وجد منها قطع ، أضيف إلى ما ذكره كتاب «الذيل والتكملة » لابن عبد الملكُ المراكشي ؛ الذي تولى نشره د . إحسان عباس ود . محمد بن شريفة . فهذا الكتاب لم يبق منه إلا الجزء الأول وجزء من الوابع والخامس والسادس والثامن ، أما ما بين ذلك فهو مفقود . ود . الطناحي نبّه إلى شيء مهم وهو الكتب المفقودة ، لأننا لم نفقد الأمل في العثور على الأجزاء

الناقصة . أذكر من ذلك كتاب « المقتبس » لابن حيان القرطبي ؛ الذي لم نعثر منه إلا على قطع ، وكان عليّ أن أتحمّل وزر نشر قطعة منه كانت في غاية الفساد ، لأن الصفحات كانت متآكلة تمامًا ، وكان عليّ أن أحاول تقويم هذا النص بالرجوع إلى المصادر التي نقل منها ابن حيان ، وإلى المصادر التالية التي نقلت عنه . واستطعت من خلال ذلك أن أسد كثيراً من فجوات هذا النص . والقطعة التي عثرت عليها تبلغ ٩٠ ورقة ، وقد صدرت في ٤٠٠ صفحة ، ولنا أن نتصور مدى كبر هذا الكتاب الذي كان عشر مجلدات كبيرة .

بالنسبة إلى مسألة المجاميع ، عند الفهرسة ، هناك من يذكر أول الكتاب وآخره ، ولكنه ينسى أن الكتاب يضم كتبًا أو رسائل كثيرة . لذا ، ينبغي أن تُفحص هذه الأوراق المختلفة (الورق الدشت) ، لأنها من الممكن أن تحتوي على أشياء نظنها مفقودة . ومن أمثلة ذلك ، أذكر أن **ليڤي بروفنسال** وجد في بعض هذه الملفات « الدشت » في **الإسكوريال** كتابًا كاملاً هو كتاب « الأنساب » لأبي بكر الصنهاجي ؛ الذي يقص علينا أخباراً في غاية الأهمية حول دولة الموحدين بالمغرب . ووجد أيضًا في هذه الأوراق «الدشت» مجموعة رسائل موحدية ، وهما أثران في غاية الأهمية في ما يتعلق بتاريخ دولة الموحديين .

وأذكر أيضًا أني عندما قمت بتحقيق ديوان ابن دراج القسطلي ، بعد أن قطعت شوطًا كبيراً في التحقيق على أساس أنه المخطوطة الوحيدة ، أرسل إليّ أمين خزانة القرويين يخبرني أنه اكتشف قطعة من ديوان ابن دراج في الأوراق « الدشت » في الخزانة ، وتكرم بتصويرها وإرسالها إليّ ، واستطعت بهذه الأوراق أن أكمل بعض الفجوات التي وردت في ديوان ابن دراج . وأشار د. الطناحي إلى كتاب « المُغرب» الذي عثر د. رشاد عبد المطلب على قطعة منه بخط ابن سعيد ، فأعان بذلك د. شوقي ضيف على تحقيق هذا الكتاب .

والمفهرس يجب أن يكون على علم واسع بمادة الكتاب . أذكر في هذه المناسبة أن سيدة قامت بتحقيق كتاب في إعراب القرآن ، ونشر منذ ثلاث سنوات (سنة ١٩٩٥) ، وهذا الكتاب نسبته إلى قوام السُّنَّة الأصفهاني . وأصل هذا الكتاب مخطوطة في مكتبة شيستربتي التي تحدث عنها د. عادل جمال ؛ والذي قام بالفهرس آرثر آربري ، وقامت المحققة بنقل ما قاله آربري على أن هذا الكتاب لقوام السنة الأصفهاني . بل إنها زكت هذا الرأي فقالت : إن هذا الكتاب ينبغي أن يكون له لأن مصنفه من علماء القرن الخامس ، واعتمدت على قرائن أخرى هي أن شواهد الشعر التي استرشد بها قدامى المصنفين موجودة في هذا الكتاب ، ولا أدري كيف انتهت إلى ذلك ، لأن كل كتب إعراب القرآن ، سواء أكانت قديمة أم حديثة ، تذكر هذه الشواهد . طبعًا هذا لا يمكن أن يكون حجة في توثيق نسبة الكتاب !!

وقوام السنة هذا الذي نسبت إليه المحققة الكتاب اعتماداً على ما ذكره مفهرس شستربتي ؛ وعلى هذه القرائن أو التي ظنتها قرائن – عاش ما بين ٤٥٧-٥٣٥هـ ، ولم يخرج عن نطاق أصفهان وبغداد ونيسابور . وقد ذكرت المحققة أنها حتى تتوثق من نسبة الكتاب قرأت نصه عدة مرات، لكنها لم تنتبه إلى جملة من المعلومات التي كان يمكن أن تعينها على معرفة عصر المؤلف وشخصيته . فالمؤلف ينقل في أربعة مواضع عن أبيه عن عمه (أي عم أبيه) واسم الأخير منصوص عليه وهو إبراهيم بن غالب . ولو أنها حاولت التعرف على إبراهيم بن غالب لكان في ذلك حل لمشكلة عصر المؤلف والاقتراب من شخصيته الحقيقية ، فهو إبراهيم ابن علي بن محمد بن غالب التمار أبو إسحاق المصري، المتوفى سنة ٣٨٤هـ. ويلاحظ أن كل أساتذته مصريون : أبو جعفر بن النحاس ، محمد بن الربيعي الجيزي . . إلخ ، وله ترجمة في المقفى للمقريزي ، وقد تتلمذ له كثير من الأندلسيين.

ولما كان هذا المؤلف يروي عن أبي الحسن الحوفي النحوي وهو مصري توفي سنة ٤٣٠هـ ، وعن مكي بن أبي طالب ، صاحب « مشكل إعراب القرآن » بغير واسطة وهو متوفى سنة ٤٣٧هـ . إذن لابد أن يكون المؤلف آنذاك : ما بين

سن ١٥-٢٠ سنة ولا يمكن في حساب الأعمار أن يكون في سنة ٤١٠ أو ٤١٥هـ ثم تمتد به الحياة إلى سنة ٥٥٠هـ التي توفي فيها قوام السنة الأصفهاني .

ثم إن قوام السنة الأصفهاني ولد سنة ٤٥٧هـ فكيف يروي عن أبي الحسن الحوفي الذي توفي سنة ٤٣٠هـ . وعن مكي بن أبي طالب الذي توفي سنة ٤٣٧هـ . كل هذا كان يمكن أن تهتدي إليه المحققة . إلى أنه لابد أن يكون صاحب الكتاب مصريًا ، لأن هناك شواهد كثيرة غير هذه التي ذكرنا ولكن لا نريد الإطالة ، هذا بالإضافة إلى مادة الكتاب نفسها وإلى الأساتذة الذين يذكرهم المؤلف في كتابه .

أما في ما يتعلق بتوثيق نسبة الكتاب فأذكر كتاب « الجُمَل » الذي نشر منسوبًا إلى الخليل بن أحمد ، وقد قام بنشر هذا الكتاب فخر الدين قباوة . والواقع أنه كان منصفًا ، ففي مقدمة التحقيق ذكر شكوكًا كثيرة حول نسبة كتاب الجُمَل للخليل بن أحمد . ولكن ما لا نعذره فيه هو أن يكون غلاف الكتاب الجُمَل في النحو للخليل ابن أحمد . وكان ينبغي أن يقول : المنسوب للخليل بن أحمد ، ومن يتصفح الكتاب يقطع بأنه لا يمكن أن يكون للخليل بن أحمد لما فيه من مصطلحات لم تظهر إلا متأخرة ولما فيه من نحو كوفي وغير ذلك . وكما قلت كان فخر الدين قباوة منصفًا لأنه ذكر كل هذه الشكوك حول نسبة الكتاب ، لكن لا أدري لماذا جعل غلاف الكتاب كما لو كان قاطعًا بنسبة الكتاب للخليل ؟

كما أذكر في ما يتعلق بتوثيق نسبة الكتاب ، أني حينما كنت أقرأ طبقات أطباء الأندلس لابن جُلْجُل رأيت الأستاذ فؤاد سيد . الذي حققه يذكر إحدى حواشي تحقيقه للكتاب أنه أشار إلى كتاب يسمى « جذوة المقتبس » **للسهيلي** ، ونحن نعرف أن جذوة المقتبس للحُمَيْدي وقد نشره محمد بن **تاويت** الطنجي . وحينما رأيت جذوة المقتبس للسهيلي الذي هو صاحب « **الروض الأُنف** » في شرح السيرة النبوية وصاحب الأمالي في النحو وغير ذلك من الكتب ؛ وهو عالم أندلسي من

مالاقا (مَلَقَا) من سُـهَيْل ، وسميت الأخيرة كذلك لأن نجم سُهَيْل لا يُرى إلا من هذا المكان .

أسعدني ذلك وقلت : إن السهيلي عندما يكتب جذوة المقتبس في علماء الأندلس لابد أن يضيف إلينا كثيراً من المعلومات . والسهيلي توفي سنة ٥٨١هـ . وذهبت إلى دار الكتب لأن المخطوط موجود في المكتبة التيمورية ، وطلبت تصوير الكتاب ، وحينما تصفحت الكتاب أُصبت بخيبة أمل كبيرة منذ السطر الأول ، فهو يحتوي على تراجم كثيرة للأندلسيين وهو منقول عن مصادر أندلسية ، ولكن أول ترجمة في الكتاب كانت لمحيي الدين بن عربي الصوفي ، وهذا توفي سنة ٦٣٨هـ ، والسهيلي توفي سنة ٥٨١هـ ، ثم رأيت بعد ذلك في الكتاب العجب من الأخطاء . وآخر ترجمة هي لذي النون المصري ، وترد عنه أشياء في غاية الغرابة ، يقول : إنه ولد في مدينة الأندلس ، وليس هناك شيء اسمه مدينة الأندلس ، وله تآليف كثيرة منها كتاب فردوس الحكمة وزاد المسافر في الأدوية المركبة والتعريف بتصحيح التاريخ وتوفي بدمشق سنة ٦٦٥هـ . ليس في هذه الكلمات أية معلومة صحيحة ، لأن ذا النون المصري هو الصوفي الذي توفي في الجيزة سنة ٢٤٥هـ ، في حين يذكر في الكتاب سنة ٦٦٥هـ ، ليس له أي شيء من هذه الكتب التي ذكرت وليس له أية صلة بالأندلس . فالكتاب كله خليط عجيب ، ويبدو أن أحد النُّساب الجهّال لَمْلَمَ بعض الترجمات من بعض الكتب الأندلسية بعضها صحيح وبعضها خطأ ، ثم بعد ذلك أراد أن يروج للكتاب ، وهذه ظاهرة تحدث عنها الجاحظ من قبل ، فوضع عليه اسم السهيلي . والكتاب بعد ذلك لا يمكن أن يكون للسهيلي بطبيعة الحال ، بالإضافة لذلك ، يعد الكتاب قليل القيمة جداً ، فكانت خيبة أملي فيه كبيرة جداً .

أذكر مسألة أخرى أشار إليها د. الطناحي ، وهي أن بعض المحققين (يفرحون) ببعض النسخ المخطوطة التي فيها زيادات ، وأذكر لذلك مثلاً « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان الأندلسي الذي قام منذ سنوات محقق بإعادة تحقيقه في .

مجلدين كبيرين ، وألحق بهما فهارس ، ورجع في تحقيقه إلى سبع مخطوطات ، منها مخطوطة مشهد في إيران التي فرح بها لأنه وجد فيها زيادات ونشر الكتاب على هذا الأساس . لا أتحدث عن التحقيق لأنه كان في غاية الرداءة ، ولكن أشير إلى مسألة الزيادات ، فهذه الزيادات غابت عن هذا المحقق ، مع أن كثيراً منها مأخوذ من كتاب آخر للمؤلف هو **مطمح الأنفس** ، وبعضها مأخوذ من كتاب الذخيرة **لابن بسام** ، وذلك لأن ابن خاقان **وابن شداد** كتبا في نفس الموضوع ، وهو المختارات من الشعر والنثر الأندلسي ، ولذلك اختلط بالذخيرة . وحينما نشرها إحسان عباس اختلطت بها نصوص من كتاب قلائد العقيان. ولكن إحسان عباس ، وهو محقق واع ، تنبّه إلى ذلك وأثبت هذه النصوص ولكن « **ببنط** » مختلف في الطباعة ، ونبّه إلى أنها لابد أن تكون من زيادات النساخ ، إلا أن هذا لم يتتبه إليه محقق قلائد العقيان ، فنشر الكتاب وهو مزهو جداً بهذه الزيادات ، وهي في الحقيقة ليست من صلب الكتاب ، بل إنها أفسدت الكتاب ، لأنها تنسب إليه ما ليس منه .

■ أ. عصام الشنطي :

أولاً : أشكر د. عادل على هذا البحث القيِّم . الجهدُ فيه واضح ، والجديَّة ، والعرض لجهود المستشرقين وافٍ ومفيد ، وقد استقصى جميع ما صدر من فهارس في مكتبات أوروبية ، مرتبة ترتيبًا جغرافياً وزمنياً . وهي مكرمة من مكرمات هذا البحث .

ولمس د. عادل ، بشيء من التفصيل ، من خلال عرض هذه الجهود ، صلةَ الأوروبيين بالثقافة العربية الإسلامية وحضارتها ، وحركة المخطوطات العربية من الشرق إلى الغرب ، فقد آلت هذه الكميات الضخمة منها إلى مكتبات أوروبا ، محفوظة هناك في غربتها .

ثانياً : سأقتصر في تعقيبي هذا على ذكر ما يمكن أن نفيده من فهارس

المستشرقين بما ينفعنا في فهرسة المخطوطات في بلادنا ، سلباً أو إيجاباً ، الأمر الذي يعيننا على الاستقرار في وضع بطاقة نموذجية موحَّدة تناسب المخطوطات العربية ، كمّاً ونوعاً .

- لاحظ الباحث أن فهارس الڤاتيكان اهتمت - بجانب الوصف الشامل للمخطوطة - بأن تُلْحقَ به ترجمة للمؤلف . وهذا تزيّد لا فائدة - في هذا المقام - تُرجى منه ، ويكفي أنَ أشير إلى مصادر الترجمة والتوثيق .

- خَلَطَت فهارس الڤاتيكان وغيرها ، عند توصيف المخطوطات العربية بينها وبين المخطوطات الفارسية والتركية وغيرها من المخطوطات الشرقية . وهذا يذكّرنا بما فعلته في السابق دار الكتب المصرية ، ومكتبة الأزهر ، من خلط المخطوط مع المطبوع . والصحيح أن تُفرَد فهارس للمخطوطات العربية ، دون خلطها بمخطوطات أخرى ، أو بالمطبوعات .

- اعتنى فهرس المتحف البريطاني الذي صدر سنة ١٩١٢م ، وغيره من الفهارس ، بأن ذَيَّل توصيفه للمخطوطات التي اقتناها بعد سنة ١٨٩٤م ، بثَبَت لعناوين المخطوطات وأسماء مؤلفيها ، وهو صنيع مبكّر ، له جدوى للباحثين ، ينبغي لفهارسنا أن تَلتزم به .

- في فهرس مكتبة شستر بتي Chester Beatty في دَبْلن Dublin ، اهتمامُ الجزء الثامن منها ، وهو الأخير ، بعرض نماذج لثلاثين لوحة من نوادر المخطوطات والمنمنمات، وهذه سُنَّة ينبغي أن تُتَّبع في كلّ جزء من فهارسنا ، يَعرض للورقات الأولى ، أو الأخيرة منها ، المتميِّزة بشيء نادر ونفيس ، دون مبالغة في عرض هذه النماذج .

- قدَّم ڤور هوف Voor hoeve في آخر فهرس صنعه لمخطوطات جامعة ليدن (هولنده)، والذي صدر عام ١٩٥٧ ، بمقدمة طويلة باللغة الإنجليزية عن تاريخ القسم الشرقي بالمكتبة. وهي مقدمة كثيراً ما نهملها في فهارسنا . ومن المفيد أن

نثبتها في أول فهرس المكتبة التي يُشْرَع في فهرستها ، نذكر فيها تاريخ هذه المكتبة ، ومصادر مخطوطاتها ، ومجموعاتها ، ونفائسها ، إلى غير ذلك مما يفيد في حركة المخطوطات في الداخل والخارج ، وفي علم المخطوطات الذي بدأنا بالعناية به في السنوات الأخيرة .

– لم يكن الفهرس الأول للمكتبة الملكية في باريس ، الذي وضعه سنة ١٦٧٧م ، بيير دياب الحلبي ، دقيقاً ولا كاملاً ، فأعاد مفهرسان آخران العمل نفسه بعد الجزء الأول من الفهرس العام للمكتبة سنة ١٦٩٠م . وهذه تجربة تفيدنا في ألا نقضي العمر في فهرسة مخطوطاتنا دون منهج معتمَد . وفيها دعوة إلى توحيد المنهج ، وألا يقوم بالفهرسة إلا مفهرس واسع الثقافة ، متدرب على عمله ، متقن له ، متّسم بالدقة والضبط والتحقيق .

– أشار الباحث إلى أن دي سلان De Slant ، الذي توفي سنة ١٨٧٢م ، قام بوضع فهرس للمكتبة الملكية في باريس ، كان عمله يتراوح بين الاختصار والإطالة ، أحياناً يقتصر على الوصف المادي ، وأحياناً يذكر الأسطر الأولى من المخطوط ، ومن النادر جداً أن يذكر نهايته ، أو ما قد يكون في آخره من قراءة أو سماع أو إجازة ، بمعنى أن استيفاءَ وصف المخطوط عند دي سلان قليلٌ جداً . وفي هذه الملاحظات فوائد جمّة ، تحثّنا على توحيد منهج الفهرسة ، والاهتمام بأول المخطوطة وآخرها ، وما بها من قراءات وسماعات وإجازات وغيرها .

ثالثاً : هذه مجموعة من الملاحظات ، أذكرها في ما يلي :

١ – أرجأ د. عادل الحديث المستفيض عن فهرس ألمانيا المشهور الذي وضعه وليم ألْوَرد Ahlwardt ، والذي سمّى نفسه « عُرْوَة بن الوَرْد » فجاء في عشرة أجزاء بالتمام ؛ إلى بحث مستقل . أرجو من د. عادل أن يفعل ذلك ، لأنه فهرس مميَّز ، التزم فيه المفهرس المنهج التحليلي .

وينسحب هذا أيضاً على ما أرجأه د. عادل من فهارس روسيا ، وأنها تحتاج إلى بحث مستقل .

٢ – حبذا لو قارن د. عادل بين فهرسة المستشرقين الأوروبيين ، وبين فهرسة المخطوطات اللاتينية عندهم ، وبيان مقدار تأثرهم بها ، وما مدى هذا التأثر ، ومدى صلاحيته لتراثنا العربي .

٣ – كان يَحْسُن بالدكتور عادل أن ينسب بوضوح فهارس المستشرقين إلى مناهج الفهرسة المختلفة المعروفة ، وبيان ما إذا كانت قد اتبعت فهرسة القوائم (الدرجة الأولى) ، أو الفهرسة الوصفية الوسط (الدرجة الثانية) ، أو فهرسة المنهج التحليلي (الدرجة الثالثة) .

خاصة أن هناك إشكالية في انتساب بعض هذه الفهارس ، ففهرس مكتبة شستر بتي المكوَّن من ثمانية أجزاء ، والذي حلَّله الباحث تحليلاً وافياً ، ذكر د. صلاح الدين المنجد أنه يتبع منهج القوائم ، في حين جعله د. أيمن فؤاد سيد على المنهج الوصفي الوسط .

٤ – لم يُلحق د. عادل بحثه بقائمة المصادر والمراجع التي عاد إليها . إذ ذِكرُها مهمٌ للمتخصصين ، لأن بحثه يحتوي على كثير من المعلومات القيِّمة ، وذكر هذه القائمة يفيد كثيراً في الرجوع إلى مصادر هذه المعلومات ، وإلى مسائل أخرى ذات علاقة .

رابعاً : أنهي هذا التعقيب بما استفتحته به ، وهو شكر د. عادل على هذا الجهد المتميِّز ، بما فيه من فوائد عظيمة .

■ د. عدنان درويش:

إن كان لي من تعقيب على د. الطناحي فإنما هو كلمة إطراء على هذه الإحاطة الواسعة على معرفته بالمخطوطات العربية وطول التجربة التي عاشها ، وقد حفّزني على أن أطلب من المعهد أن يطبع توصية من التوصيات ؛ هي ألا يقوم بالفهرسة

إلا أُناس من أولي الثقافة الواسعة . هذا شيء مهم جداً ، لأني أعرف جهة من الجهات العاملة في حقل حفظ المخطوطات وفهرستها . وهي جهة كبيرة نصحتُ القائم عليها ألا يقوم بالفهرسة إلا أناس على جانب من الثقافة التراثية الواسعة ، فقال يكفيني أن آتي بعدد من طلاب الجامعة أدربهم ويصنع كل منهم بطاقة ، وكانت النتيجة أنه فسد الفهرس وفسدت البطاقة .

- وفي ما يتعلق ببحث د. عادل ، فقد قام بعرض واسع ومتتبع ودقيق لهذه الفهارس التي صنعها المستشرقون وقد قمت بعمل شبيه وتتبعت هذه الفهارس ، التي يبلغ عددها نحو ٩٠ فهرساً ، وانتهيت إلى وضع قاسم مشترك أعظم للمحاسن التي نراها صالحة لوضع فهرس عربي للمخطوطات . وطرحت ما أرى طرحه من الأشياء التي لا تفيد ولا تعطي الصورة الجيدة للفهرس .

وليت د. عادل وضع لنا قاسماً مشتركاً أعظم يمكن أن تكتمل به الصورة الممكنة المقبولة لوضع الفهارس التي ينبغي أن تكون كاملة أو شبه كاملة . وسبق لي أن وضعت بحثاً في هذا الموضوع ، وأظنه بحثاً مستفيضاً وسوف أقدمه لمعهد المخطوطات .

■ **د. أحمد شوقي بنبين :**

لدي ملاحظات بسيطة :

بالنسبة للدكتور الطناحي ، أشكره على إلمامه الكبير بموضوعه حول ثقافة المفهرس ، وهذا ثمرة تجربته الطويلة .

لكن لي إضافة في ما يخص ثقافة المفهرس . لم يشر د. الطناحي إلى التكوين البيليوغرافي أي الوسائل الحديثة التي يستعين بها المفهرس من أدوات البيليوغرافيا فهذا ضروري للمفهرس . هذا مع أنه لا يمكن الآن أن يوجد رجل في العالم العربي

يجمع كل هذه الأشياء : الخبرة الطويلة العملية الجامعة والتكوين اللغوي والتكوين البيليوغرافي .

كذلك أشار د. الطناحي إلى شكل « المخطوطات الناقصة والكاملة » وأن على المفهرس أن يلمَّ بها . وهذا شيء صعب . حبذا لو كانت هناك كشافات لهذه المشاكل : المخطوطات الفريدة ، المخطوطات المؤرخة . هذا شيء قليل في العالم العربي . كما أشار إلى قضية تاريخ الكتاب المفهرس ، وطلّب من المفهرس أن يلم بتأريخ الكتاب وهذا شيء صعب فالمهمة تدخل في عمل عالم المخطوطات .

■ د. أيمن فؤاد سيد :

الفهرسة الخاطئة مشكلة حقيقية لدي صديق بلچيكي عندما عرف أني أخرجت مسودة خطط المقريزي ، أرسل إلي يخبرني أن هناك مكتبة صغيرة في جامعة ليبزج في بلچيكا فيها نحو ٦٠-٧٠ مخطوطة ، ولها فهرس منشور في كراسة صغيرة ، وأنه تحت أحد الأرقام مكتوب « مخطوط عربي » ولما طلب المخطوط اكتشف أنها مجموعة أوراق تضم المسودات التي كان يكتبها المقريزي كمادة لكتبه الخطط والسلوك ! . وسننشرها معًا خلال هذا العام . هذا دليل على الفهرسة الخاطئة ، لولا الصدفة لكان من الممكن أن يظل هذا الكتاب حبيسًا لا يعرف عنه أحد شيئًا .

- في ما يتعلق ببحث د. عادل ، أود أن أشير إلى أن للأمبروزيانا فهرسين حديثين : فهرس ١٩٧٨ وفهرس ١٩٨١ ، وقد أعادوا كل الفهارس القديمة وأضيف إلى ذلك فهرس ضمَّ ٢٨٤ مصحفًا ، وهي غير موجودة في الأجزاء السبعة التي نشرها آربري .

بالنسبة للمكتبة الوطنية في باريس ، يجب أن نشير إلى إعادة فهرسة فهرس دي سلان وفهرس روشيه ، والجهد الذي بدأ سنة ١٩٧٢ بإعادة نشره ، فقد نشر

خمسة أجزاء منها الآن ، كما نشير إلى **فرانسوا** بيروش الذي نشر فهرسًا للمصاحف والكتابة المبكرة للمكتبة الوطنية .

■ **د. فيصل الحفيان :**

أظن أنني سأعبر عن الحضـور جميعًا عندما أبدي إعجابي الشديد بكل ما قاله د. محمود علي مكي ؛ وأظن أننا عجزنا عن متابعة الأرقام والتواريخ والمعلومات والبيانات التي تضمنها تعقيبه ، فهل يترفق بنا لنستطيع أن نلاحق ما يقوله ! !

ولي تعليقان بسيطان ، أولهما على بحث د. محمود الطناحي الذي أعادنا إلى اليوم السالف ، إلى بحثه عن ثقافة المفهرس ، فعدنا مرة أخرى إلى بحث «علاقة الفهرسة بعلم المخطوطات» . إن هذه المسألة تمثل قضية هامة لابد من الكشف عن أبعادها وتداعياتها ، ولعلّي أخشى أن أفتح النار على د. الطناحي من جهتين ، من جهة د. أحمد شوقي بنبين وجهة د. أيمن فؤاد سيد ، إن العلاقة بين الفهرسة وعلم المخطوطات هي علاقة العموم والخصوص المقيد . ويُخيّل إليَّ أن العلمين غايتاهما مختلفتان ، ولذلك فإن هاتين الغايتين قد تفرضان نوعًا من التباعد بين المفهرس وعلم المخطوطات . وإذا كان عالم المخطوطات يهتم برحلة المخطوطة ويبتعد عن النص الأصلي (الأساسي) للمخطوط ، فإن المفهرس همّه الأساسي هو مضمون المخطوطة .

الشكل المادي – على حد تعبير د. أيمن – هو غاية عالم المخطوطات، وقد يفيد المفهرس لكنه ليس بؤرة اهتمامه . إذًا الدائرتان متباينتان على نحو ما . قد تلتقيان ، لكنهما ليستا متفقتين تمامًا بالضرورة . وإذا كان القدماء قد عرّفوا الأدب بأنه الأخذ من كل فن بطرف ، ومن ثم فالأديب هو كل آخذ من كل فن من طرف ، فإن المفهرس – في ما أظن – هو مَنْ يأخذ من كل علم بطرف ، وقد يكون حظه الأوفى من علم المخطوطات ، وحظه الباقي من ثقافة المفهرس بناء على الخبرة التي تحدث عنها د. محمود الطناحي .

أما التعليق الثاني فهو على بحث د. عادل جمال ، وليسمح لي ، بعد أن شققت عليه كثيراً ، أن أقول إنه طوّف بنا دون شك في جهود المستشرقين وأفادنا كثيراً ، وحقَّ له - بناء على ذلك - أن يعدل العنوان ولكن الهدف الأساس من الموضوع كان رصد مناهج المفهرسين وليس الكشف عن جهودهم . لذا فإني سأشق مرة أخرى على أخي د. عادل ، وأطلب منه أن يتكرم ببحث جديد للمعهد أو لمجلته[1] يتضمن تصوراً واضحًا لمناهج المستشرقين في فهرسة المخطوطات : أين تلتقي وأين تختلف عن مناهجنا ؟ ومن هذه الزاوية الواضحة التي تحدد نقاط الالتقاء ونقاط الافتراق نستطيع أن نبني منهجًا جديداً ، أو نعدّل مناهجنا .

■ **د.محمود الطناحي :**

أشكر أساتذتي وزملائي الذين أثنوا على عملي ثناء أرجو أن أستحقه .

لقد أثار د. أحمد شوقي بنبين نقطتين ، الأولى أني أغفلت المراجع الببليوغرافية . في الحقيقة أنا لم أغفلها ، وهي موجودة ، فقد أوصيت بقراءة فهرسة النديم وكشف الظنون وفهرس ابن خير الإشبيلي ومفتاح السعادة . النقطة الثانية تثبت صدق ما ظننته ، فقد قلت : لعل قارئًا أو مستمعًا يقول إني عظمت الطريق أو ضخمت المسألة ، وصعَّبتها . ولا شك أن الطريق يسهل والمسألة تهون إذا ما كان هناك توجه ورغبة وإرادة وانقطاع للعمل وحب له .

إن لدينا في كلية الآداب بالقاهرة قسم الوثائق والمكتبات ، أعلم أن هذا الكلام سيغضب البعض ولكن لابد من الحقيقة . هذا القسم مرَّ عليه الآن نحو ٤٠ سنة ولم يخرّج لنا مفهرسًا واحداً ، مع أنه يضم أساتذة كباراً . والغريب جداً أن كل

---

(١) البحث المنشور للدكتور عادل هو البحث الجديد الذي طلبه المعهد ، وعليه فإن بعض المداخلات والمناقشات المثبتة هنا لا داعي لها ، لكننا أثبتناها حرصًا على الأمانة في تسجيل وقائع الندوة .

الذين برزوا في علم المخطوطات أو فهرستها ليسوا من خريجي قسم الوثائق والمكتبات ، فلماذا ؟

■ **د. عادل سليمان جمال :**

بالنسبة لفهرس « آلوارد » ، ويقع في عشرة أجزاء باللغة الألمانية ، وجدت أنه سيخرج في ٤٠ صفحة ، ولذلك وعدت بالعودة له لأكتب عنه بالتفصيل بعد .

في ما يتعلق بمقارنة منهج الأوربيين بفهرسة اللاتينيين ، فليس عندي من اللاتينية شيء ، ومن ثمّ لا أستطيع المقارنة . ثم لا أدري مدى نفع هذه المقارنة بالنسبة لفهم مناهج المستشرقين . أما مقارنة مناهج المستشرقين مع المناهج العربية - كما اقترح د. فيصل الحفيان - فقد كان بودي أن أفعل ذلك ، لكن هذا البحث كتبته على عجل[1] ، كما أن الموضوع شاق ، لأن وجود هذه الفهارس جميعها في مكان واحد أمر مستحيل . مثلاً ذهبت إلى دار الكتب ووجدت - لحسن الحظ - د . أيمن فؤاد سيد والذي ساعدني في البحث ، ووجدنا فهرس « آلوارد » وفهرس «دي سلان» ، إلا أنه تبين لنا أن فهرس « آلوارد » مفقود منذ ١٩٧١ ، وفهرس « دي سلان » قد سرق نصفه ! والحصول على مثل هذه الفهارس عسير جداً ويصعب وجودها في مكان واحد ، وحتى إذا وجدت فمن الصعب استعارتها ، لأنها تعد مراجع لا تخرج من المكتبة على الإطلاق . هذا هو السبب في عدم حصولي على هذه الفهارس كلها مرة واحدة لأقارن بين مناهجها .

* * *

(١) البحث المنشور ليس المشار إليه ، فقد أعاد د. عادل البحث الذي عرضه في الندوة ، وأغناه بقراءة عميقة ومستوعبة للفهارس التي صنعها المستشرقون .

الجلسة الختامية

التقرير الختامي والتوصيات

د. فيصل الحفيان

د. أحمد يوسف أحمد محمد (رئيس الجلسة) :

بعد هذه الندوة الرفيعة ، أعدكم أننا لن نشق عليكم في هذه الجلسة الختامية ، وهي تتكون من ثلاث فقرات سريعة ؛ الأولى يعرض فيها د. فيصل الحفيان منسق برامج المعهد ، والمنسق العلمي للندوة تقريراً موجزاً عن أعمال الندوة وأهم التوصيات ؛ التي استمدها من مداولاتها ، ثم يلقي د. عدنان درويش كلمة بالنيابة عن المشاركين ، ثم أختم الندوة بكلمة شديدة الإيجاز .

* * *

على مدى يومي ٢٧ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٩٨ عقد المعهد الندوة الثانية في سلسلة ندوات « قضايا المخطوطات » تحت عنوان « فن فهرسة المخطوطات : مدخل وقضايا » .

شارك في الندوة ، التي عقدت في قاعة عمر الخيام بفندق هلتون شبرد بالقاهرة ، عدد كبير من الخبراء والأساتذة والمتخصصين والمعنيين بقضايا التراث العربي عامة ، والمخطوطات على وجه الخصوص .

عقدت في اليوم الأول ، بالإضافة إلى الجلسة الافتتاحية ، جلستان ، كان موضوع الجلسة الأولى « مسائل تنظيرية » ، وكان موضوع الثانية « مسائل فنية » . رأس الجلسة الأولى د. عدنان درويش (مدير التراث القديم بوزارة الثقافة السورية) ، وتحدث فيها د. عبد الستار الحلوجي (الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة) عن « فن الفهرسة : المصطلح والحدود » ، و د. أحمد شوقي بنبين (محافظ الخزانة الحسنية بالرباط - المغرب) عن « علاقة الفهرسة بعلم المخطوطات » ، ود. محمود محمد الطناحي عن « ثقافة المفهرس » .

وعقَّب على الجلسة د. سعد الهجرسي (الأستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة)، و د. كمال عرفات نبهان (مدير عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن) ، و د. محمود علي مكي (الأستاذ في كلية الآداب بجامعة القاهرة) ، تلا ذلك حوار مفتوح .

أما الجلسة الثانية فرأسها د. أحمد نظيف (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء المصري) ، وتحدث فيها د. أيمن فؤاد سيد (مستشار بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية - مصر) عن « الوصف المادي للمخطوطات » وعن « السماع والقراءة والمناولة » ، وتحدث د. أحمد شوقي بنبين (محافظ الخزانة الملكية - المغرب) عن « نظام التعقيبة » .

وعقّب على هذه الجلسة كل من د. أحمد شوقي بنبين ، و د. محمد السيد الجليند ، و د. عبد الستار الحلوجي ، ثم كان هناك حوار مفتوح .

كما عقدت في اليوم الثاني جلستان ، كان موضوع الجلسة الأولى « مسائل ببليوغرافية » وقد رأسها د. أحمد مختار عمر (وكيل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد) ، وتحدث فيها د. يوسف زيدان (الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية) عن « توثيق العنوان والمؤلف » ، و أ. عصام محمد الشنطي (المدير الثاني بالمعهد سابقاً وعضو الهيئة الاستشارية للمعهد) عن « أول المخطوطة وآخرها » ، ود. فتحي عبد الهادي (وكيل كلية الآداب - جامعة القاهرة) عن « تصنيف المخطوطات » .

وعقَّب على الجلسة د. الطاهر أحمد مكي ، واختتمت الجلسة بحوار مفتوح .

أما الجلسة الثانية ، فتناولت « مسائل أخرى » ، وقد رأسها أ. محمد إبراهيم الشيباني (رئيس مركز المخطوطات والتراث والتوثيق بالكويت) ، وتحدث فيها كل

من : د. عادل سليمان جمال (الأستاذ بجامعة أريزونا - الولايات المتحدة) عن « مناهج المستشرقين في فهرسة المخطوطات » .

وعقَّب على هذه الجلسة أ. عصام محمد الشنطي ، و د. عدنان درويش ، تلا ذلك حوار مفتوح .

أما الجلسة الأخيرة فقد تضمنت التقرير الختامي والتوصيات وكلمة المشاركين ، وأخيراً كلمة مدير المعهد بالإنابة د. أحمد يوسف أحمد محمد .

* * *



كلمة المشاركين

د. عدنان درويش

إن المعهد قام بدوره على خير وجه ، على الرغم من قلة العاملين فيه وضيق الميزانية المخصصة له . ولذلك فإن من حقه علينا جميعاً نحن حضور هذه الندوة والمشاركين فيها أن ننوه بما يبذله في كل محفل ، وهذا أمر طبيعي ، فإذا كنا - ونحن رجال التراث والمعنيون به - نؤمن بتراثنا ، وندرك ضرورة الحفاظ عليه والتعريف به ، فلابد أن نقف وراء هذا المعهد ونقدم له كل ما نستطيع ، لأننا بذلك نكون قد وقفنا مع قضيتنا ، وساندنا تراثنا الذي به نعتز ونفخر .

لا أود أن أطيل ، لكني أود أن أعرب باسم كل المشاركين عن شكرنا جميعاً لهؤلاء النفر الطيب العاملين في المعهد ، الذين هيأوا لنا هذه الندوة ، وأتاحوا لنا فرصة اللقاء وتدارس « هم الفهرسة » ، والوصول إلى نتائج أشعرتنا بالرضا ، ونعتقد أنها ستكون إضافة حقيقية للجهود التي يبذلها المعهد من ناحية ، وإثراء لقضية مهمة من قضايا التراث العربي المخطوط .

***

كلمة الختام

د. أحمد يوسف أحمد محمد

اسمحوا لي ، في ختام هذه الندوة الرفيعة ، بثلاث كلمات من القلب ؛ الأولى كلمة شكر ، والثانية كلمة عن حصيلة الندوة ، والثالثة عن دور المعهد .

أما الشكر ، فهو لكل الأساتذة الأجلاء الذين شاركونا في أعمال هذه الندوة ولكل ممثلي جيل الشباب ؛ الذين نضع فيهم غاية أملنا . فقد بذل الجميع جهوداً مشكورة ، سواء بكتابة البحوث أو بالتعقيب أو رئاسة الجلسات أو المداولات المفيدة .

وإنني دائماً ما أسجل التلبية الكريمة من قبل المهتمين بالتراث على الرغم من ضعف إمكاناتنا الإعلامية .

أما الكلمة الثانية ، فهي عن حصيلة الندوة ، وأعتقد أنكم جميعاً تشاركونني الرأي في المستوى الرفيع الذي جاءت عليه هذه الندوة في بحوثها وتعقيباتها ومداولاتها . وبطبيعة الحال ، لست من أصحاب التراث بالتخصص وإن كنت من أصحاب التراث بالانتماء . ومع ذلك ، أسمح لنفسي بأن أقول : إنني أحسب هذه الندوة ، بما قدمته من بحوث علمية رفيعة في موضوعاتها ، قد أضافت خطوة في موضوع فهرسة المخطوطات أو في قضايا فهرسة المخطوطات ، أرى فيها فائدة جمة أولاً لجيل الشباب الذي حضر معنا حضوراً واضحاً وكثيفاً . وأعتقد أن ما قُدِّم من معرفة سوف يساهم في مزيد من تعميق معرفة هذا الجيل بقضايا المخطوطات .

واسمحوا لي أن أستعير من علم السياسة - حيث تخصصي الأصلي - أنه كانت لنا دائماً مشاجراتنا حول المناهج ، ولكن سرعان ما نهض نفر عاقل يقول :

إن الأفضل من الشجار حول المناهج هو تطبيقها ، لأنه من خلال تطبيق المناهج يمكن للعمل أن يظهر حسناتها وسيئاتها .

وأحسب أننا في مجال الفهرسة - واغفروا لي أن أتحدث عن الفهرسة ولست من أهل التراث - نحتاج جنباً إلى جنب مع الحوار العلمي الرفيع حول المناهج المثلى للفهرسة ، أن نزيد حصيلة العمل في الفهرسة الفعلية ، لأن هذه الحصيلة ، وإن تفاوتت مستوياتها ، يمكن أن تساعدنا أيضاً على إنارة الطريق حول الطرق المثلى للفهرسة ، وتصحيح رؤانا ومناهجنا في هذا الصدد .

الكلمة الثالثة عن دور المعهد ، فقد قيل كلام طيب للغاية حول المعهد ودوره كمؤسسة عريقة من أعرق مؤسسات الجامعة العربية ، فهو يعود بتاريخ نشأته إلى عام ١٩٤٦ ، وآخر ما قيل من كلام طيب هو كلام د. عدنان درويش .

لقد اقترحت في هذه الندوة مهام مفيدة للغاية ينبغي - من وجهة نظر مقترحيها - أن يضطلع بها المعهد . وفي الواقع ، نحن في معهد المخطوطات العربية نرحب بهذه الثقة ونعد بالنظر في كل ما اقترح لكي نسعى إلى تنفيذه وفق نظام للأولويات يتناسب مع إمكاناتنا . إننا نعيش - للأسف - مرحلة تقلص فيها الإمكانات المتاحة لمؤسسات العمل العربي المشترك ، وكل ما تفضلتم به من يعيش بيننا ، وكانت لدينا مقترحاتنا حول وضع هذه الأمور موضع التنفيذ ، وصممت بشكل برامج ، ثم تأتي مقصلة الميزانية بعد أن يتم تلبية ذلك على صعيد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ولكن نجتمع في المجلس الاقتصادي والاجتماعي وتتقلص الميزانيات فنُطالب - إذ ذاك - المشروعات ، ونشعر بالأسى والمرارة عندما نلغي دورة للتدريب على الفهرسة أو بعثة لإنقاذ المخطوطات ، أو بعثة لتصوير المخطوطات .

إن الإمكانات محدودة ، ولكننا نسعى لاستخدامها أفضل استخدام ممكن ، ونسعى ثانياً لزيادة فعالية هذه الإمكانات بالتعاون مع المؤسسات المشابهة المهتمة بقضايا الميراث . والواقع أن أفضل ما نخرج به من نتائج هو هذه الملتقيات ، التي نزيد من خلالها أواصر التعاون بين المؤسسات المهتمة بالتراث .

ويسعدني مثلاً أنه في هذه الندوة قد تقدم د. أحمد شوقي بنبين بدعوة لعقد ندوة في المغرب ، يتحمل الجانب المغربي جانباً من نفقاتها ، ونتحمل نحن جانباً من نفقاتها ، ويتحمل آخرون جانباً ثالثاً ورابعاً . أيضاً كانت بيننا منذ لحظات د. أمينة مصطفى صادق من جامعة المنوفية ، وعرضت بأن تستضيف جامعة المنوفية ندوة عن قضايا المخطوطات بالتعاون معنا .

هذا هو المعنى الحقيقي لنجاح مثل هذه الندوات ، فهي تزيد التواصل والتعاون بين أهل التراث والمنتمين إليه والمهتمين به . ومن ثم ، فإن الإمكانات المتواضعة لنا جميعاً يمكن - إذا حشدت وإذا أحسن التخطيط لاستخدامها - أن تؤتي ثمرة أكبر من القيمة المطلقة لهذه الإمكانات .

أنا سعيد كل السعادة بهذه الندوة وحصيلتها . وهذا ما شجعنا على المضي في المعهد بهذا النفر القليل من العاملين وبهذه الإمكانات المتواضعة . ويسعدني أن أقول : أنني أشعر برضى نسبي وليس كاملاً بطبيعة الحال ، ولكن رضى نسبي عما نقوم به من خطوات وعن رغبتنا الدائمة في تحديث عملنا في المعهد . وأود أن أشير إلى جهود المعهد في مجالات الفهرسة والتحقيق والإنقاذ والتصوير والتدريب ، تدريب الجيل الجديد من الباحثين ، إلى آخر هذه الأمور ، لأنها في الواقع جهود نفر قليل من المخلصين لهذه القضية ؛ وهي جهود محدودة لكنها مخلصة ، نتمنى أن يكون أثرها واسعاً .

في الشهور القليلة الماضية خطا المعهد خطوة في مجال الفهرسة الآلية لمخطوطاته ، ليس افتتاناً شكلياً بالحاسب الآلي ، ولكن لتيسير رجوع الباحثين للمخطوطات . والخطوة القادمة ستكون حفظ أنفس هذه المخطوطات في الحاسب الآلي . وبهذا فإن الغرفة الكبيرة التي دعا إليها د. شوقي ضيف ؛ الذي نشكره كل الشكر على حديثه عن المعهد ، إنما نحن في سبيل تنفيذها بما يتفق وتكنولوجيا العصر .

أكرر الشكر لكم ، وأنوه - رغم أن هذا غير مستحب - بجهد هذه المجموعة من الجنود المجهولين من معهد المخطوطات الذين خططوا لهذه الندوة ونظموها وشاركوا في تنفيذها ، لأن قضية التراث هي قضية الإنتماء والهوية ، وهي من ثم قضية الحاضر والمستقبل ، وهي قضية لن نحسمها نحن وإنما سيحسمها جيل الشباب .

* * *

■ ثمن النسخة :

- داخل مصر : ٢٠ جنيهاً .
- خارج مصر : ١٠ دولارات أمريكية ، شاملة نفقات البريد .

المراسلات : ص. ب ٨٧ - الدقي - القاهرة - ج.م.ع.
الهـواتف : ٣٦١٦٤٠١/٢/٥
الفاكس : ٣٦١٦٤٠١
المقـــــر : ٢١ ش المدينة المنورة - آخر محيي الدين أبو العز - المهندسين .

رقم الإيداع

١١٥٩٤ لسنة ١٩٩٩م

الترقيم الدولي

ISBN : 977-279-260-5



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

١٢ شارع البركة الناصرية (من شارع نوبار) لاظوغلي

ت ٢٥٥٤٣٧٦ - ف ٣٩٠٠١٢٠ القاهرة (جمهورية مصر العربية)



ALECSO

NADWAT QAḌÁYÁ AL-MAḪṬÚṬÁṬ (2)
(27 - 28 SEPTEMBER 1998)

FANN
FAHRASAT AL-MAḪṬÚṬÁṬ

(MADḪAL WA QAḌÁYÁ)

Arranged & Edited
By
Dr. FAISAL AL-HAFYAN

CAIRO
1999